أئمة الهدى ومصابيح الدجى

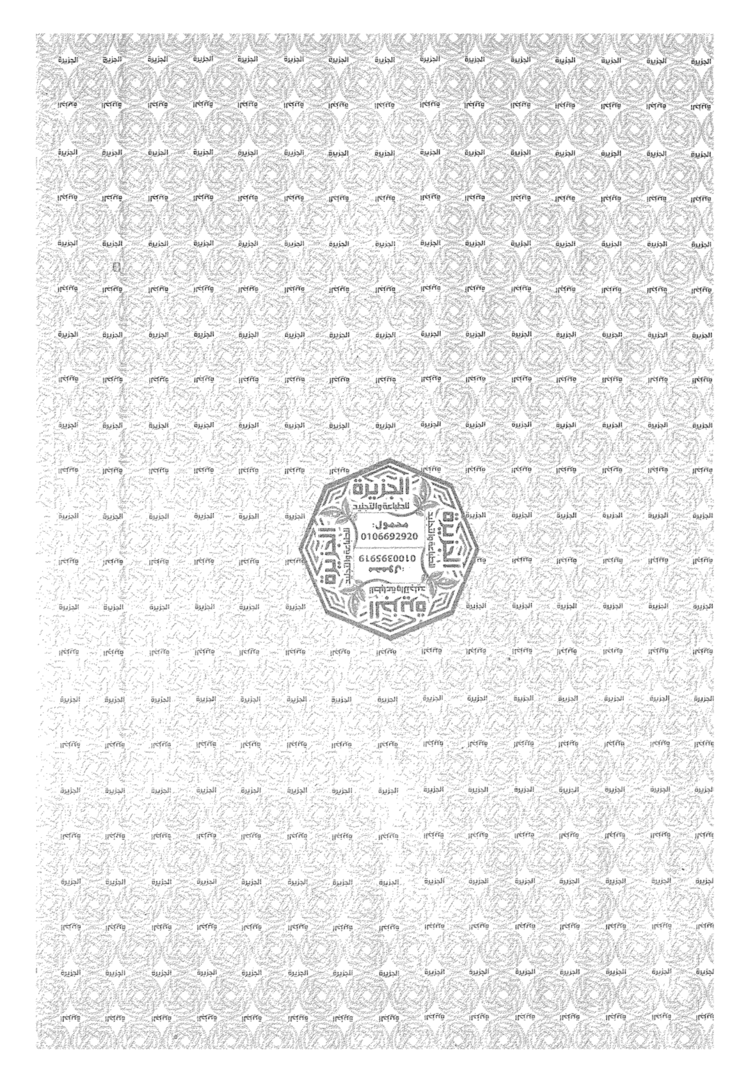
تأليف

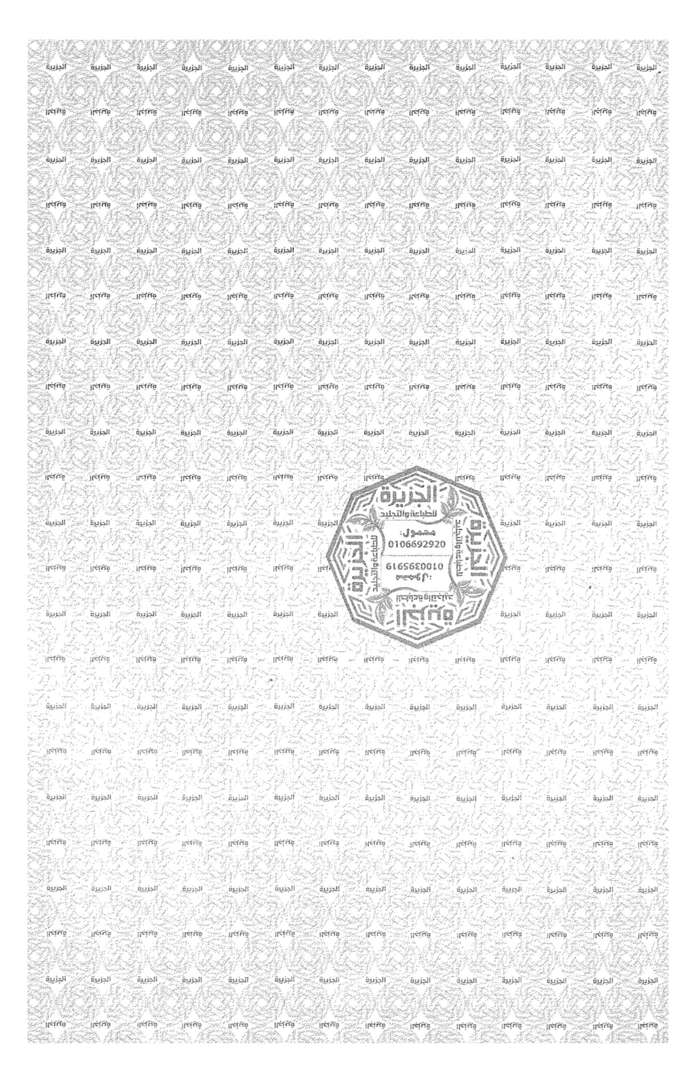
فضيلة الشيخ

محمد حسان

دار ابن رجب

دار الفوائد


الجزيرة
للطباعة والتجليد
محمول:
0106692920


الجزيرة
للطباعة والتجليد
محمول:
0106692920


أئمة الهدى
ومصابيح الدجى

حقوق الطبع محفوظة

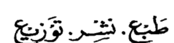
اسم الكتاب : أئمة الهدى ومصابيح الدجى
اسم المؤلف : محمد حسان ، عوض لطفي الجزار
اسم المحقق :
القطع : ١٧ x ٢٤
عدد الصفحات : ٣٨٣
عدد المجلدات : ١
سنة الطبع : ٢٠١٠ م

الطبعة الثانية

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع : ٣٥٣٩/ ٢٠٠٤م







المركز الرئيسي : فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢
فرع المنصورة : ٣٣ شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨
فرع القاهرة : ١٣ شارع البيطار خلف الجامع الأزهر هاتف : ٠٠٢٠٢٢٥١٤١٠١٥



تأليف

الشيخ
محمد حسان

أبي عبد الرحمن
عوض الجزار

دار ابن رجب

دار الفوائد


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة فضيلة الشيخ/ محمد صفوت نور الدين

الرئيس العام السابق لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر

رحمه الله تعالى

الحمدُ لله الهادي للصواب سبحانه ، والصلاة والسلام على إمام المهتدين ، والداعي إلى الطريق القويم على صراط مستقيم ، وبعد :

اقتضت حكمة الله البالغة أن يجعل الرسالة الخاتمة باقية ، فقيض الله سبحانه لها عوامل البقاء والحفظ إلى أن تقوم الساعة ، وإن فهم ومعرفة حال الصحابة أحد أهم هذه العوامل ، لذا فإن الله سبحانه هيأ للمسلمين أن يجعل إجلال الصحابة جزءًا لا يتجزأ من عقيدتهم ، عقيدة أهل السنة والجماعة .

فقيض الله الحاسدين والضالين فطعنوا في الصحابة في الأيام الباكرة ، فانبرى أهل السنة لبيان فضلهم وإظهار ميزاتهم ، فأصبحت على لسان كل مسلم ، وسطر أهل السنة في عقيدتهم مسألة الخلافة ، وأن أحق الناس بها أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، وضللوا كل من خالف ذلك .

وعرفوا الفضل للصحابة وتفاضلهم فيما بينهم ، وأحبوهم وأحبوا أهل بيت النبي ﷺ وهم : أزواجه ، وآل علي ، وآل جعفر ، وآل عقيل ، وآل عباس

و (كل من حرمت عليهم الصدقة) ، وذكروا محاسن الأصحاب وكفوا عن مساوئهم ، وسكتوا عما شجر بينهم لعلمهم أن الجميع مجتهد ، فمصيبهم له أجران ، ومخطئهم له أجر الاجتهاد ، وخطؤه مغفور ، وأن الله أوجد ذلك بقدره لنتعلم من سلوكهم كيف نسلك عند وقوع الفتن ، فكانت أقوال أئمة الهدى عنهم نورًا لمن بعدهم يستضيئون به ، فالصحابة كانوا قبل الإسلام في جاهلية ، فلما أسلموا صاروا طلبة علم ، ثم كانوا بعد النبي ﷺ هم أئمة الهدى والعلماء ، ولم يتيسر لجيل بعدهم ما تيسر لهم ، فالله تبارك وتعالى هيأ لهم أدوات الطلب فكانت معهم بمجرد لقائهم للنبي ﷺ وأدوات طلب العلم ثلاثة ، من جمعها جاز له أن يطلب العلم ، ومن لم يجمعها فهو من العوام يمكنه أن يتعلم على سبيل النجاة ، ولا يصدق عليه اسم طالب علم .

أدوات الطلب :

أولا : أن يتوفر له علوم العربية ما يكفيه لفهم النصوص قرآنًا وسنة .

ثانيا : أن يمكنه التعرف على المقبول من المردود من السنة

ثالثا : أن يعرف من القرآن أحكام تلاوته وما يتعلق بالنص القرآني أداءً وفهمًا .

والصحابة رضوان الله عليهم كانوا عربا أهل اللغة وأربابها ، لهم فيها السبق والباع الطويل ، وكانوا مع النبي ﷺ ، فكل ما يسمعونه مقبولًا ليس فيه مردود ، بل كله يقيني الثبوت ليس فيه راجح ومرجوح ، وقد تلقوا القرآن من النبي ﷺ فأتقنوا أحكام التلاوة وما يتعلق بها ، أما غـير الصحابة فيبذلون السنين والأعمار لتحصيل الأدوات ، ثم يقصر عنهم باعهم عن

إدراك الصحابة في بداية أمرهم بالإسلام ، فسبحان من قيض لذلك الدين وأهله ما كان سببًا في حفظه .

فلا يظن أحد أن كل من حمل معه كتابًا أو قلمًا صار للعلم طالبًا ، لا بد أن يجمع أولًا أدوات الطلب ، وينبغي أن نفرق بين طالب العلم وبين المتعلم على سبيل النجاة ، فطالب العلم منزلته رفيعة ، نسب كثير من الأئمة والعلماء أنفسهم لها تشريفًا ورفعة ، وأما التعلم على سبيل النجـاة فهو الواجب على كل مسلم لينجي عمله من الرد والبطلان ، وينجي نفسه من النار .

الأمر الثاني : أن الصحابة صاروا بانتقالهم من الجاهلية إلى الإسلام ومن الكفر إلى الإيمان وبصحبتهم لرسول الله ﷺ صاروا من بعده أئمة الهدى وعلماء الأمة الذين يقتدى بهم ولا يتيسر ذلك لغيرهم بمثل ما تيسر لهم، وبيان ذلك في أربعة أمور :

الأول : الصحابة كانوا في الجاهلية أهل فصاحة وبلاغة جعلتهم لما سمعوا القرآن الكريم أدركوا معانيه ، وعرفوا وفقهوا فيه ، لأن الفصاحة والبلاغة كانت لهم جبلة .

الثاني : أن الصحابة عاشوا الجاهلية ثم انتقلوا إلى الإسلام فلم ينخدعوا بالجاهلية بعد لأنهم عرفوا الشر الذي بعث الله رسوله لهدمه ، فعرفوا حكم الجاهلية وحمية الجاهلية ، وظن الجاهلية وتبرج الجاهلية وربا الجاهلية ، وكل أمر الجاهلية الذي وضعه رسول الله ﷺ تحت قدميه في خطبته في حجة الوداع ، لذا فإنه ينسب إلى عمر ﷺ قوله : (تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ

في الإسلام من لا يعرف الجاهلية) .

الثالث : أن الصحابة رأوا رسول الله ﷺ وعاينوا التنزيل ، أي رأوه يقضي في المسائل ويقضي في الأقضيات ، ورأوه يعمل بنصوص الإسلام ، فرأوا النبي ﷺ متوضئًا ، ورأوه مصليًا ، ورأوه متصدقًا ومزكيًا ، ورأوه حاجًّا وصائمًا ، رأوه في داخل بيته أبًا ، وزوجاته شاهدنه زوجًا معاشرًا في خلوته وجلوته ، رأوه في غسله وغائطه ، رأوه في حياته وخلقه ، رأوه في طعامه وشرابه ، رأوه مجاهدًا وداعيًا وخطيبًا وواعظًا ، رأوه على كل حال ، وعاينوا أسباب النزول فكانوا أقدر الناس على نقل الأحكام إلى المسائل وتقريب الأفهام الشرعية لمن بعدهم ، وهذا ما لم يقصر الصحابة في بيانه ، بل ضحوا وبذلوا الجهد الكبير فيه .

الرابع : أن الصحـابة قدر الله لهم أن بقوا معًا في المدينـة أعوامـًا تزيد على ثلاثة عشر عامًا قبل أن يؤذن لهم في الهجرة إلى بلاد المسلمين المفتوحة فمنع عمر خروجهم ، ثم لما استأذنوا عثمان أذن لهم ، فكانوا لا يخرجون في زمان عمر إلا بإذنه ، ولعمل محدد بعينه ، ثم يعودون ، فجالس وعايش الأصحاب بعضهم بعضًا يرى كل منهم من الآخر ويسمع ، فينقلون العلم وينقلون الفهم ويتوارثون العمل ، وإذا وقع أمر أرادوا فيه القضاء تشاوروا حتى صاروا أوعية مملوءة علمًا وحكمة ، وقيض الله عثمان فأذن لهم بعد أن نضجوا فانتقلوا في الأمصار ، فانتشر بهم العلم في سائر البلاد ، ولو أنهم انتقلوا قبل النضج ما نشروا ذلك العلم كله ، ولـو أنهم حُبسوا أكثر من ذلك لمات العلم مع موتهم ،

فسبحان الحكيم العليم ، جعل الصحابة من أهم دعامات ذلك الدين .

الأمر الثالث : أن الصحابة صاروا عصمة للأمة وهداية لها ، فجعل هذا الجيل خير القرون ليكونوا مرجع الأمة في هذا الدين علمًا وفهمًا وعملًا ، وبين ذلك فيما أخرجه مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال : ((**النُّجومُ أَمَنَةٌ لِلسَّماءِ ، فَإِذَا ذَهَبتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي ، فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**)) .

فالله جعل الصحابة عصمة للأمة من الفتنة ، وإنما وقع ذلك بعوامل قدرها لهم الله بحكمته حماية للأمة من الفتن ، منها الحافظة القوية ، ووحدة التلقي ، ووحدة المرجعية ، والتلقي للعمل ، وإنهم رضوان الله عليهم كانوا عدولًا صادقين أمناء في النقل .

ونصوص تعديل الصحابة تملأ كتب السنة والتفسير والأصول ، ودين الله كامل تام ، ومن كماله وتمامه ما كان من شأن الصحابة الكرام من عدالة وحفظ وامتثال لذلك الدين .

أخا الإسلام : إن من أجل القربات معرفة منزلة الصحابة وحبهم والسير على منهجهم فهم المؤمنون الذين عناهم رب العزة سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥]

هذا ولقد سارت أجيال من أبناء الصحابة وجمع كبير من المسلمين على نهج

الصحابة الكرام يتلمسون سبلهم ويهتدون بهديهم ، فانبرى أهل العلم للحديث عنهم وبيان مواقفهم ، فكان منهم الحكام العادلون من أمثال عمر ابن عبد العزيز وغيره ممن أضاءوا الدنيا بعدلهم وحلمهم ، ومنهم القضاة الفاهمون من أمثال شريح القاضي وغيره ممن يضرب بهم المثل في دقة القضاء ، وحسن الفهم للخصومات ، ومنهم المجاهدون الذين بذلوا أرواحهم وقادوا الجيوش وخاضوا غمار الحروب ، وهؤلاء من الكثرة بحيث لا يستوعبهم ديوان جامع ، ومنهم العلماء والفقهاء كالفقهاء الأربعة وأئمة الحديث من أصحاب كتب السنة وغيرهم .

هذا وإن التعرف على حياة هؤلاء ومآثرهم بالتحقيق والتدقيق من المقاصد الهامة لتربية جيل مسلم صحيح .

أخي القارئ: وهذا جهد طيب قام به الأخوان الكريمان : الشيخ محمد حسان ، والشيخ عوض الجزار ، إسهامًا في تعريف المسلم المعاصر بأعلام من أعلام الدعوة من الصحابة والتابعين، فنسأل الله لهم المثوبة وللقارئ الفهم والاستيعاب .

والله الموفق والهادي للصواب .

وكتبه

محمد صفوت نور الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له .. هو الواحد الذي لا ضد له .. وهو الصمد الذي لامنازع له .. وهو الغني الذي لا حاجة له .. وهو القوي الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .. وهو جبار السموات والأرض ؛ لا راد لحكمه ولا معقب لأمره .

هو الأول فلا شيء قبله ، وهو الآخر فلا شيء بعده .. وهو الظاهر فلا شيء فوقه .. وهو الباطن فلا شيء دونه .. وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله .. وصفيه من خلقه وخليله .. أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الله به الغُمّة ، وعَبَد ربه حتى لبى داعيه ، وجاهد في سبيله حتى أجاب مناديه ، وعاش طوال أيامه ولياليه .. يمشي على شوك الأسى ويخطو على جمر الكيد والعنت ، يلتمس الطريق لهداية الضالين وإرشاد الحائرين .. حتى علّم الجاهل .. وقوّم المعوج ، وأمّن الخائف .. وطمأن القلق .. ونشر أضواء الحق والخير والإيمان والتوحيد كما تنشر الشمس ضياءها في رابعة النهار ؛ فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيًّا عن

أمته ورسولًا عن دعوته ورسالته .

اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، وعلى كل من اهتدى بهديه واستنّ بسنّته واقتفى أثره إلى يوم الدين ، وبعد :

بين يديك أخي القارئ الكريم كتاب ((**أئمة الهدى ومصابيح الدجى**)) - يسر الله إتمامه - الذي ستتجول فيه مع باقة عطرة من صحابة المصطفى ﷺ وبعض سلفنا الصالح من العلماء الأعلام الذين أضاءوا الدنيا بنور التوحيد .

إن هذا الكتاب الذي بين يديك رحلة في حديقة الإسلام نطوف بين رياضها العطرة الذي يفوح أريجها معطرًا بشذا الجنان الفيحاء .

ننتقل في هذه الحديقة الغناء التي حوت من الأزهار أجملها ، ومن الرياحين أطيبها ، ومن المياه أعذبها لنتعرف على رجال تربوا على مائدة القرآن ، وكان معلمهم إمام الأنبياء وخير الأنام محمد ﷺ .

وإننا أخي الكريم لا نزعم أننا بهذا السفر نسُدُّ نقصًا في المكتبة الإسلامية أو نُجَلي أمرًا لم يبينه من سبقنا ، ولكننا أردنا أن نقدم للبشرية عامة ولشباب الإسلام خاصة سيرة سهلة يسيرة بأسلوب يجمع بين الأصالة والعذوبة نعتمد فيها على ما صح من الأخبار والآثار ونبتعد فيها عن السقيم منها والشاذ .

إن هذا الكتاب محاولة لإبراز همم هؤلاء الرجال العالية في الدعوة والجهاد والعلم والفهم والصبر والزهد والتواضع والورع .. إلى آخر هذه المثاليات التي لن تجد لها في تاريخ العالمين نظيرًا .

إن دراسة التاريخ الإسلامي وبالأخص السيرة النبوية ، وتاريخ الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين والعلماء والمجاهدين والقادة من سلفنا الصالح إذا أحسن عرضها وأبرزت خصائصها ، وبطولات رجالها الذين كانوا رعاة للغنم ، فجعلهم الإسلام سادة وقادة للأمم ، فإنه حتمًا ينمي في شباب الإسلام ويبعث فيهم روح الولاء لله ورسوله ، ويدفع هممهم إلى معالي الأمور ، ويكشف عن طاقاتهم المذخورة ويستثمرها حتى ننهض بهذه الأمة المكلومة التي بعدت كثيرًا كثيرًا .

أخي القارئ الكريم :

إن دراسة سير الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين والعلماء العاملين من الأهمية بمكان ، خاصة إذا اعتمدت على منهج المحدثين في نقد الروايات والأخبار .

إنك - أخي الكريم - إذا ما وقفت على كتب التاريخ والسير بدراسة واعية متأنية تشعر بضخامة الانحراف والخطأ الذي وقع فيه كثير من المؤرخين - قدامى ومعاصرين - فالقدامى جمعوا الآثار والأخبار صحيحها وسقيمها ودَونُوها في كتبهم ، ومنهم ثقات وعدول ولكنهم في هذا الطور كما قال يحيى بن معين : (إذا كتبت فقمش وإذا حدثت ففتش) ، أما المعاصرون فحدث ولا حرج ، فقلما تجد من يلتزم التحقيق العلمي المعتمد على المقاييس الشرعية ، لذلك فإن التاريخ الإسلامي اعتراه كثير من التشويه والدس

والنسيان ، ولم يجد من يحميه ويصونه مثل الحديث النبوي الذي نشأت له علوم لا تدرك نهايتها الكتب والأقلام .

كما أنك تجد أن السيرة النبوية - ولله الحمد والمنة - قد لقيت عناية فائقة في التدوين والتأليف ، وفي النقد والتحقيق على يد علماء الحديث ، بينما لم يجد التاريخ علومًا تساهم في حفظه على وجه التمام والكمال ولا جهودًا تميز غثه من سمينه ، وخبيثه من طيبه ، وأصيله من دخيله ، وصحيحه من ضعيفه .

أيها القارئ الكريم : إننا بهذا الكتاب وهو محاولة متواضعة - بتوفيق الله وعونه ومدده - أحببنا بها أن يتعرف شباب الإسلام على رجال سموا بالإسلام في عقيدتهم وأخلاقهم ، في أحوالهم ومعاملاتهم .

ونحن - والذي رفع السماء - لفي مسيس الحاجة في هذه الأزمان لقراءة سير السلف الصالح ، فما أحوجنا إلى القدوة الحسنة ، ولذا فنحن نهيب بإخواننا الآباء والمربين أن يقرءوا على أبنائهم وطلابهم سير السلف الصالح من الصحابة والتابعين والعلماء والعاملين .

فلا شك أن إبراز تاريخ هذه الأجيال والتركيز على ما قاموا به في تحملهم أمانة الدعوة إلى الله ، وما أصابهم في سبيلها من الأذى والعنت يكون له أعظم الأثر في أن نعرف لهم قدرهم وفضلهم ، ونحبب أبناءنا في التأسي بهم والاعتزاز بالانتساب إليهم ليرتبط حاضر الأمة بماضيها العريق ذي التاريخ المشرق المنير في الدعوة ونشر العلم والتوحيد ، وقيادة البشرية قيادة راشدة

إلى مراقي الفلاح .

أيها القارئ الكريم :

إن بقيت لنا كلمة في هذه المقدمة فإننا نهيب بعلمائنا المحققين ومشايخنا المتخصصين المهتمين بتحقيق الإسناد والمشتغلين بعلوم الحديث أن يقوموا بتخريج الآثار والأخبار في كتب التاريخ الإسلامي خاصة تاريخ الخلفاء والصحابة ، لأنه قد شارك في تدوين أخبار التاريخ الإسلامي ورواياتها مجموعة من الرواة والإخباريين والمؤرخين والضعفاء والمتهمين والمطعون في عدالتهم من أتباع الفرق الضالة كالشيعة والخوارج والزنادقة .

كما امتهن التأريخ صنف من القُصّاص والوُضّاع ووجدوا فيه السبيل إلى غايتهم والطريق إلى مرامهم ، وجعلوه سفينة النجاة وسُلّم المرقاة عند السلاطين والحكام إلا من رحم الله رب العالمين .

ذلك أن الإخباريين قد دأبوا على نقل أخبار الماضين بإخبار المخبرين ونقل الناقلين وأدوا ذلك كله إلينا نحو ما أدي إليهم متأثرين بطرف مما جرى عليه المحدثون ، فأسندوا الآثار والأخبار التي وصلتهم إلى رواتها وألقوا بالعهدة عليهم ، وهذا ما فعله الإمام الطبري - رحمه الله - في كتابه الفذ تاريخ الرسل والملوك كما سيأتي - إن شاء الله -.

لذا نجدد الدعوة إلى علمائنا بالذود عن التاريخ الإسلامي لأنه ليفت في الأعضاء أن ترى من يمضغ التاريخ أهون المضغ ، ويلوك أعـراض المسلمين

لوكًا عظيًا ، ذلك بقول قرأه أو سمعه هنا أو هناك .

وإن من أكثر الكتب التي يعزو إليها المصنفون كتابي : ((**الطبقات الكبرى**)) لابن سعد ، و ((**تاريخ الرسل والملوك والأمم**)) لابن جرير الطبري ، وهما كتابان عظيمان ولكنهما لم ينالا حظًّا في التخريج والدراسة .

أما الكتاب الأول فقد أثنى عليه وعلى مؤلفه العلماء ، فقد أجاد فيه ابن سعد وأحسن .

قال ابن حجر : وابن سعد أحد الحفاظ الكبار الثقات .

وقال الذهبي في ترجمة ابن سعد : كان من أوعية العلم ، ومن نظر في طبقاته خضع لعلمه . اهـ[1].

إلا أنه رحمه الله قد أكثر جدًّا الرواية عن شيخه الواقدي مما جعل ابن النديم يقول في الفهرست : إن ابن سعد ألف كتبه من مصنفات الواقدي .

وهذا الواقدي قد تكلم فيه علماء الجرح والتعديل .

فقال البخاري : سكتوا عنه ، تركه أحمد وابن نُمير . وقال مسلم : متروك الحديث .

وقال النسائي : ليس بثقة . وقال الذهبي : لا شيء للواقدي في الكتب الستة إلا حديث واحد عند ابن ماجة حدثنا ابن أبي شيبة حدثنا شيخ لنا . فما جسر ابن ماجة أن يفصح به ، وما ذاك إلا لوهن الواقدي عند العلماء .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٦٥).

ثم قال الذهبي في ختام ترجمة الواقدي : وقد تقرر أن الواقدي ضعيف يحتاج إليه في الغزوات والتاريخ ونورد آثاره من غير احتجاج ، أما في الفرائض فلا ينبغي أن يذكر ، فهذه الكتب الستة ومسند أحمد وعامة من جَمَعَ في الأحكام تراهم يترخصون في إخراج أحاديث أناس ضعفاء ومتروكين ، ومع هذا لا يخرجون لمحمد بن عمر الواقدي شيئًا .

ثم قال رحمه الله : انعقد الإجماع اليوم على أنه ليس بحجة ، وأن حديثه في عداد الواهي. اهـ[1].

هذا ولا شك أن عالما نحريرًا وحبرًا نجيدًا كابن سعد أعلم بشيخه وروايته ، فهو ينتقي منها ويختار ، إلا أن الأمر لا يسلم بعد مما انتقد عليه .

والناظر في الطبقات يجد أن معظم الأسانيد المروية خاصة في تاريخ الخلفاء والصحابة جاء من طريق محمد بن عمر الواقدي شيخ ابن سعد ، وبعد هذا تجد كثيرًا من المصنفين المعاصرين أو القائمين بالتحقيق - زعمًا - تجدهم يزينون هوامش الكتب بجملة « **رواه ابن سعد في الطبقات** » ، أو « **الخبر في الطبقات لابن سعد** » ، وكأن هذا يكفي لبث الثقة في روع القارئ بأن الخبر صحيح ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأما الكتاب الثاني : « **تاريخ الرسل والملوك والأمم** » للإمام ابن جرير

---

(١) المصدر السابق .

الطبري صاحب التفسير ، وهو إمام علم من أئمة العلماء ، يحكم بقوله ويرجع لرأيه لمعرفته وفضله ، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل العلم في عصره ، وتاريخ الطبري من أوسع كتب التاريخ وأغزرها مادة ، ولكن الطبري رحمه الله قد أسند الأخبار التي وصلته إلى رواتها وألقى بالعهدة عليهم ، فقد قال رحمه الله في مقدمة تاريخ الطبري : وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه ، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه ، دون ما أدرك بحجج القول ، واستُنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه ، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أنباء الحادثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم إلا بإخبار المخبرين ، ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول ، والاستنباط بفكر النفوس ، فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة ولا معنى في الحقيقة **فليُعلم أنه لم يؤت في ذلك من قِبلِنَا وإنما أوتِيَ من قِبَل ناقليه إلينا ، وأنَّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أُدِّيَ إلينا**[1].

كما أن الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – اعتمد رواياته في سيرة الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين - وهو موضوع كتابنا - على تقديم رواية

(١) تاريخ الرسل والملوك والأمم لابن جرير الطبري (ص١٣) ط : الكتب العلمية .

((سيف بن عمر)) ففي هذا الجزء من تاريخ الطبري تجده في غالب الروايات يقول : بعث إلى السُّري عن شعيب عن سيف بن عمر . وهذا السيف قد أجمع علماء الجرح والتعديل على تضعيفه ، وأفحش ابن حبان القول فيه ، فقال : يروي الموضوعات عن الأثبات . واتهم بالزندقة ، ومجموع مروياته في تاريخ الطبري مائتان وست وستون .

أضف إلى ذلك أن مجموع مرويات الطبري عن الواقدي - شيخ ابن سعد السابق ذكره - في (٣١٧) موضعًا من تاريخه .

كما أنك تجد أن الطبري في هذا القسم ((سيرة الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين)) قد روى عن هشام الكلبي (وهو متروك الحديث) كما روى عن أبي مخنف (وهو شيعي محترق) ، كما روى عن ابن إسحاق وابن سعد رحمهما الله .

أما في أخبار الفتن في عهد عثمان ومقتله فقد اعتمد على الواقدي ونقد روايته !! وذكر أنه أعرض عن كثير منها كراهة منه لبشاعتها .

وفي معركة الجمل اعتمد على رواية سيف بن عمر ، وعمر بن شبة (ثقة حافظ) ، وأكملها بروايات عن أحمد بن زهير بن خيثمة (حافظ ثقة) ، وهشام الكلبي ، وأكملها بروايات أخرى عن سيف بن عمر ، وثلاث روايات عن نصر بن مزاحم (شيعي محترق) ، لذا فلينتبه من يقرأ أو ينقل من تاريخ الطبري[1].

---

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامي (ص٤٤٤) بتصرف .

أخي القارئ الكريم : بين يديك طليعة هذه الدراسة التي نسأل الله تعالى أن يجعل لها القبول ، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، فهذا هو المجلد الأول من هذه السلسلة - يسر الله إتمامها - ، ونبدأ فيه بالشيخين **أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، لنتعرف على صديق الأمة الأكبر ، وفاروق الأمة الأواب .**

وبعد تجهيز سيرة الشيخين للطبع ظهر في الأفق سؤال كدنا أن نذوب معه خجلًا وحياءً ، ألا وهو : **هل نستطيع أن نكتب عن سيرة الأئمة في مجلدين على الأقل دون أن نذكر المعلم الذي علّم وربّى هؤلاء الأئمة ؟!!.**

إننا - يشهد الله - نستحي أن نتكلم عن الأئمة دون أن نتقرب إلى الله بذكر شيء من فضائل المعلم الذي علم الدنيا .. المعلم الذي أخرج هؤلاء الأئمة من ظلمات الشرك إلى ضياء التوحيد ، المعلم الذي يأتي يوم القيامة وهؤلاء الأئمة بل الأمة كلها في ميزان حسناته يوم القيامة .

فقدمنا لهذا الكتاب بمقدمة متواضعة - تقربًا إلى الله والتماسًا للبركة - لشيء من فضائل ومعجزات هذا المعلم فصلاةً وسلامًا على معلم الناس الخير .

ثم أتبعناها بفصل عن بعض فضائل الصحابة الكرام وعقيدة أهل السنة فيهم رضي الله عنهم ، ويلاحظ القارئ الكريم أننا قد أطلنا في هذه المقدمة لأننا نعتقد أنها كانت كلمة لا بد منها لمن يريد قراءة ودراسة التاريخ الإسلامي ، ونداءً لا بد منه لمن أراد أن يساهم ولو بقليل في تنقية وغربلة كتب التاريخ الإسلامي - من علمائنا ومشايخنا المحدثين - مما علق بها من أخبار ضعيفة أو واهية .

وختامًا نشكر ربنا ونحمده كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه على ما يَسَّر وأعان وسدد ، ونحمده تعالى على توفيقه ومنّه وفضله ، ونستغفره من التقصير والزلل .

فهذا الكتاب نضعه بين أيدي القراء الكرام ، فمن وجد منهم فيه خيرًا وسيجد إن شاء الله فنرجو أن يتفضل علينا بدعوة صالحة ، ومن وجد فيه مأخذًا أو تقصيرًا وسيجد فنطلب منه أن يقدم العذر وحسن الظن على غيره، وأن ينصحنا ولا يفضحنا ، سترنا الله وإياكم بستره الجميل .

فإن تجد عيبًا فسد الخللا فجل من لا عيب فيه وعلا

كما ندعو الله أن يتقبل منا هذه المحاولة ، وأن يبارك فيها لتقع في نفس القارئ المسلم موقع الرضا والتأثير والإقناع ، وأن يتجاوز سبحانه عن تقصيرنا فيها ، وأن يحفظها لنا ثوابًا وبركة في القبر ويوم العرض .

إن ربي سميع قريب مجيب ، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المؤلفان

في ٢٦ شعبان ١٤١٩هـ

١٥ ديسمبر ١٩٩٨م

صلاة وسلاما على معلم الناس الخير

صلاة وسلامًا على إمام الأنبياء .. وإمام الأتقياء .. وإمام الأصفياء .

صلاةً وسلامًا على خاتم الأنبياء .. وسيد المرسلين .. وقائد الغُر المحجلين .

صلاةً وسلامًا على صاحب الشفاعة العظمى يوم الدين .. وصاحب المقام المحمود واللواء المعقود والحوض المورود .

صلاة وسلامًا على من شرح الله له صدره ، ورفع له ذكره ، ووضع عنه وزره ، وزكاه في كل شيء .

صلاةً وسلامًا على من زكّاه ربّه في عقله فقال : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم : ٢]

صلاة وسلامًا على من زكّاه ربّه في بصره فقال : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم : ١٧]

صلاة وسلامًا على من زكّاه ربّه في صدره فقال : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح : ١]

صلاةً وسلامًا على من زكاه ربه في طُهره فقال : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ [الشرح : ٢]

صلاةً وسلامًا على من زكاه ربه في ذكره فقال : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح : ٤]

صلاة وسلامًا على من زكاه ربه في صدقه فقال : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾

[النجم :٣]

صلاةً وسلامًا على من زكاه ربه في علمه فقال : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾

[النجم :٥]

صلاةً وسلامًا على من زكاه ربه في حلمه فقال : ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨]

صلاةً وسلامًا على من زكاه ربه كله فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[القلم : ٤]

فصلاة وسلامًا عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

الفصل الأول

شيء من فضائله ﷺ

لقد خلق الله الأرض ، واختار منها بلده الحرام ، ففضلها على سائر بقاع الأرض ، وخلق الله السموات سبعًا ، واختار العليا وفضلها فجعلها بالقرب من كرسيه ومن عرشه جل وعلا .

وخلق الله الجنان وفضل الفردوس فجعل سقفها عرش الرحمن .

وخلق الله الملائكة واصطفى منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل .

فجبريل صاحب الوحي الذي به حياة القلوب والأرواح .

وميكائيل صاحب القطر الذي به حياة الأرض ومن عليها من الأحياء .

وإسرافيل صاحب الصور الذي بنفخته يبعث الناس من القبور ليوم النشور .

وخلق الله البشر واصطفى منهم الأنبياء والرسل ، واصطفى من الرسل أولي العزم الخمسة ، واصطفى من أولي العزم خليله وحبيبه محمدًا ﷺ وعلى جميع الأنبياء والرسل .

ومما يدل على فضله صلوات الله وسلامه عليه : قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٨١]

قال ابن كثير رحمه الله : قال علي بن أبي طالب وابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : ما بعث الله نبيًّا من الأنبياء إلا أخذ الله عليه الميثاق لئن بعث محمدًا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه . وقال طاوس والحسن البصري وقتادة : أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضًا ، وهذا لا يضاد ما قاله عليّ وابن عباس ولا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه .

ثم قال رحمه الله : فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين ، وهو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد ، لكان هو الواجب الطاعة ، المقدم على الأنبياء كلهم ، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس .اهـ[1].

* اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالشفاعة في ذلك اليوم العصيب يوم القيامة حين يتخلى كل نبي عنها من عظم هول الموقف ، ويقول : نفسي نفسي، فيقوم لها الرحمة المهداة ﷺ ، وهذا - كما قال ابن كثير- رحمه الله : ((هو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له ، والذي يحيد عنه أولوا العزم من الأنبياء والمرسلين ، حتى تنتهي النَّوبة إليه فيكون هو المخصوص به))[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٨) .

(٢) المصدر السابق .

* قال الله ﷻ لرسوله ﷺ : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨ - ٧٩]

قال ابن كثير رحمه الله : لرسول الله ﷺ تشريفات يوم القيامة لا يشركه فيها أحد ، وتشريفات لا يساويه فيها أحد ، فهو أول من تنشق عنه الأرض ، ويبعث راكبًا إلى المحشر ، وله اللواء الذي آدم فمن دونه تحت لوائه ، وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثر واردًا منه ، وله الشفاعة العظمى عند الله ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق ، وذلك بعدما يسأل الناس آدم ثم نوحًا ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، فكل يقول : ((لست لها)) ، حتى يأتوا إلى محمد ﷺ فيقول : ((**أنا لها ، أنا لها**)) .

ومن ذلك أنه يشفع في أقوام قد أُمِر بهم إلى النار فيردُّون عنها .

وهو أول الأنبياء يُقضى بين أمته ، وأولهم إجازة على الصراط بأمته ، وهو أول شفيع في الجنة ، وهو أول داخل إليها ، وأمته قبل الأمم كلها .

ويشفع في درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم ، وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلى منزلة في الجنة ، والتي لا تليق إلا له .

وإذا أذن الله في الشفاعة للعصاة شفع الملائكة ، والنبيون ، والمؤمنون ، فيشفع هو في خلائق لا يعلم عدتهم إلا الله ، ولا يشفع أحدٌ مثله ، ولا يساويه

في ذلك»(١).

ونسوق فيما يلي حديثين من أحاديث الشفاعة، ففيهما عبرة وعظة.

* فعن أبي هريرة ﷺ قال: أُتِيَ رسول الله ﷺ يومًا بلحم، فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه -، فنهس منها نهسة، فقال: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَولِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ! اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَة فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ! أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهم: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦).

قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي ، نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيم فَيَقُولُونَ : أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَذَكَرَ كَذِبَاتِهِ ، نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى ، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُونَ : يَا مُوسَى ! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا ، نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ : يَا عِيسَى ! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا ، نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ ! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ ،

وَيُلهِمُنَي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ! ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَرْفَع رَأْسِي فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ! أُمَّتِي أُمَّتِي ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ! أَدْخِلِ الجَنَّةَ منْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّد بِيَدِهِ ! إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى »(١).

وفي حديث أنس بن مالك ﷺ يقول رسول الله ﷺ : « فَيَأْتُونِي ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي ، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللهُ ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ! ارْفَعْ رَأْسَكَ ، قُلْ تُسْمَعْ ، سَلْ تُعْطَهْ ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمنِيهِ رَبِّي ، ثُمَّ أَشْفَعُ ، فَيَحُدُّ لِي حدًّا فَأُخْرِجُهُم مِنَ النَّارِ ، وَأُدْخِلُهُم الجَنَّةَ ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا ، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعُنِي ، ثُمَّ يُقَالُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ ، قُلْ تُسْمَعْ ، سَلْ تُعْطَهْ ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمَنِيهِ ، ثُمَّ أَشْفَعُ ، فَيَحُدُّ لِي حدًّا فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ ، (قَالَ : فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ) فَأَقُولُ :

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٧١٢) في تفسير سورة بني إسرائيل ، باب : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ ، ومسلم رقم (١٩٤) في الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، واللفظ له ، والترمذي رقم (٢٤٣٦) في القيامة .

يَا رَبِّ ! مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبِسَهُ القُرْآنُ ، أَيْ : وَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ »[1].

فضع خدك أيها المسلم على التراب شاكرًا أن جعلك الله من أمة هذا النبي العظيم الكريم على الله ﷻ ، والذي يذكر - أول ما يذكر في ذلك الموقف - أمته ، فيشفع لها ، وذلك حين يقول : « يَا رَبِّ ! أُمَّتِي أُمَّتِي » ، فصلوات الله وسلامه على نبينا محمد ، وجزاه الله عنا أفضل ما جزى نبيًّا عن أمته ، ونسأل الله سبحانه الثبات على ذلك حتى المات ، ونعوذ بالله من البدع والأهواء ، ومن شر الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، ومن الضلالة بعد الهدى ، ومن الحور بعد الكور ، إنه سميع مجيب ، وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه الكريم : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] . ويقول عز من قائل : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧]

ولقد قال ابن عمر - رضي الله عنهما -: « إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثًا ، كل أمة تتبع نبيها ، يقولون : يا فلان ! اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود »[2].

* ومن فضائل رسولنا وحبيبنا ، وقدوتنا محمد بن عبد الله أنه أسري به

---

(١) رواه البخاري رقم(٦٥٦٥) في : الرقاق ، باب : صفة الجنة والنار ، ومسلم رقم (١٩٣) في : الإيمان ، واللفظ له .

(٢) رواه البخاري رقم(٤٧١٨) في تفسير سورة بني إسرائيل، باب ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ .

من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عرج به إلى السموات العلى حيث رأى من آيات ربه الكبرى ، وفرضت عليه الصلوات الخمس .

قال الله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾
[الإسراء : ١]

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **أَتَيْتُ بِالْبُرَاقِ - وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الحِمَارِ وَدُونَ البَغْلِ . يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهى طَرَفِهِ - قَالَ : فَرَكَبْتُهُ حَتَّى أَتيتُ بَيْتَ المَقْدِسِ ، قَالَ : فَرَبَطْتُهُ بِالحَلَقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ ، قَالَ : ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ خَرَجْتُ ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ ﷺ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ ، فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ : اخْتَرْتَ الفِطْرَةَ . ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ . قِيلَ : وَقَدْ بعثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بعثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنا . فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ . فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ . فَاسْتَفْتِحْ جِبْرِيلُ ﷺ . فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ . قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بَابْنَي الخَالَةِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا صَلَوَات الله عَلَيْهِمَا فَرَحَّبَا بِي وَدَعَوا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ . فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَن مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمدٌ ﷺ . قِيلَ :**

وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفَتَحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ . فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ . ثُمَّ عرج بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ . قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ . قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفَتَحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ . قَالَ اللهُ ﷻ : ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥٧] . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الخَامِسَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ . قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ . قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفَتَحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ﷺ ، قَيلِ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدُ ﷺ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفَتَحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ﷺ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفَتَحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى البَيْتِ المَعْمُورِ . وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ المُنْتَهَى ، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الفِيَلَةِ ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ ، قَالَ : فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهُ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ الله يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى ، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَنَزَلَت إِلَى مُوسَى فَقَالَ : مَا

فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ ؟ قُلْتُ : خَمْسِينَ صَلَاةٍ . قَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتكَ لَا يَطِيقُونَ ذَلِكَ ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ . قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي ، فَقُلْتُ : يَا رَبِّ ! خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي . فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقُلْتُ : حَطَّ عَنِّي خَمْسًا . قَالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ . فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، قَالَ : فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَبَيْنَ مُوسَى ﷺ ، حَتَّى قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً ، وَمَنْ هم بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا ، وَمَنْ هم بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً ، قَالَ : فَنَزَلت حَتَّى انْتَهَيْتَ إِلَى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ . فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : فَقُلْتُ : قَدْ رَجِعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ »(١).

* ومن فضائله أيضًا التي جاءت على لسان الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال ﷺ : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَبِيَدِي لِوَاءِ الحَمْدِ وَلَا فَخْرَ ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ

(١) رواه البخاري رقم (٣٢٠٧) في : بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة ، ومسلم رقم (١٦٢) في : الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ، والترمذي رقم (٣٣٤٣) في التفسير ، والنسائي (١/ ٢١٧ - ٢١٨) في الصلاة .

- آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ - إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرَ))[1].

قال ابن الأثير : قال ﷺ في هذا الحديث : ((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ)) . وقال في ذكر يونس عليه السلام : ((مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنَ مَتَّى وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ))[2]. وقال : ((لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ)).

ووجه الجمع بينهما : أن قوله : ((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ)) إنما هو إخبار عما أكرمه الله تعالى به من الفضل والسؤدد ، وتحدث بنعمة الله عنده وإعلام أمته بذلك ليكون إيمانهم به على حسب ذلك . وأما قوله في يونس عليه السلام ، فيحتمل أن يكون أراد بقوله : لا ينبغي لعبد ، أو لأحد غير نفسه ، أو أن يكون عامًّا فيه وفي غيره من الناس ، فيكون هذا على سبيل الهضم وإظهار التواضع لربه ، يقول : لا ينبغي لي أن أقول : أنا خير منه ، لأن الفضيلة التي نلتها كرامة من الله ، وخصوصية منه لم أنلها من قِبَل نفسي ، ولا بلغتها بقوتي فليس لي أن أفتخر بها ، وإنما يجب علي أن أشكر عليها ربي ، وإنما خص يونس بالذكر لما قصه الله علينا من شأنه ، وما كان من قلة صبره على أذى قومه ، فخرج مغاضبًا ، ولم يصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل . اهـ[3].

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٦١٨) في المناقب ، وهو في صحيح الجامع رقم (١٤٦٨) .

(٢) أخرجه البخاري رقم (٣٤١٣) في الأنبياء ، باب قول الله تعالى ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ، وبنحوه رواه أبو داود رقم (٤٦٧٠) في : السنة ، باب : التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

(٣) جامع الأصول (٨/ ٥٢٧) .

* وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال : ((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ)) .

وفي رواية الترمذي : ((أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ ، فَأُكْسَى حُلَّةً مِنْ حُلَلِ الجَنَّةِ ، ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ العَرْشِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الخَلاَئِقِ يَقُومُ ذَلِكَ المَقَامِ غَيْرِي))[1].

* وعن واثلة بن الأسقع سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ))[2].

وفي مسند أحمد : ((أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ فَجَعَلَنِي خَيْرَهُمْ ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ فِرْقَةً ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بُيُوتًا ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا ، فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا وَأَنَا خَيْرُكُمْ نَفْسًا))[3].

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٢٧٨) في : الفضائل ، باب : تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ، وأبو داود رقم (٤٧٦٣) في السنة ، باب : في التخيير بين الأنبياء ، والترمذي رقم (٣٦١٥) في : المناقب .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٢٧٦) في : الفضائل ، باب : فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ، والترمذي رقم (٣٦٠٥) .

(٣) حسن : رواه أحمد في المسند (١/ ٢١٠) رواه الترمذي رقم (٣٦١٠) في : المناقب ، باب : ما جاء في فضل النبي ﷺ ، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع رقم (١٤٧٢) .

* وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ :

((أُعْطِيْتُ خَمْسًا لَمْ يُعطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَر وَأَسْوَدَ ، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ ، وَلَمْ تَحُلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، فَأَيُّما رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ ، وَأُعْطِيْتُ الشَّفَاعَةَ))(١).

* وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ : أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ))(٢).

قال البخاري : بلغني أن جوامع الكلم : أن الله ﷻ يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والاثنين .

وقال ابن الأثير : قوله ((جوامع الكلم)) : أراد به القرآن ، جمع الله بلطفه في الألفاظ اليسيرة منه معاني كثيرة، وكذلك ألفاظه ﷺ كانت قليلة الألفاظ ، كثيرة المعاني .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٣٥) في : التيمم ، باب : التيمم ، ومسلم رقم (٥٢١) في : المساجد ، في فاتحته ، والنسائي (١/ ٢١٠-٢١١) في : الغسل .

(٢) رواه البخاري رقم (٢٩٧٧) في : الجهاد ، باب : قول النبي ﷺ ((نصرت بالرعب مسيرة شهر)) ، ومسلم رقم (٥٢٣) في : المساجد ومواضع الصلاة في فاتحته ، واللفظ له ، والترمذي رقم (١٥٥٣) في السير .

وقوله : ((**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ**)) ؛ قال ابن الأثير : الرعب : الفزع والخوف ، ذلك : أن أعداء النبي ﷺ كان قد أوقع الله في قلوبهم الرعب ، فإذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر هابوا وفزعوا منه ، فلا يقدمون على لقائه . اهـ[١].

* وفي الصحيحين من حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه **قال** : قال رسول الله ﷺ : ((**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمنَ عَلَيْهِ البَشَرُ وَإِنَّما كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَة**))[٢].

* وفي الصحيحين من حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه **قال** : قال رسول الله ﷺ : ((**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ : هَلَا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ ؟ قَالَ : فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ**))[٣].

* وأخرج الإمام مسلم من حديث **أنس بن مالك** رضي الله عنه **قال** : قال رسول الله ﷺ : ((**آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَأَسْتَفْتِحُ ، فَيَقُولُ الخَازِنُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَقُولُ : مُحَمَّدٌ ، فَيَقُولُ : بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**))[٤].

---

(١) جامع الأصول (٨/ ٥٣١) .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٩٨١) في : فضائل القرآن ، باب : كيف نزول الوحي ، واللفظ له ، ومسلم رقم (١٥٢) في : الإيمان ، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ .

(٣) رواه البخاري رقم (٣٥٣٥) في : الأنبياء ، باب : خاتم النبيين ﷺ ، ومسلم رقم (٢٢٨٦) في : الفضائل ، باب : ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين .

(٤) رواه مسلم رقم (١٩٧) في : الإيمان ، باب : قول النبي ﷺ : ((**أنا أول الناس يشفع في الجنة**)) .

* وفي مسند أحمد عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله : ((أَنَا أَوَّلَ مَنْ يَأْخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الجَنَّةِ فَأَقَعْقِعُهَا[1]))[2].

* وفي البخاري من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ وَهُوَ نَائِمٌ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ نَائِمٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ وَالقَلْبُ يَقْظَانُ ، فَقَالُوا : إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا ، قَالَ : فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ نَائِمٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ وَالقَلْبُ يَقْظَانُ ، فَقَالُوا : مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَة وَبَعَثَ دَاعِيًا ، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِي دَخَلَ الدَّارَ ، وَأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِي لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ ، فَقَالُوا : أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهها . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ نَائِمٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ وَالقَلْبَ يَقْظَانُ ، فَقَالُوا : فَالدَّارُ الجَنَّةُ ، وَالدَّاعِي : مُحَمَّدٌ ﷺ ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللهُ ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا فَقَدْ عَصَى اللهُ ، وَمُحَمَّدٌ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ))[3].

* وعند مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الجِنِّ ، وَقَرِينُهُ مِنَ المَلَائِكَةِ ،

---

(١) أي : أحركها .

(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٤٥٩) وقال : رواه أحمد والترمذي .

(٣) رواه البخاري رقم (٧٢٨١) في : الاعتصام ، باب : الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

قَالُوا : وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : « وَإِيَّايَ ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانني عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ »(١).

* وأخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : تلا رسول الله ﷺ قول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم . ٣٦] وقول عيسى عليه السلام : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة . ١١٨] ، فرفع يديه وقال : « اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي وَبَكَى ، فَقَالَ اللهُ ﷻ : يَا جِبْرِيلُ : اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ فَسَلْهُ : مَا يُبْكِيهِ ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَسَأَلَهُ ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ - وَهُوَ أَعْلَمُ - فَقَالَ اللهُ : يَا جِبْرِيلُ ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ لَهُ : إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤُكَ »(٢).

* ومن فضائله ﷺ أن الله أيده بالمعجزات الباهرة .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٨١٤) في : صفات المنافقين ، باب : تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتن الناس .

القرين : المصاحب وكل إنسان معه قرينًا من الملائكة وقرينًا من الشياطين ، فقرينه من الملائكة يأمره بالخير ويحثه عليه ، وقرينه من الشياطين يأمره بالشر ويحثه عليه ، وفقنا الله لاتباع قرين الخير ، ومخالفة قرين الشر . قاله ابن الأثير في جامع الأصول (٨/ ٥٤٥) .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٠٢) في: الإيمان ، باب : دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم .

الفصل الثاني

شيء من معجزات رسول الله ﷺ

إن من فضائل رسولنا محمد ﷺ أن الله تعالى قد أيده بالمعجزات الباهرة ، تأييدًا منه سبحانه لعبده ورسوله محمد ﷺ ، وبرهانًا على صدقه ودليلًا على علو شأنه ورفعة مكانته عند ربه ، وأعظم آية أعطيها رسول الله ﷺ القرآن الكريم ، ولهذا يقول : ((**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أَعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ**))[1].

والآيات والمعجزات التي أيَّد الله تعالى بها رسوله ﷺ كثيرة ، وسنكتفي بذكر بعضها ، إذ ليس الهدف في هذه المقدمة حصرها :

*** انشقاق القمر**

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذا انفلق القمر فلقتين ، فكانت فلقة وراء الجبـل ، وفلقة دونه ، فقال لنا رسول الله ﷺ :

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٩٨١) في : فضائل القرآن ، باب : كيف نزل الوحي وأول ما نزل ، ومسلم رقم (١٥٢) في : الإيمان ، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ، ونسخ الملل بملته .

((اشْهَدُوا))[1].

وعن أنس بن مالك ﷺ أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر مرتين[2].

※ حنين الجذع

فعن جابر بن عبد الله ﷺ : أرسل رسول الله ﷺ إلى امرأة من الأنصار فقال : ((مُرِي غُلَامَكِ النَّجَارَ أَنْ يَعْمَلَ لِي أَعْوَادًا أَجْلِسُ عَلَيْهِنَّ إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ)) فأمرته ، فعملها من طرفاء الغابة ، ثم جاء بها ، فأمر بها فوضعت .

قال جابر : فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار ، حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه[3].

قال جابر : كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٨٦٤) في : سورة ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ باب : ﴿ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا ﴾ ومسلم رقم (٢٨٠٠) في : صفة القيامة والجنة والنار ، باب : انشقاق القمر ، والترمذي رقم (٣٢٨١ ، ٣٢٨٣) .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٨٦٧ ، ٤٨٦٨) في : التفسير ، باب : ﴿ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا ﴾ ، ومسلم رقم (٢٨٠٢) في : صفات المنافقين ، باب : انشقاق القمر ، والترمذي رقم (٣٢٨٢) في : التفسير .

(٣) رواه البخاري رقم (٩١٧) في : الجمعة ، باب : الخطبة على المنبر ، والنسائي (٣/ ١٠٢) في : الجمعة ، باب : مقام الإمام في الخطبة .

*** ومن معجزاته ﷺ نبع الماء من بين أصابعه**

* عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : عطش الناس يوم الحديبية ، والنبي ﷺ بين يديه ركوة ، فتوضأ ، فجهش الناس نحوه ، فقال : ((**مَا لَكُمْ ؟**)) قالوا : ليس عندنا ما نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده في الرّكوة ، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا ، قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا . كنا خمس عشرة مائة[1].

* وعن أنس بن مالك ﷺ قال : رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه ، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء ، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده ، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه ، قال : فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ، فتوضأ الناس ، حتى توضؤوا من عند آخرهم . قال قتادة : قلت لأنس : كم كنتم ؟ قال : ثلاثمائة ، أو زهاء ثلاثمائة[2].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : كنا نعد الآيات البركة ، وأنتم تعدونها تخويفًا ، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فقلّ الماء ، فقال : اطلبوا فضلة من ماء ،

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٥٧٦) في : لأنبياء ، باب : علامات النبوة في الإسلام ، ومسلم رقم (١٨٥٦) في : الإمارة ، باب : استحباب مبايعة الإمام .

(٢) رواه البخاري رقم (١٦٩) في : الوضوء ، باب : التماس الوضوء إذا حانت الصلاة ، ومسلم رقم (٢٢٧٩) في : الفضائل ، باب : من معجزات النبي ﷺ ، والموطأ (١/ ٣٢) في : الطهارة ، والنسائي (١/ ٦٠) في الطهارة ، والترمذي رقم (٣٦٣٥) في : المناقب .

فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ، ثم قال : ((حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ ، وَالبَرَكَةُ مِنَ الله)) فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

* ومن معجزاته ﷺ تكثير الطعام والشراب :

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصًا شديدًا ، فانكفيت إلى امرأتي ، فقلت : هل عندك شيء ؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا ، فأخرجت إليّ جرابًا فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة داجن فَذَبَحْتُها ، وطَحَنت الشعير ، ففرغَتْ إلى فراغِي ، وقطعتُها في بُرمتها ، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت : لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه ، فَجِئْتُهُ فسارَرْتُه ، فقلت : يا رسول الله ! ذبحنا بُهيمةً لنا وطحنّا صاعًا من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر من أصحابك ، فصاح النبي ﷺ : ((يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ ! إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَع سُورًا[1] فَحَيَّهَلَا بِكُمْ))[2]. فقال رسول الله ﷺ : ((لَا تُنْزِلَنَّ بُرْمَتَكُمْ ، وَلَا تَخْبِزَنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ)) فجئتُ ، وجاء رسول الله ﷺ يقدُمُ الناس ، حتى جئت امرأتي فقالت : بك وبك[3] ، فقلت : قد فعلت الذي قلت فأخرجت له عجينًا ، فبصق به وبارك ، ثم عمد إلى

---

(١) السّور بدون همزة هو : الطعام .

(٢) أي : هلموا مسرعين .

(٣) أي : أنها ذمته ودعت إليه .

بُرمتنا فبصق وبارك ، ثم قال : ((**ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ ، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ ، وَلَا تُنْزِلُوهَا**)) ، وهم ألف ، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن برمتَنَا لتغطّ كما هي ، وإن عجيننا ليُخبز كما هو[1].

وفي البخاري ومسلم من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما ، قال : كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة ، فقال النبي ﷺ : ((**هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ ؟**)) فإذا مع رجل صاعٌ من طعام ، أو نحوه ، فعُجن ، ثم جاء رجل مشرك مُشعان[2] طويل بغنم يسوقها ، فقال النبي ﷺ : ((**بَيْعًا أَمْ عَطِيَّةً ؟**)) أو قال : ((**هِبَةً ؟**)) قال : لا ، بل بيع ، فاشترى منه شاة ، فَصُنِعتْ ، وأمر النبي ﷺ بسواد البطن أن يشوى ، وايم الله ما في الثلاثين والمائة إلا وقد حزّ النبي ﷺ له حَزّةً من سواد بطنها (يعني الكبد) إن كان شاهدًا أعطاه إياه ، وإن كان غائبًا خبأ له فجعل منها قصعتين ، فأكلوا أجمعون ، وشبعنا ، ففضلت القصعتان فحملناه على البعير[3].

وعن سلمة بن الأكوع ﷺ قال : خرجـنا مع رسول الله في غزوة فأصـابنا

---

(١) رواه البخاري رقم (٤١٠٢) في : كتاب المغازي ، باب : غزوة الخندق ، واللفظ له ، ومسلم رقم (٢٠٣٩) كتاب الأشربة ، باب : جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك ، وبتحققه تحققًا تامًّا ، واستحباب الاجتماع على الطعام .

(٢) مُشعان الرأس : إذا كان منتفش الشعر ثائر الرأس .

(٣) رواه البخاري رقم (٢٦١٨) في : الهبة ، باب : قبول الهدية من المشركين ، ومسلم رقم (٢٠٥٦) في : الأشربة ، باب : إكرام الضيف وفضل إيثاره .

الجهد . وفي رواية البخاري : خفّت أزواد الناس وأملقوا (أي : فني زادهم) فأتوا النبي في نحر إبلهم (المراد استأذنوه في نحر إبلهم) فأذن لهم ، فلقيهم عمر ، فأخبروه ، فقال : ما بقاؤكم بعد إبلكم ؟ فدخل عمر على النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! ما بقاؤهم بعد إبلهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **نَادِ فِي النَّاسِ يَأْتُونَ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ** » ، ودعا وبَرَّك عليهم ، ثم دعاهم بأوعيتهم فاحتثى الناس حتى فرغوا ، ثم قال رسول الله ﷺ : « **أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ** »[1].

وعن أبي هريرة ﷺ كان يقول : آللهِ الذي لا إله إلا هو ! إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمرّ أبو بكر فسألته عن آية في كتاب الله ؟ ما سألته إلا ليستتبعني ، فمر ولم يفعل ، ثم مرّ بي عمر فسألته عن آية في كتاب الله ؟ ما سألته إلا ليستتبعني ، فمرّ ولم يفعل، ثم مرّ بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي ، وما في وجهي ، ثم قال : « **يَا أَبَا هِرٍّ** ». قلت : لَبَّيك يا رسول الله ! ، قال : « **الحقْ** » ، ومضى فتبعته ، فدخل ، فاستأذن ، فأذن لي ، فدخل ، فوجد لبنًا في قدح ، فقال : « **مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ ؟** » قالوا : أهداه لك فلان أو فلانة ، قال : « **أَبَا هِرٍّ** » ،

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٩٨٢) في : الجهاد ، باب : حمل الزاد في الغزو ، ومسلم رقم (١٧٢٩) في : اللقطة ، باب : استحباب خلط الأزواد .

قلت : لبيك يا رسول الله ! قال : ((**الحقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي**)) ، قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يأوون إلى أهل ولا مالٍ ، ولا على أحد ، إذا أتته صدقةٌ بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيء ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم ، وأصاب منها وأشركهم فيها ، فساءني ذلك ، فقلت : وما هذا اللبن في أهل الصفة ؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوّى بها ، فإذا جاؤوا أمرني فكنت أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُد ، فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا واستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت . قال : ((**يَا أَبَا هِرٍّ**)) . قلت : لبيك يا رسول الله ! قال : ((**خُذْ فَأَعْطِهِمْ**)) ، فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد عليّ القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يردّ عليّ القدح فيشرب حتى يروى ، ثم يرد عليّ القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روي القوم كلهم ، فأخذ القدح فوضعه على يده ، فنظر إلي فتبسم ، فقال : ((**أَبَا هِرٍّ**)) قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : ((**بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ**)) قلت : صدقت يا رسول الله ، قال : ((**اقْعُدْ فَاشْرَبْ**)) فقعدت فشربت ، فقال : ((**اشْرَبْ**)) فشربت ، فما زال يقول : ((**اشْرَبْ**)) حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكًا ، قال : فأرني ، فأعطيته القدح ، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة[1].

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٤٥٢) في : الرقاق ، باب : كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ، والترمذي رقم (٢٤٧٩) في : صفة القيامة .

* وعن جابر بن سمرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الآنَ))(١).

*** ومن معجزاته إخباره ببعض الأمور المستقبلية التي أطلعه الله عليها . ووقوعها كما أخبر**

فعن عدي بن حاتم ﷺ قال : بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال : ((يَا عَدِيَّ هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ ؟)) قلت : لم أرها ، وقد أنبئتُ عنها ، قال : ((فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللهُ)) - قلت : فيما بيني وبين نفسي : فأين دُعَّار طيء الذين قد سعروا البلاد ؟- ((وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَىٰ)). قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : ((كِسْرَىٰ بْنُ هُرْمُزَ لَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ ، أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ يُتَرْجِمْ لَهُ ، فَيَقُولَنَّ : أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغكَ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، فَيَقُولُ : أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى . فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا جَهَنَّمَ ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا جَهَنَّمَ)) . قال عدي : سمعت النبي ﷺ يقول : ((اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٢٧٧) في : الفضائل ، باب : فضل النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة .

لَمْ يَجِدْ شِقَّ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ)).

قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترونّ ما قال النبي أبو القاسم : يخرج ملء كفه[1].

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ، وهو يَقسم قسمًا ، إذ أتاه ذو الخويصرة - وهو رجل من بني تميم - فقال : يا رسول ! اعدل . فقال : ((وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ)) فقال عمر : يا رسول الله ! ائذن لي فيه فأضرب عنقه . فقال : ((دَعْهُ ! فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ ، يَقْرَؤُونَ القُرآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيهِ - وَهُوَ قِدْحُهُ - فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثُ وَالدَّمُ ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْل ثَدْي المَرْأَةِ ، أَوْ مِثْلَ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ)).

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم ، وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل ، فالتمس ، فأتي

(١) رواه البخاري رقم (٣٥٩٥) في : المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام .

به ، حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته[١].

وفي حديث زيد بن وهب الجهني : أنه بعدما قُتل الخوارج قال عليّ ﷺ : التمسوا فيهم المخدج ، فالتمسوه فلم يجدوه ، فقام علي ﷺ بنفسه حتى أتى ناسًا قد قتل بعضهم على بعض قال : أخروهم ، فوجدوه مما يلي الأرض ، فكبر ، ثم قال : صدق الله ، وبلغ رسوله ، فقام إليه عبيدة السلماني ، فقال : يا أمير المؤمنين ! الله الذي لا إله إلا هو لسمعت هـذا الحـديث من رسول الله ﷺ ؟ فقال : إي والله الذي لا إله إلا هو ، حتى استحلفه ثلاثًا ، وهو يحلف له[٢].

* **ومن معجزاته ﷺ كف الأعداء عنه ﷺ**

قال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ .

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال أبو جهل : هل يُعَفِّر محمد وجهه بين أظهركم ؟ (أي يسجد) قال : فقيل : نعم ، فقال : واللات والعزى ! لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب . قال : فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ، زعم ليطأ على رقبته . قال : فما فجئهم منه إلا وهو ينكُصُ على عقبيه ويتقي بيديه . قال : فقيل له : ما لك ؟

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦١٠) في : المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام ، ومسلم رقم (١٠٦٣) في : الزكاة ، باب : ذكر الخوارج وصفاتهم .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

فقال : إن بيني وبينه خندقًا من نارٍ وهولًا وأجنحة . فقال رسول الله ﷺ : ((لَوْ دَنَا مِنِّي لاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا))[١].

وفي حديث الهجرة الطويل يقول أبو بكر الصديق ﷺ : فارتحلنا ، والقوم يطلبوننا ، فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك على فرس له ، فقلت : يا رسول الله ! هذا الطلب قد لحقنا ، قال : ((لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا)) حتى إذا دنا منه ، فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو قال : رمحين أو ثلاثة . قال : ((وَلِمَ تَبْكِي ؟)) قلت : أما - والله - ما على نفسي أبكي ، ولكن أبكي عليك ، فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال : ((اللَّهُمَّ اكْفِنَا بِمَا شِئْتَ)) ، فساخت (غاصت) قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد ، ووثب عليها ، وقال : يا محمد ! قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه ، فوالله لأعمينّ على من ورائي من الطلب ، وهذه كنانتي فخذ منها سهمًا ، فإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك ، قال : فقال رسول الله ﷺ : ((لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا))[٢].

وفي البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : غزونا مع رسول الله ﷺ غزاة قبل نجد ، فأدركنا رسول الله ﷺ في القائلة في وادٍ

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٧٩٧) في : صفات المنافقين ، باب : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾.

(٢) رواه البخاري رقم (٣٦٥٢) في : الفضائل ، باب : مناقب المهاجرين وفضلهم ، ورقم (٣٩٠٥) في : مناقب الأنصار ، باب : هجرة النبي ﷺ ، ومسلم رقم (٢٠٠٩) في : الأشربة ، باب : جواز شرب اللبن ، ورواه أيضًا أحمد في المسند (١/ ٣) رقم (٣).

كثير العِضاة (شجر له شوك ، كالسلم والأراك) فنزل رسول الله ﷺ تحت الشجرة فعلق سيفه بغصنٍ من أغصانها ، وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر ، فقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَأَخَذَ السَّيْفَ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدَيْهِ ، فَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتُ : الله ، فَشَامَ السَّيْفُ ، فَهَا هُو ذَا جَالِسٌ » ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ وكان ملك قومه فانصرف حين عفا عنه ، فقال : لا أكون في قوم هم حربٌ لك[1].

* ومن معجزاته إجابة دعائه ﷺ

ففي صحيح مسلم[2] من حديث أبي هريرة ﷺ قال : كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة ، فدعوتها يومًا ، فأسمعتني في رسول الله ما أكره ، فأتيت إلى رسول الله وأنا أبكي ، قلت : يا رسول الله ! إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره ، فادع الله تعالى أن يَهْدي أم أبي هريرة ، فقال رسول الله ﷺ : « اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ » فخرجت مستبشرًا بدعوة نبي الله ﷺ ، فلما جئت فصرت إلى الباب ، فإذا هو مُجاف (مغلق) ، فسمعت أمي خَشفَ قدميّ (الخشف والخشفة : الصوت والحركة) فقالت : مكانك يا أبا هريرة ، وسمعت خضخضة الماء ،

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٩١٣) في : الجهاد ، باب : تفرق الناس عند الإمام عند القائلة ، ومسلم رقم (٨٤٣) في : الفضائل ، باب : توكله ﷺ على الله وعصمة الله تعالى له من الناس .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٤٩١) في : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أبي هريرة الدوسي ﷺ .

فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ، ففتحت الباب ، ثم قالت : يا أبا هريرة ! أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح ، قال : قلت : يا رسول الله ! أبشر فقد استجاب الله دعوتك ، وهدى أم أبي هريرة ، فحمد الله وقال خيرًا . قال : قلت : يا رسول الله ! ادع الله أن يُحَبِّبَني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « **اللَّهُمْ حَبِّبْ عُبَيْدِكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَة - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمَا الْمُؤْمِنِينَ** » فما خُلِق من مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس ، وقد نُحِرت جزور (بعير) بالأمس ، فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه على كتفي محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه ، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه ، قال : فاستضحكوا ، وجعل بعضهم يميل على بعض ، وأنا قائم أنظر ، فلو كانت لي منعةٌ طرحتُهُ عن ظهر رسول الله ﷺ ، والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة ، فجاءت - وهي جويرية - فطرحته عنه ، ثم أقبلت عليهم تشتمهم ، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ، ثم دعا عليهم - وكان إذا دعا دعا ثلاثًا ، وإذا سأل سأل ثلاثًا - ثم قال : « **اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ** » ثلاث مرات فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك ، وخافوا

دعوته ، ثم قال : « **اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ ابْنِ رَبِيعَةَ ، وَالوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ ، وَعُقْبَةَ بْن أَبِي مُعِيطٍ** » (وذكر السابع ولم أحفظه) قال : فوالذي بعث محمدًا ﷺ بالحق ! لقد رأيت الذين سمى صرعى ، ثم سحبوا إلى القليب[1] ، قليب بدر[2].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : كان رجل نصرانيًّا أسلم وقرأ البقرة وآل عمران ، فكان يكتب للنبي ﷺ فعاد نصرانيا ، فكان يقول : ما يدري محمد إلا ما كتبت له ، فأماته الله ، فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا ، فألقوه ، فحفروا له فأعمقوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم ، فألقوه خارج القبر ، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ، فأصبح قد لفظته الأرض ، فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه[3].

---

(١) القليب : هو البئر التي هي غير مطوية . قاله ابن الأثير .

(٢) رواه البخاري رقم (٢٤٠) في : الوضوء ، باب : إذا ألقي على ظهر المصلي قذرًا أو جيفة لم تفسد عليه صلاته ، ومسلم رقم (١٧٩٤) في : الجهاد ، باب : ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، واللفظ له ، والنسائي (١/ ١٦١) في : الطهارة ، باب : فرث ما يؤكل لحمه يصيب الثوب .

(٣) رواه البخاري رقم (٣٦١٧) في : المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام ، واللفظ له ، ومسلم رقم (٢٧٨١) في : المنافقين ، في : فاتحته .

وعن السائب بن يزيد ﷺ قال : ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ! إن ابن أختي وجعٌ ، فمسح رأسي ودعا له بالبركة ، ثم توضأ فشربت من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره ، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زرّ الحجلة[1].

قال الجعيد : رأيت السائب بن يزيد ابن أربع وتسعين جلْدًا معتدلًا .

وعن زيد بن أخطب ﷺ قال : مسح رسول الله ﷺ بيده على وجهي ، ودعا لي ، قال غزرة : فلقد رأيته بعدما عاش عشرين ومائة سنة ، وليس في لحيته إلا شعيرات تُعدّ بيض .

ومما لا شك فيه أن هناك فيض غزير من الأمثلة في هذا الباب ، ولكنا اكتفينا بذلك خشية الإطالة .

*** ومن معجزاته ﷺ إخباره عن المغيبات**

ففي البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال : لما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سُمّ ، فقال النبي ﷺ : ((**اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ يَهُودُ**)) فجمعوا له ، فقال ﷺ : ((**إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيّ عَنْهُ؟**)) فقالوا : نعم . فقال لهم النبي ﷺ : ((**مَنْ أَبُوكُمْ ؟**)) قالوا : فلان . فقال :

---

(١) رواه البخاري رقم (١٩٠) في : الوضوء ، باب : استعمال فضل وضوء الناس ، ومسلم رقم (٢٣٤٥) في : الفضائل ، باب : إثبات خاتم النبوة ، واللفظ له ، والترمذي رقم (٣٦٤٦) في : المناقب .

« كَذَبْتُمْ ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ » قالوا : صدقت ، فقال : « فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ ؟ » فقالوا : نعم ، يا أبا القاسم ، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا ، فقال لهم : « مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ » قالوا : نكون فيها يسيرًا ، ثم تخلفونا فيها، فقال النبي ﷺ : « اخْسَئُوا فِيهَا ، وَاللهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا » ثم قال : « هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم ، قال : « هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا » ، قالوا : نعم ، قال : « فَمَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ ؟ » قالوا : إن كنت كاذبًا نستريح ، وإن كنت نبيًّا لم يضرك(١).

※ ومن معجزاته ﷺ انقياد الشجر بأمره

ففي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديًا أَفْيح ، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعْتُهُ بإداوة من ماء . فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئًا يستتر به فإذا شجرتان بشاطئ الوادي ، فانطلق رسول الله إلى إحداهما فأخذ بغصنٍ من أغصانها ، فقال : « انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ » فانقادت معه كالبعير المخشوش(٢)،

---

(١) رواه البخاري رقم (٣١٦٩) في : الجزية والموادعة ، باب : إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يُعفى عنهم ؟.

(٢) قال النووي في شرح مسلم : هو بالخاء والشين المعجمتين ، وهو الذي يجعل في أنفه خشاش بكسر الخاء ، وهو عود يجعل في أنف البعير إذا كان صعبا ويشدّ فيه حبل ليذل وينقاد ، وقد يتمانع لصعوبته ، فإذا اشتد عليه وآلمه انقاد شيئًا ، ولهذا قال الذي يصانع قائده ، وفي هذا من المعجزات الظاهرة لرسول الله ﷺ .

الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى ، فأخذ بغصن من أغصانها فقال : ((انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ الله)) فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما ، لأم بينهما (يعني جمعهما) فقال : ((الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ الله)) فالتأمتا ، قال جابر : فخرجت أحضِر مخافة أن يُحسّ رسول الله ﷺ بقُرْبي فيبتعد (وقال محمد بن عباد : فيتبعد) ، فجلستُ أحدِّثُ نفسي ، فحانت مني لفتة ، فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلًا ، وإذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق[1]..

❊ ومن معجزاته ﷺ ابراء المرضى بإذن الله

ففي البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ أن رسول الله قال : ((لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحِ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ)) قال : فبات الناس يدوكون[2] ليلتهم أيهم يُعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها ، فقال : ((أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؟)) فقالوا : يشتكي عينيه يا رسول الله ! قال : فأرسلوا إليه فأتوني به ، فلما جاء بصَقَ في عينيه ودعا له ، فبَرأَ حتى كأن لم يكن به وجع ...[3].

---

(١) رواه مسلم رقم (٣٠١٢) في : الزهد والرقائق ، باب : حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر .

(٢) يدوكون : باب : القوم يدوكون دوكًا : إذا وقعوا في أخلاطٍ ودوران وخاضوا في الأمر (جامع الأصول (٨/ ٦٥٤).

(٣) رواه البخاري رقم (٣٧٠١) في : فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : مناقب علي بن أبي طالب ﷺ ، ومسلم رقم (٢٤٠٧) في : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ .

❊ ومن معجزاته ﷺ إخباره أن سيكون وكان في حياته

عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا ، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذّة إلا اتبعها يضربها بسيفه . فقيل : ما أجزأ منا اليوم أحـدٌ كما أجزأ فلان ، فقال رسول الله ﷺ : ((**أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**)) فقال رجل من القوم : أنا صاحبه . قال : فخرج معه كلما وقف وقف معه ، وإذا أسرع أسرع معه . قال : فجرح الرجلُ جُرحًا شديدًا ، فاستعجل الموت ، فوضع سيفه بالأرض وذُبابه بين ثدييه ، ثم تحامل على سيفه ، فقتل نفسه ، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أشهد أنك رسول الله . قال : ((**وَمَا ذَاكَ ؟**)) قال : الرجل الذي ذكرت آنفًا أنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك ، فقلت : أنا لكم به ، فخرجتُ في طلبه ، ثمّ جرح جرحًا شديدًا فاستعجل الموت ، فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه ، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : ((**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**))[1].

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٢٠٣) في : المغازي ، باب : غزوة خيبر .

وعن سعد بن معاذ ﷺ قال : كان صـديقًا لأمية بن خلف ، وكان أميـة إذا مرّ بالمدينة نزل على سعد ، وكان سعد إذا مرّ بمكة نزل على أمية ، فلما قدم رسول الله المدينة انطلق سعدٌ معتمرًا ، فنزل على أمية بمكة ، فقال لأمية : انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت ، فخرج به قريبًا من نصف النهار فلقيهما أبو جهل ، فقال : يا أبا صفوان ، من هذا معك ؟ فقال : هذا سعدٌ ، فقال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمنًا وقد أويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم . أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً ، فقال له سعد ورفع صوته عليه : أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشدّ عليك منه : طريقك على المدينة ، فقال له أمية : لا ترفع صوتك يا سعدُ على أبي الحكم سيد أهل الوادي . فقال سعد : دعْنا عنك يا أمية ، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنهم قاتلوك ، قال : بمكة ؟ قال : لا أدري ، ففزع لذلك أمية فزعًا شديدًا ، فلما رجع أمية إلى أهله ، قال : يا أم صفوان ، ألم تر ما قال لي سعدٌ ؟ قالت : وما قال لك ؟ قال : زعم أن محمدًا أخبرهم أنهم قاتلي ، فقلت له : بمكة ؟ قال : لا أدري . فقال أمية : والله لا أخرج من مكة ، فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس ، قالوا : أدركوا عيركم ، فكره أمية أن يخرج ، فأتاه أبو جهل ، فقال : يا أبا صفوان ! إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك ، فلم يزل به أبو جهل حتى

قال : أما إذ غلبتني ، فوالله لأشترين أجود بعير بمكة ، ثم قال أمية : يا أم صفوان ! جهزيني ، فقالت له : يا أبا صفوان ! وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربيّ ؟ قال : لا ، ما أريد أن أجوز معهم إلا قريبًا ، فلما خرج أمية أخذ لا يترك منزلًا إلا عقل بعيره ، فلم يزل بذلك حتى قتله الله ﷻ ببدر[1].

* وفي صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب قال : إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول : ((**هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ**)) ، قال : فقال عمر : فوالذي بعثه بالحق ! ما أخطئوا الحدود التي حدّ رسول الله ﷺ . قال : فجعلوا في بئر بعضهم على بعض ، فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم ، فقال : ((**يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ! وَيَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ! هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا ؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللهُ حَقًّا**)) قال عمر : يا رسول الله ! كيف تكلم أجسادًا لا أرواح فيها ؟ قال : ((**مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا شَيْئًا**))[2].

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٩٥٠) في : المغازي ، باب : ذكر النبي ﷺ من يقتل ببدر .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٨٧٣) في : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار .

الفصل الثالث

شيء من أخلاقه ﷺ

لقد أثنى الله تبارك وتعالى على نبيه المجتبى وحبيبه المصطفى ﷺ غاية الثناء، بل وأقسم قسم عظيم على أن نبيه على خلق عظيم: قال جل وعلا: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ١ - ٤] قسم عظيم من رب كريم على أن المصطفى على خلق عظيم.

كما أثنى عليه سبحانه فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

وبين جل وعلا شفقة هذا النبي الكريم على أمته، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

وحث الله تبارك وتعالى نبيه الكريم ﷺ على خفض الجناح للمؤمنين بقوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥] ولقد وصفته زوجه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عندما سألها هشام بن عامر: يا أم المؤمنين! انبئيني عن خلق رسول الله ﷺ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت:

بلى . قالت : ((فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ القُرْآنَ))(١).

ووصفه خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه الذي كان يلازمه في حله وترحاله ، فقال : ((كَانَ رَسُولُ اللهِ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا))(٢).

وقال هو عن نفسه : ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ))(٣).

وقد اجتمعت في رسول الله ﷺ خصال الخير كلها من حياء وكرم وشجاعة ووفاء ونجدة وشهامة وحسن استقبال ، وحلم وحسن سريرة ، وصدق حديث ولغة وطهارة وزكاء نفس ، وسائر خصال الخير ، وإليك شيء مما جاء في أخلاقه .

* ففي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا ، وكان لي أخ يقال له : أبو عمير - قال : أحسبه فطيمًا - وكان إذا جاء قال : ((يَا أَبَا عُمَيْرُ ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ)) نُغَيْرٌ كان يلعب به ، فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا ، فيأمر بالبساط الذي تحته فيكنس وينضح ، ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا(٤).

---

(١) رواه مسلم رقم (٧٤٦) في : صلاة المسافرين ، باب : جامع في صلاة الليل ومن نام عنه .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٣١٠) في الفضائل ، باب : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا .

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٨١) حديث رقم (٨٩٣٢) ، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٢٧٣) ، وهو في صحيح الجامع رقم (٢٣٤٩) .

(٤) رواه البخاري رقم (٦٢٠٣) في : الأدب ، باب : الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل ، ومسلم رقم (٢١٥٠) في : الأدب ، باب : استحباب تحنيك المولود عند ولادته ، والترمذي رقم (٣٣٣) في : الصلاة ، باب : في الصلاة على البسط .

* وعنه ﷺ قال : والله لقد خدمته تسع سنين . ما علمته قال لشيء صنعته ، لم فعلت كذا وكذا ؟ أو لشيء تركته : هلا فعلت كذا وكذا[١].

وعنه ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا ، فأرسلني يومًا لحاجة ، فقلت : والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ فخرجت حتى أمُرّ على صبيان وهم يلعبون في السوق ، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي ، قال : فنظرت إليه وهو يضحك . فقال : ((يَا أُنَيْسُ ! اذْهَبْ حَيْثُ أَمَرْتُكَ ؟)) قال : قلت : نعم ، أنا أذهب يا رسول الله[٢].

* وعن ابن عباس – رضي الله عنهما –: كان النبي ﷺ أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل عليه السلام يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة[٣].

* وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : ما خُيّر رسول الله ﷺ بين أمرين ، إلا أخذ أيسرهما ، ما لم يكن إثمًا ، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حُرمةُ الله فينتقم لله بها .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٣٠٩) في : الفضائل ، باب : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٣١٠) في : الفضائل ، باب : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا .

(٣) رواه البخاري رقم (٣٥٥٤) في : المناقب ، باب : صفة النبي ﷺ ، واللفظ له ، ومسلم رقم (٢٣٠٨) في : الصلاة ، باب : الاستماع للقراءة .

* وعن عائشة - رضي الله عنها - أيضًا قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادمًا ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه ، إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله فينتقم لله ﷻ .

* وعن أنس بن مالك ﵁ قال : كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه ، ولم يُر مقدمًا ركبتيه بين يدي جليس له[1].

* وعن أنس ﵁ أيضًا قال : كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت[2].

وعن ابن أبي أوفى ﵁ قال : كان رسول الله ﷺ يُكثر الذكر ، ويُقلّ اللغو ، ويطيل الصلاة ، ويقصر الخطبة ، ولا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته[3].

وعن أبي سعيد الخدري ﵁ قال : كان النبي ﷺ أشدّ حياءً من العذراء في خدرها[4].

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٧٩٤) في : الأدب ، باب : في حسن العشرة ، والترمذي رقم (٢٤٩٢) في : صفة القيامة ، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٠٠٩) .

(٢) رواه البخاري رقم (٦٠٧٢) في : الأدب ، باب : الكبر .

(٣) رواه النسائي(٣/ ١٠٩) في الجمعة باب ما يستحب من تقصير الخطبة ، وهو في صحيح الجامع (٥٠٠٥)

(٤) رواه البخاري رقم (٣٥٦٢) في : المناقب ، باب : صفة النبي ﷺ ، واللفظ له ، ومسلم رقم (٢٣٢٠) في : الفضائل .

وعن **أبي هريرة** ﷺ **قال** : ما عاب النبي ﷺ طعامًا قط ، إن اشتهاه أكله ، وإلا تركه[1].

* **وعن أنس** ﷺ **قال** : ما سُئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه ، قال : فجاءه رجلٌ فأعطاه غنمًا بين جبلين ، فرجع إلى قومه ، فقال : يا قوم ! أسلموا ! فإن محمدًا يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة[2].

* **وعن ابن شهاب** ﷺ **قال** : غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح ، فتح مكة ، ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين فاقتتلوا بحنين ، فنصر الله دينه والمسلمين ، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائةٌ من النَّعم ، ثم مائة ، ثم مائة . قال ابن شهاب : حدثني سعيد بن المسيب أن صفوان قال : والله لقـد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني ، وإنه لأبغض الناس إليّ ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ[3].

وعن أنس بن مالك ﷺ **قال** : قال رسول الله ﷺ : ((**وُلِدَ لِيَ اللَّيْلَةَ غُلَامٌ ، فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ**)) ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قَيْنٍ ، يقال له : أبو سيف ، فانطلق يأتيه واتَّبعته ، فانتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره ، قد امتلأ البيت دُخانًا ، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله ﷺ ، فقلت : يا أبا سيف ! أمسك

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٥٦٣) في : المناقب ، باب : صفة النبي ﷺ ، باب : كثرة حيائه ﷺ .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٣١٢) في : الفضائل ، باب : ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال : لا .

(٣) رواه مسلم رقم (٢٣١٣) في : الفضائل ، باب : ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال : لا .

جاء رسول الله ﷺ فأمسك ، فدعا النبي ﷺ بالصبي ، فضمه إليه ، وقال ما شاء الله أن يقول ، فقال أنس : لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ (أي : يجود بها ، ومعناه وهو النزع) فدمعت عينا رسول الله ﷺ فقال : ((**تَدْمَعُ العَيْنُ وَيَحْزَنُ القَلْب ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يرضى رَبُّنَا ، وَالله ! يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ**))[١].

وعن أبي هريرة ﷺ أن الأقرع بن حابس أبصر النبي ﷺ يُقبّل الحسن ، فقال : إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدًا منهم ، فقال رسول الله ﷺ : ((**إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ**))[٢].

وعن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سمرة : أكنت تجالس رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم كثيرًا ، كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت قام ، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية ، فيضحكون ، ويبتسم النبي ﷺ[٣].

---

(١) رواه البخاري رقم (١٣٠٣) في : الجنائز ، باب : قول النبي ﷺ : ((**إنا بك لمحزونون**)) ، ومسلم رقم (٢٣١٥) في : الفضائل ، باب : رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه ، واللفظ له ، وأبو داود رقم (٣١٢٦) في : الجنائز .

(٢) رواه البخاري رقم (٥٩٩٧) في : الأدب ، باب : رحمة الولد وتقبيله ، ومسلم رقم (٢٣١٨) في : الفضائل ، باب : رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه ، واللفظ له .

(٣) رواه مسلم رقم (٢٣٢٢) في : الفضائل ، باب : تبسمه ﷺ وحسن عشرته .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء ، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها ، فربما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أيضًا قال : أن امرأة كان في عقلها شيء ، فقالت : يا رسول الله ! إن لي إليك حاجة فقال : ((**يَا أُمَّ فُلَانٍ ! انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ**)) فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها[2].

وعن جابر بن سمرة قال : صليت مع رسول الله ﷺ صلاته الأولى ، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه ، فاستقبله ولدان ، فجعل يمسح خَدَّيْ أحدهم واحدًا واحدًا . قال : وأما أنا فمسح خدي . قال : فوجدت ليده بردًا أو ريحًا ، كأنما أخرجها من جُؤْنَةِ عطّار[3] (السقط الذي فيه متاع العطار) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل علينا النبي ﷺ فقال (أي نام القيلولة) عندنا ، فعرق وجاءت أُمّي بقارورة ، فجعلت تسلُت العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ فقال : ((**يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ! مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ ؟**)) قالت : هذا عَرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب[4].

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٣٢٤) في : الفضائل ، باب : قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٣٢٦) في : الفضائل ، باب : قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به .
(٣) رواه مسلم رقم (٢٣٢٩) في : الفضائل ، باب : مباعدته ﷺ للآثام واختياره للمباح .
(٤) رواه مسلم رقم (٢٣٣١) في : الفضائل ، باب : طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به .

وعن الأسود بن يزيد النخعي رحمه الله قال : سألت عائشة ما كان النبي ﷺ يصنع في بيتـه ؟ قالت : ((كَانَ يَكُـونُ فِي مِهْنَةِ أَهْـلِهِ (تعني خدمة أهله) ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّـلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ))[١].

وعن عبد الله بن الحارث ﷺ قال : ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله ﷺ[٢].

وفي البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه بُرْدٌ نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد ، مُرْ لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه رسول الله ﷺ، ثم ضحك وأمـر له بعطاء . وفي رواية نحوه ، وفيه : حتى إذا انشق البُرْد ، وحتى بقيت حاشيته في عنق رسول الله ﷺ[٣].

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس من قِبَل الصوت ، فتلقاهم رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٧٦) في : الأذان ، باب : من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج ، والترمذي رقم (٢٤٩١) في : صفة القيامة .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٦٤٥) في : المناقب ، وصححه الألباني (صحيح الترمذي ٢٨٨٠) .

(٣) رواه البخاري رقم (٥٨٠٩) في : اللباس ، باب : البرود والحبر والشملة .

راجعًا ، وقد سبقهم إلى الصوت - وفي رواية : وقد استبرأ الخبر- وهو على فرس لأبي طلحة عُرْي[١] في عنقه السيف ، وهو يقول : ((**لَمْ تُرَاعُوا ، لَمْ تُرَاعُوا**)) قال : ((**وَجَدْنَاهُ بَحْرًا ، أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ**)) قال : وكان فرساً يُبطَّأُ[٢].

وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم السُّلمي قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم . فقلت : يرحمك الله ! فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واثكل أمياه ! ما شأنكم ؟ تنظرون إليّ ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلمّا رأيتهم يُصمّتونني ، لكني سكت ، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ! ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه ، فوالله ! ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني قال : ((**إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةُ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**))[٣].

وفي صحيح مسلم[٤] أيضًا من حديث أنس بن مالك ﷺ قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي ، فقام يبول في المسجد ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مَهْ مَهْ ، قال : قال رسول الله ﷺ : ((**لَا تُزْرِمُوهُ ،**

---

(١) الفرس العُري : أي : ليس عليه سرج ولا أداة .

(٢) رواه البخاري رقم (٢٩٠٨) في : الجهاد والسير ، باب : الحمائل وتعليق السيف ، ومسلم رقم (٢٣٠٧) في : الأدب ، والترمذي رقم (١٦٨٥) في : الجهاد .

(٣) رواه مسلم رقم (٥٣٧) في : المساجد ، باب : تحريم الكلام في الصلاة .

(٤) رواه مسلم رقم (٢٨٥) في : الطهارة ، باب : وجوب غسل البول وغيره من النجاسات .

دَعُوهُ)) فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : ((إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ . إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ الله ﷻ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ)) أو كما قال رسول الله ﷺ ، فأمر رجلًا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنَّه عليه (أي فصبّه عليه) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال : بعث رسول الله ﷺ خيلًا قِبَل نجد ، فجاءت برجل من بني حنيفة ، يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة ، فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال : ((مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟!)) فقال : عندي يا محمد خير ، إن تقتل تقتل ذا دم(١) ، وإن تُنْعِم تُنْعِم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد ، فقال : ((مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟!)) قال : ما قلت لك إن تُنْعِم تُنْعِم على شاكر ، وإن تَقْتُل تَقْتُل ذا دم ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد ، فقال : ((مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟!)) فقال عندي : ما قلت لك . إنْ تنعم تنعم على شاكر ، وإن تقتل تقتل ذا دم . وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ، فقال رسول الله

(١) قال الحافظ في الفتح : قال النووي : معنى رواية الأكثر إن تقتل تقتل ذا دم ، أي : صاحب دم لدمه موقع يشتفي قاتله بقتله ، ويدرك ثأره ورياسته وعظمته ، ويحتمل أن يكون المعنى أنه عليه دم ، وهو مطلوب به ، فلا لوم عليك في قتله (الفتح ٨/ ١١٠) .

ﷺ : ((أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ)) فانطلق إلى نخل قريب من المسجد ، فاغتسل ، ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليّ ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ ، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ ، وإن خيلك أخذتني ، وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل : أَصَبَوْت ؟ فقال : لا ، ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبةُ حِنطَة حتى يأذن فيها النبي ﷺ (١).

وأخرج الطبراني (٢) والحاكم وأبي الشيخ في أخلاق النبي ﷺ وابن سعد وغيرهم جاء زيد بن سعنة إلى رسول الله ﷺ يطلبه دينًا له عليه ، فأخذ بمجامع قميصه وردائه وجذبه ، وأغلظ له القول ، ونظر إلى النبي ﷺ بوجه غليظ ،

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٧٢) في : المغازي ، باب : وفد بني حنيفة ، وحديث ثمامة بن أثال ، ومسلم رقم (١٧٦٤) في : الجهاد والسير ، باب : ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه .

(٢) ذكر ابن حجر هذه القصة في الإصابة وعزاها إلى الطبراني والحاكم وأبي الشيخ ، وابن سعد وغيرهم ، ثم قال : ورجال إسناده موثوقون ، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية وعزاه إلى أبي نعيم في الدلائل ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٤٠) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

وقال : يا محمد ! ألا تقضيني حقي ، إنكم يا بني عبد المطلب قوم مُطلٌ وشدد له في القول ، فنظر إليه عمر وعيناه تدوران في رأسه كالفلك المستدير . ثم قال : يا عدو الله ! أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع ؟ وتفعل ما أرى ؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك ، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتُؤدةٍ وتبسّمٌ ، ثم قال : « **أَنَا وَهُوَ يَا عُمَرُ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ وَتَأْمُرُهُ بِحُسْنِ التَّقَاضِي ، اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَاقْضِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ** » فقال زيد بن سعنة : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وكان زيد قبل هذه القصة يقول : لم يبق شيء من علامات النبوة إلا قد عرفتها في وجه محمد ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا .

وفي البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال : قدم طفيل بن عمر الدوسي وأصحابه على النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله! إن دوسًا عصَتْ وأبت فادع الله عليها ، فقيل : هلكت دوس . قال : « **اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ** »[1].

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي أمامة ﷺ قال : إن فتى شابًا أتى النبي ﷺ

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٩٣٧) في : الجهاد ، باب : الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم ، ومسلم رقم (٢٥٢٤) في : فضائل الصحابة ، باب : فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع وتميم ودوس وطيء ، وأخرجه أيضًا الإمام أحمد (٢/ ٢٤٣، ٤٤٨).

فقال : يا رسول الله ﷺ ائذن لي في الزنا ، فأقبل القوم فزجروه ، وقالوا : مه مه ، فقال : ادنه فدنا منه قريبًا ، قال : فجلس ، قال : ((**أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ ؟**)) قال : لا ، والله جعلني فداءك ، قال : ((**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ**)) قال : ((**أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟**)) قال : لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك ، قال : ((**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**)) ، قال : ((**أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ ؟**)) قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : ((**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ**)) قال : ((**أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟**)) قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : ((**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**)) قال : ((**أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟**)) قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : ((**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ**)) ، قال : فوضع يده عليه ، وقال : ((**اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**)) فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٥٦، ٢٥٧) رقم (٢٢١١٢) وقال الألباني في الصحيحة رقم (٣٧١) : وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح .

الفصل الرابع

بعض فضائل الصحابة الكرام

لقد زكى الله تبارك وتعالى الصحابة الكرام في غير موضع من كتاب الله ، ومن ثم زكاهم النبي المصطفى ﷺ .

وفضائلهم رضوان الله عليهم كثيرة لا تحصى قد امتلأت بها كتب السير والتاريخ .

وما أجمل ما قاله ابن مسعود رضي الله عنه : إن الله نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه ، فابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن ، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ(١).

وما أجمل مقالته رضي الله عنه : من كان مستنًّا فليستنّ بمن قد مات ، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، فأولئك أصحاب محمد ﷺ أبرّ هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا قد اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم فإنهم على الهدى المستقيم .

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٧٩) رقم (٣٦٠٠) ، وقال الشيخ شاكر : إسناده صحيح .

قلت : ولم لا وهم من زكاهم الله جل وعلا وعدّلهم في غير موضع في كتابه العزيز ، وإليك بعض هذه الآيات التي زكى فيها رب العزة تبارك وتعالى صحابة النبي ﷺ :

قال الخطيب البغدادي في كتابه ((الكفاية في علم الرواية)) :

إن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم ، واختياره لهم في نصّ القرآن ، قال الرحمن الرحيم : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] والمخاطب ابتداءً بالخطاب الربّاني هم أصحاب الحبيب النبي ﷺ ، وهم المخاطبون ابتداءً بقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، وهم المخاطبون بقوله جل وعلا : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٧٢ - ١٧٤] وقال الله ﷻ في حقهم مخاطبًا النبي ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٦٤] وهم الذين قال الله ﷻ في حقهم :

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[النساء : ١١٥] ، وهم الذين قال الله في حقهم : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[التوبة : ٨٨ - ٨٩] وقال الله تعالى : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة : ١١٧] وقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يصبر نفسه معهم ، قال تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾[الكهف : ٢٨] وهم الذين قال الله في حقهم : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ١٨] وهم الذين قال الله في حقهم : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] وهم الذين زكاهم الله ﷻ بقوله : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ

إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٨ - ٩] ، وهم الذين قال الله ﷻ في حقهم : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩] نعم ، آيات كثيرة عظيمة في الكتاب العزيز زكى الله بها أصحاب النبي ﷺ ، ولكنا نكتفي بهذا القدر منها وندعوك لنحلق سويًا في سماء تلك الأوسمة ، أوسمة سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ . ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحْدِهِمْ يَمِينَهُ ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**))(١).

وقال إبراهيم : وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد .

قال النووي في شرح مسلم : اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ ،

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٦٥٢) في : الشهادات ، باب : لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد ، ومسلم رقم (٢٥٣٣) في : فضائل الصحابة ، باب : فضل الصحابة ﷺ ثم الذين يلونهم ، والترمذي رقم (٣٨٥٨) في : المناقب .

والمراد أصحابه ، وقد قدمنا أن الصحيح الذي عليه الجمهور أن كل مسلم رأى النبي ﷺ ولو ساعة فهو من أصحابه . قال : ورواية : ((خَيْرُ النَّاسِ)) على عمومها ، والمراد منه جملة القرن ، ولا يلزم منه تفضيل الصحابي على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ولا أفراد النساء على مريم وآسية وغيرهما ، بل المراد جملة القرن بالنسبة إلى كل قرن بجملته .

قال القاضي : واختلفوا في المراد بالقرن هنا ، فقال المغيرة : قرنه أصحابه والذين يلونهم أبناؤهم ، والثالث : أبناء أبنائهم ، وقال شهر : قرنه ما بقيت عين رأته ، والثاني : ما بقيت عين رأت من رآه ، ثم كذلك ، وقال غير واحد : القرن : كل طبقة مقترنين في وقت ، وقيل : هو لأهل مدة بعث فيها نبي طالت مدته أم قصرت .

ثم قال رحمه الله : الصحيح أن قرنه ﷺ الصحابة ، والثاني : التابعون ، والثالث : تابعوهم . اهـ .

وفي الصحيحين من حديث أنس ﷺ قال : مُر بجنازة فأُثني عليها خيرًا ، فقال النبي ﷺ : ((وَجَبَتْ ، وَجَبَتْ ، وَجَبَتْ)) ، ومُر بجنازة فأُثني عليها شرًّا . فقال نبي الله ﷺ : ((وَجَبَتْ ، وَجَبَتْ ، وَجَبَتْ)) قال عمر : فدى لك أبي وأمي ، مُر بجنازة فأُثني عليها خيرًا فقلت : وجبت وجبت وجبت ، ومُرّ بجنازة فأُثني عليها شرًّا فقلت : وجبت وجبت وجبت ؟ فقال رسول الله ﷺ : ((مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ

الله فِي الأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله فِي الأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله فِي الأَرْضِ))[1].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي)) وفي رواية: ((لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا أَنْفَقَ مثل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه))[2].

قال النووي في شرح مسلم: قال أهل اللغة: النصيف: النصف. ومعناه: لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا فبلغ ثوابه في ذلك ثواب نفقة أحد أصحابي مدًّا ولا نصف مد، قال القاضي: ويؤيد هذا ما قدمناه في أول باب فضائل الصحابة عند الجمهور من تفضيل الصحابة كلهم على جميع من بعدهم، وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة وضيق الحال، بخلاف غيرهم، ولأن إنفاقهم كان في نصرته ﷺ وحمايته، وذلك معلوم بعده، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً ﴾ [الحديد: ١٠] هذا كله ما كان في أنفسهم

---

(١) رواه البخاري رقم (١٣٦٧) في: الجنائز، باب: ثناء الناس على الميت، ومسلم رقم (٩٤٩) في: الجنائز، باب: فيمن يثنى عليه خيرًا وشرًّا من الموتى، واللفظ له.

(٢) رواه البخاري رقم (٣٦٧٣) في: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومسلم رقم (٢٥٤) في: فضائل الصحابة، باب: تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، وأبو داود رقم (٤٦٥٨) في: السنة، باب: النهي عن سب أصحاب النبي ﷺ، والترمذي رقم (٣٨٦٠) في: المناقب، باب: فيمن سب أصحاب النبي ﷺ

من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده ، وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ، ولا تنال درجتها بشيء ، والفضائل لا تؤخذ بقياس ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، قال القاضي : ومن أصحاب الحديث من يقول : هذه الفضيلة مختصة بمن طالت صحبته وقاتل معه ، وأنفق وهاجر ونصر ، إلا لمن رآه مرة كوفود الأعراب أو صحبه آخرًا بعد الفتح بعد إعزاز الدين ممن لم يجد له هجرة ولا أثر في الدين ومنفعة للمسلمين ، قال : والصحيح هو الأول ، وعليه الأكثرون ، والله أعلم . اهـ.

وفي صحيح مسلم عن عائذ بن عمرو : أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر ، فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها ، قال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال : ((**يَا أَبَا بَكْرٍ ! لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ**)) فأتاهم أبو بكر فقال : يا إخوتاه! أغضبتكم ؟ قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أخي !(١).

وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أن الحبيب النبي ﷺ قال : يُدْعى نوح يوم القيامة ، فيقول : لبيك وسعديك يا رب ، فيقول : هل

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٠٤) في : كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل سلمان وصهيب وبلال ﷺ .

بلّغت ؟ فيقول : نعم ، فيقال لأمته : هل بَلّغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير ، فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته ، فيشهدون أنه قد بلّغ ، ويكون الرسول عليكم شهيدًا ، فذلك قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة: ١٤٣] (١).

قال الحافظ في الفتح (٢) : أخرج ابن أبي حاتم بسند جيد عن أبي العالية عن أبي بن كعب هذه الآية قال : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ ﴾ وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة ، كانوا شهداء على قوم نوح وقوم هود ، وقوم صالح وقوم شعيب وغيرهم أن رسلهم بلغتهم وأنهم كذبوا رسلهم ، قال أبو العالية : وهي قراءة أُبيّ : ((لتكونوا شهداء على الناس يوم القيامة)) ومن حديث جابر عن النبي ﷺ : ((**مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الأُمَمِ إِلَّا وَدَّ أَنَّهُ مِنَّا أَيَّتُهَا الأُمَّةُ ، مَا مِنْ نَبِيٍّ كَذَّبَهُ قَوْمُهُ إِلَّا وَنَحْنُ شُهَدَاؤُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنْ قَدْ بَلَّغَ رِسَالَةَ الله وَنَصَحَ لَهُمْ**)). اهـ .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي بردة عن أبيه قال : صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ، ثم قلنا : لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء ، قال : فجلسنا ، فخرج علينا ، فقال : ((**مَا زِلْتُمْ هَهُنَا ؟**)) قلنا : يا رسول الله : صلينا معك المغرب . ثم قلنا : نجلس حتى نصلي معك العشاء . قال : ((**أَحْسَنْتُمْ أَوْ**

(١) رواه البخاري رقم (٤٤٨٧) في التفسير ، باب :﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ .

(٢) انظر : فتح الباري (٨/ ٢١٨) .

أَصَبْتُمْ » قال : فرفع رأسه إلى السماء ، وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء ، فقال : « **النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي ، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي ، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ** »(1).

قال ابن الأثير في جامع الأصول : (٨/ ٥٥٥) : « **أَمَنَة لِلسَّمَاءِ** » : الأمنة : جمع أمين ، وهو الحافظ أي : أن الملائكة حفظة السماء ، « **أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ** » : إشارة إلى انشقاقها وذهابها .

« **أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ** » : إشارة إلى وقوع الفتن ، ومجيء الشر عند ذهاب أهل الخير ، فإنه لما كان ﷺ بين أظهرهم كان يبين لهم ما يختلفون فيه ، فلما فُقد جالت الآراء واختلفت ، فكان الصحابة يُسندون الأمر إلى رسول الله ﷺ في قول أو فعل أو دلالة حال ، فلما فُقد الصحابة قلّ النور وقويت الظلمة . اهـ.

وفي البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « **يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ ، فَيَقُولُونَ : فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ ، فَيَقُولُونَ لَهُمْ : نَعَمْ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيُقَالُ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ . ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ**

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٥٣١) في : فضائل الصحابة ، باب : بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه ، وكذا رواه ابن حبان .

النَّاسِ ، فَيُقَالُ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ))(١).

وفي الحديث الذي رواه أحمد والترمذي وابن حبان ، والبيهقي وأبو نعيم ، وغيره من حديث عبد الله بن مغفل أن النبي ﷺ قال : ((اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبُحُبِّي لَهُمْ أَحبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضهُمْ ، وَمَنْ آذاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ ، وَمَنْ آذَى اللهَ أَوْشَكَ أَنْ يَأْخُذَهُ))(٢).

يقول ابن تيمية رحمه الله : هذا وقد اتفق أهل السنة على أن الصحابة كلهم عدول بتعديل الله تعالى لهم ، واتفقوا أيضًا على تفضيل الصحابة عن من بعدهم ، لكنهم تنازعوا هل هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد ؟

والأول : قول ابن عبد البر ، ومقتضى كلامه رحمه الله : ((أنه يأتي بعد الصحابة من يكون أفضل من بعض الصحابة باستثناء أهل بدر والحديبية ، واحتجّ

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٤٩) في : فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : فضائل أصحاب النبي ﷺ ومن صحب النبي أو من رآه من المسلمين فهو من أصحابه ، ومسلم رقم (٢٥٣٢) في : الفضائل ، باب : فضل الصحابة ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ٨٧) ، (٥/ ٥٤ ، ٥٧) ، وقال محققه : إسناده حسن ، ورواه أيضًا الترمذي رقم (٣٨٦٢) وغيره .

بأحاديث يطول سردها وشرحها)) والثاني : نحا إليه الجمهور : أي : تفضيل كل واحد من الصحابة ، وهو مأثور عن ابن المبارك ، وأحمد بن حنبل وغيرهما .

والظاهر أن السابقين للهجرة ـ كما قدمنا ـ ومن أنفق من قبل الفتح وقاتل لا يعدله في الفضل أحد ممن يأتي بعده بصريح قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد : ١٠] ، والنزاع منحصر فيمن له مشاهدة ، والظاهر أيضًا أن من راح بفضيلة المشاهدة فاز بفضيلة لا يعدله فيها أحد ، ولا يرجح بها عمل .

ولذلك قال ابن تيمية : العلماء متفقون على أن جملة الصحابة أفضل من جملة التابعين ، لكن هل يُفضل كل واحد من الصحابة على كل واحد ممن بعدهم ، ويُفضل معاوية على عمر بن عبد العزيز ؟ ذكر القاضي عياض وغيره في ذلك قولين ، وأن الأكثرين يفضلون كل واحد من الصحابة ، ومن حجتهم أن أعمال التابعين وإن كانت أكثر وأظهر لكن الفضائل عند الله بحقائق الإيمان الذي في القلوب ، وقد أخبر النبي ﷺ : أن جبل ذهب من الذين أسلموا بعد الحديبية لا يساوي نصف مُدّ من السابقين ، فلو قدر أن الذي أعطاه عمر بن عبد العزيز للناس ملكه كله ، وقد تصدق به عليهم لم يعدل ذلك مما أنفقه السابقون إلا شيئًا يسيرًا ، وأين مثل جبل أحد ذهبًا حتى ينفقه الإنسان ، وهو لا يصير مثل نصف مد ؟!! ومن ثم قال بعض السلف : غبار دخل في أنف معاوية مع

رسول الله ﷺ أفضل من عمل عمر بن عبد العزيز . اهـ[1].

يقول الحافظ في الفتح : ((نعم ، والذي ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله ﷺ ...)).

قال إمام أهل السنة **أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى** : ومن الحجة الواضحة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين ، والكف عن ذكر مساويهم ، والخلاف الذي شجر بينهم ، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحدًا منهم أو تنقص أو طعن عليهم ، أو عرّض بعيبهم أو عاب أحدًا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث ، مخالف لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا ، بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة ، والاقتداء بهم وسيلة ، والأخذ بآثارهم فضيلة ، وأصحاب رسول الله ﷺ هم خير الناس ، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساويهم ، ولا يطعن أحد منهم بعيب ولا نقص[2].

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي في عقيدة أهل السنة والجماعة : ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان .

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٤/ ٢٢٦) بتصرف .

(٢) السنة للإمام أحمد (ص ٧٨).

الفصل الخامس

عقيدة أهل السنة والجماعة
فيما شجر بين الصحابة

يقول ابن تيمية رحمه الله في الواسطية :

وأهل السنة والجماعة يمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون : إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ، ومنها ما قد زيد فيه ونقص . والصحيح منه هم فيه معذورون ، إما مجتهدون مصيبون ، وإما مجتهدون مخطئون ، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره ، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر ، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم .

وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ : إنهم خير القرون وإن المدّ من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبًا ممن بعدهم ، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه ، أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقة ، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه ، فإذا كان هـذا في الذنوب المحققة فكيف الأمور

التي كانوا فيها مجتهدين ، إن أصابوا فلهم أجران ، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد ، والخطأ مغفور . ثم إن القدر الذي ينكر عليهم من فعل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله ، والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة ، وما منّ الله عليهم به من الفضائل علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء ، لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله . اهـ[1].

وقال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم : واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ليست بداخلة في هذا الوعيد . يقصد قول النبي ﷺ : « إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ » ومذهب أهل السنة والحق : إحسان الظن بهم ، والإمساك عما شجر بينهم وتأويل قتالهم ، وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا ، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ، ومخالفه باغ ، فوجب عليه قتاله ، ليرجع إلى أمر الله ، وكان بعضهم مصيبًا ، وبعضهم مخطئًا معذورًا في الخطأ لأنهم مجتهدون ، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه ، وكان ـ عليّ رضي الله عنه ـ هو المحق المصيب في تلك الحروب ، هذا مذهب أهل السنة ، وكانت القضايا مشتبهة

(١) العقيدة الواسطية لابن تيمية (ص ١٨٠، ١٨١) ط : مكتبة العلم .

حتى أن جماعة من الصحابة تحيروا فيها ، فاعتزلوا الطائفتين ، ولم يقـاتلوا ولم يتيقنوا الصواب ، ثم تأخروا عن مساعدة أي منهم . اهـ.

وقال الذهبي رحمه الله تعالى : إن كثيرًا مما حدث بين الصحابة من شجار وخلاف ينبغي طيه وإخفاؤه بل إعدامه ، وإن كتمان ذلك متعيّن على العامة بل آحاد العلماء ، لأنه لا مصلحة شرعية ولا علمية من وراء هذا بالنشر ، وبالأسلوب أو الهدف الذي ذكرنا ، أما في ظل الموازين العلمية المستقيمة المهتدية بالنصوص الشرعية فإن البحث في هذا الموضوع لا يمتنع إذا قصد به بيان الأحكام الشرعية . وما كان ذكر العلماء المعتبرين للحروب والخلافات التي وقعت بين الصحابة ﷺ إلا على هذا السبيل أو لبيان المواقف الصحيحة ، وتصحيح الأغاليط التاريخية التي أثيرت حول مواقفهم في تلك الحروب ، ومع ذلك انتقد بعض العلماء طريقة ابن عبد البر في كتابه ((**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**)) لذكره ما شجر بين الصحابة ﷺ من خلاف . اهـ .

وأخيرًا فإن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كلهم أجمعون في الجنة ، لأنهم المخاطبون بقول الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد : ١٠]، ولا يلج أحدهم النار أبدًا بصريح قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠١]

نضر الله وجوه الصحابة الكرام ، ومن سار على طريقتهم ، وانتهج نهجهم إلى يوم الدين ، وجعلنا الله معهم بفضله وكرمه ، إنه أكرم الأكرمين .

صديق الأمة الأكبر

أبو بكر الصديق

رضي الله عنه

« إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَا تَّخَذْتُ أَبَا بكْرٍ »

أبو بكر الصديق

هو صديق الأمة الأكبر

إنه صاحب المصطفى ﷺ في الحضر والأسفار .. ورفيقه المخلص في جميع الأطوار .. والممدوح في الذكر الحكيم بقوله سبحانه : ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ﴾ [التوبة : ٤٠] هو الرجل الذي لم يتلعثم ، ولم يتردد لحظة في الإيمان بالله ورسوله ﷺ ، وكان شعاره إذا تأزّمت الأمور وتشككت الصدور : ((**إن كان محمدٌ قد قال ذلك فقد صدق**)).

إنه الرجل الذي عاين طائر الفاقة يحوم حول حَبّ الإيثار فألقى له حَبّ الحُبّ على روض الرضا ، واستلقى على فراش الفقر آمنًا مطمئنًّا ، فرفع الطائر الحبّ إلى حوصلة المضاعفة، وتركه هنالك ، ثم علا على أفنان شجرة الصدق يغرد له بأغلى وأعلى فنون المدح ، وهو يتلو في حقه قول ربه : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴾ [الليل : ١٧ – ٢١]

إنه قرين النبي ﷺ في شبابه . الذي سبق إلى الإيمان من أصحابه ، إنه أول من صلى معه ، وآخر من صلى به .. الذي ضاجعه بعد الموت في ترابه ﷺ ، إنه السابق إلى التصديق .. الملقب بالعتيق .. المؤيد من الله بالمدد والتوفيق .

إنه أبو بكر الصديق .

اسمه ولقبه

هو عبد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤي القرشي التيمي أبو بكر الصديق بن أبي قحافة(١).

أمه: أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر ابنة عم أبيه . ولد بمنى .

أسلم أبوه وأمه وزوجه وأولاده ﷺ .

تزوج في الجاهلية امرأتين :

إحداهما : قتيلة بنت عبد العزى ، فولدت له عبد الله وأسماء ذات النطاقين .

والثانية : أم رومان بنت عامر ، ولدت له عبد الرحمن وعائشة .

وتزوج في الإسلام امرأتين :

إحداهما : أسماء بنت عميس ، فولدت له محمدًا ، وكانت عند جعفر بن أبي طالب ﷺ قبله ، فولدت له محمدًا ، وتزوجها بعد أبي بكر علي بن أبي طالب ، فذكر أنها ولدت له ولدًا اسمه محمد ، فكان يقال لها : أم المحمدين .

والثانية : حبيبة بنت خارجة بن زيد ، فولدت له أم كلثوم بعد وفاته ، وكان

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ١٢٥- ١٢٦) ، تهذيب الكمال (٣٤١٨) ، تهذيب التهذيب (٥/ ٣١٥- ٣١٧)، تاريخ خليفة (٣٥، ٥٥) ، فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/ ٦٥- ٣٣٥) ، الجرح والتعديل (٥/ ٥٠٨) ، تاريخ الطبري (٢/ ١٨٤، ١٨٥) ، حلية الأولياء (١/ ٢٨- ٣٨) ، الاستيعاب (٣/ ٩٦٣)، أسد الغابة (٣/ ٢٠٥) ، الكامل (١/ ٤٧٩) ، الإصابة لابن حجر (٢/ ٤٨١٧).

أبو بكر لما هاجر إلى المدينة نزل على أبيها خارجة بن زيد فتزوجها .اهـ[1].

لقبه رسول الله ﷺ ((عتيقا)) :

عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت : إني لفي بيت رسول الله ﷺ وأصحابه في الفناء ، وبيني وبينهم السِّتْرُ إذ أقبل أبو بكر فقال رسول الله ﷺ : من سرّه أن ينظر إلى عتيق من النار ، فلينظر إلى هذا . وإن اسمه الذي سماه به أهله لعبد الله بن عثمان بن عامر ، ولكن غلب عليه عتيق[2].

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : دخل أبو بكر الصديق على رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : ((**أَبْشِرْ ! فَأَنْتَ عَتِيقُ الله مِنَ النَّارِ**)) قلت : فمن يومئذ سُمّي عتيقًا[3].

قال المزي في تهذيب الكمال : وقال مصعب بن عبد الله الزُّبيري وغيره : إنما سُمّي عتيقًا ، لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب . وروى عن أبي تحيا حكيم

---

(١) قاله ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٢٥ - ١٢٦) ، والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (٤/ ٥٦) ط : دار الكتب العلمية .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٦٧٩) ، والطبراني في الكبير (٩) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤١٥) ، وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٤٠) ، وقال : رجالهما ثقات، وحكى السيوطي في الجامع الكبير (٤٣٨) : أن ابن كثير نسبه لأبي نعيم وقال ابن كثير : إسناده جيد .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٦٧٩) في : المناقب ، باب : مناقب أبي بكر الصديق ﷺ ، وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة .

ابن سعد قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول : إن الله هو الذي سمى أبا بكر عتيقًا على لسان رسول الله ﷺ، وقيل : سُمّي عتيقًا لحسن وجهه. اهـ[1].

وقال الحافظ في الفتح : قال إبراهيم النخعي : كان يُسمى «الأواه» لمراقبته .

(١) تهذيب الكمال (١٠/ ٣٢٦، ٣٢٧) ط : دار الفكر، بيروت .

صفته رضي الله عنه

قالت عائشة – رضي الله عنها –: كان أبيض نحيفًا ، خفيف العارضين ، أجنأ (منحنيًا) ، لا يستمسك إزاره ، يسترخي عن حقويه (كشحيه) ـ والكشح عند الخاصرة ـ معروق الوجه ، غائر العينين ، ناتئ الجبهة ، عاري الأشاجع[١].

وقال ابن الجوزي في « التبصرة » : أبو بكر ﷺ معروف الفضل في الجاهلية والإسلام ، وكانت إليه في الجاهلية (الأسباق) ، وهي الديات، والمغرم ، وكان إذا احتمل شيئًا فسأل فيه قريشًا صدقوه ، وأمضوا حمالة من نهض معه ، وإن احتملها غيره خذلوه . اهـ[٢].

يقول ابن هشام في « السيرة النبوية » : كان أبو بكر الصديق ﷺ أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلًا ذا خُلق ومعروف ، وكان رجال قريش يأتونه ويألفونه ، لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ، وكان تاجرًا يرتحل إلى البلاد ، ودخل بُرى الشام ، وكان معه أبو طالب في قافلته إلى الشام ، وكان رأس ماله جيدًا ، كريمًا ، فكان ينفق من ماله في قومه ، وعلى أصدقائه ، إذ كانت قريش تحبه ، ويستشيره رجالها .

---

(١) الخبر في الطبقات لابن سعد (٣/ ١٤٠) من طريق محمد بن عمر الواقدي .

(٢) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٤٧٤) .

حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية فلم يشربها قط لا في الجاهلية ولا في الإسلام ، وذلك أنه مر وهو في الجاهلية برجل سكران يضع يده في العذرة يدنيها من فيه ، فإذا وجد ريحها صدف عنها ، فحرمها أبو بكر على نفسه .

ولم يسجد ﷺ لصنم قط .

قال أبو بكر ﷺ في مجمع من أصحاب رسول الله ﷺ : ما سجدت لصنم قط ، وذلك أني لما ناهزت الحلم أخذني أبو قحافة بيدي فانطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام ، فقال لي : هذه آلهتك الشمّ العوالي . وخلاني وذهب ، فدنوت من الصنم ، وقلت : إني جائع فأطعمني ، فلم يجبني ، فقلت : إني عار فاكسني ، فلم يجبني ، فألقيت عليه صخرة فخرَّ لوجهه[1].

قال ابن الجوزي : قال علماء السير : لم يفته مشهد مع رسول الله ﷺ ، حضر يوم بدر ويوم أحد ، ودفع إليه رايته العظمى يوم تبوك ، واشترى بلالًا فأعتقه ، وأول من جمع القرآن ، وأسلم على يديه من العشرة المبشرين بالجنة خمسة : عثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن ، ولم يشرب مسكرًا في جاهلية ولا إسلام ﷺ[2].

وابتنى أبو بكر بفناء داره مسجدًا ، يصلي فيه ، ويقرأ القرآن ، فيجتمع عليه

(١) التاريخ الإسلامي ، لمحمود شاكر (٣/ ٣١) ، ط : المكتب الإسلامي.

(٢) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٦١) .

الناس ويستمعون قراءته وصلاته ، وبكاءه ، فكان ذلك سببًا في إسلام كثيرين .

ففي البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : لم أعقل أبويّ إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية ، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره ، فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن ، فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلًا بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين[1].

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٧٦) في : الصلاة ، باب : المسجد يكون في الطريق من غير ضرر بالناس

صديق الأمة الأكبر

إن أبا بكر شهد له رسول الله ﷺ بالصدّيقيّة، شهادة سُطرت في كتب الأثر والتاريخ والسّير بحروف من نور إلى عالم البشر.

وعن **أنس بن مالك** ﷺ أن النبي ﷺ صعد أُحدًا، وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف الجبل، فقال النبي ﷺ: ((**اثْبُتْ أُحُدُ، فَإِنَّ عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**))[١].

قال ابن الجوزي عنه ﷺ أنه قال ليلة أُسري به لجبريل: ((**إِنَّ قَوْمِي لَا يُصَدِّقُونِي**)). **فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: يُصَدِّقُكَ أَبُو بَكْرٍ، وَهُوَ الصِّدِّيقُ**[٢].

وكان عليّ بن أبي طالب ﷺ يحلف أن الله ﷻ أنزل اسم أبي بكر من السماء (الصديق)[٣].

ويتجلى صدق أبي بكر في أوضأ صورة ذلك لما أخبر رسول الله ﷺ قريشًا برحلة الإسراء والمعراج.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٦٧٥)، وأبو داود رقم (٤٦٥١)، والترمذي رقم (٣٦٩٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه النسائي في: فضائل الصحابة (٣٢)، وأحمد (٣/ ١١٢)، وفي: فضائل الصحابة (٢٤٦)، وصححه شيخنا الألباني في: صحيح سنن الترمذي.

(٢) التبصرة (١/ ٤٧٤)، وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الأوسط، وفي رواية عنده: أن أحد أسانيده أبو وهب عن أبي هريرة ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٣) قال ابن حجر في الفتح (٧/ ١١) ط: دار الريان: رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

قال ابن حجر رحمه الله في ((فتح الباري)) : روى البيهقي في ((**الدلائل**)) عن أبي سلمة قال : افتتن ناس كثير ـ يعني عقب الإسراء ـ فجاء ناس إلى أبي بكر فذكروا له . فقال : أشهد أنك صادق . فقالوا : وتصدقه أنه أتى الشام في ليلة واحدة ، ثم رجع إلى مكة ؟!! قال : نعم ، إني أصدقه بأبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء .

الله أكبر ... يا خالق أبا بكر سبحانك ... إنه الصدق .. وإنه الصديق ﷺ .

* وهذا موقف آخر تتلألأ فيه أنوار الصدِّيقية ، وتتجلّى فيه الصدّيقيّة في أجل وأعمق صورها ، إنه يوم الحديبية عندما قبل رسول الله ﷺ بعض شروط قريش الجائرة ، قال عمر بن الخطاب : فأتيت نبي الله ﷺ فقلت : ألست نبي الله حقًّا ؟! قال : « بَلَى » ، قلت : ألسنا على حق وعدونا على الباطل ؟! قال : ((بَلَى)) قلت : فلمَ نعطي الدنية في ديننا إذًا ؟ ! قال : ((**إِنِّي رَسُولُ الله ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي**)) قلت : أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟! قال : ((**بَلَى ، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ العَامَ ؟**)) قلت : لا ، قال : « **فإنك آتيه ومطوف به** » قال عمر : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر ! أليس هذا نبي الله حقًّا ؟ قال : بلى ، قال : ألسنا على الحق ، وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلمَ نعطي الدنية في ديننا إذًا ؟ قال : أيها الرجل ! إنه رسول الله ﷺ ليس يعصي ربه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه (أي : اتبع قوله ، وفعله ، ولا تخالفه) فوالله إنه لعلى الحق . قلت : أليس كان يحدثنا

أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى . أفأخبرك أنا آتيه العام ؟ قلت : لا . قال : فإنك آتيه ومطوف به"[1].

الله أكبر .. هذا هو الصديق ... أي رجل كان ؟!

إن كلماته هي نفس الكلمات التي قالها رسول الله ﷺ لعمر !! هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه كان أكمل الصحابة ، وأعرفهم بأحوال رسول الله ﷺ ، وأعلمهم بأمور الدين ، وأشدهم موافقة لأمر الله تعالى وتصديقًا لرسول الله ﷺ ، وكان قلبه ﷺ على قلب رسول الله ﷺ . من أجل ذلك استحق هذا الرجل بجدارة واقتدار أن يكون صدّيق هذه الأمة الأكبر ، وأن يكون أحب الرجال قاطبةً إلى قلب رسول الله ﷺ .

عن عمرو بن العاص ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ! أي الناس أحب إليك ؟ قال : ((**عَائِشَةُ**)) فقلت : من الرجال ؟ قال : ((**أَبُوهَا**))[2].

ولم ينل أبو بكر ﷺ هذه الدرجة الرفيعة والقمة السامقة ، والمكانة العالية ، إلا لأنه بذل نفسه ، وماله لله ورسوله ﷺ حتى قال النبي ﷺ : ((**مَا لِأَحَدٍ**

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٣١) في : كتاب الشروط ، باب : الشروط في الحرب .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٣٨٤) ، والترمذي رقم (٣٨٨٥) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه أحمد في : الفضائل (٢١٤) ، وابن أبي عاصم في : السنة رقم (١٢٣٥) ، والنسائي في : الفضائل رقم (٥). .

عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَأْنَاهُ بِهَا إِلَّا الصِّدِّيقُ ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللهُ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، أَلَا وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ))[1].

نعم .. يا له من وسام رفيع وضعه أفضل الخلق وحبيب الحق محمد ﷺ على صدر هذا الرجل العظيم ، وما أكثر تلك الأوسمة التي وضعها محمد ﷺ على صدر أبي بكر الصديق ﷺ .

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٦٦٢) في : المناقب ، باب : مناقب أبي بكر الصديق ﷺ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، قال الأرناؤوط في تخريج « جامع الأصول » : وهو كما قال ، فإنه حسن بشواهده ، وقد ذكره الحافظ في « الفتح » وسكت عليه ، وصححه شيخنا الألباني في : صحيح سنن الترمذي رقم (٢٨٩٤) .

شيء من مناقبه رضي الله عنه

عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَوْنَ مَنْ فَوْقَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وَأَنْعَمَا»[١].

أي أن أبا بكر وعمر من أهل الدرجات العليا في الجنة، و «أَنْعَمَا» أي: زادا وفضلا.

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: إن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: «أَنْتَ صَاحِبِي عَلَى الحَوْضِ، وَصَاحِبِي فِي الْغَارِ»[٢].

قال في «تحفة الأحوذي»: أنت صاحبي على الحوض: أي: الكوثر، «وصاحبي في الغار» أي: الكهف الذي بجبل ثور الذي أويا إليه عند خروجهما مهاجرين.

قال في اللمعات: يعني صاحبي في الدنيا والآخرة، وكونه صاحبًا له في الغار فضيلة تفرد بها أبو بكر لم يشاركه فيها أحد. اهـ.

---

(١) رواه أحمد في الفضائل (١٦٦)، والترمذي رقم (٣٦٥٨)، وأبو داود رقم (٣٩٨٧)، وابن ماجة (٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٨٩٢).

(٢) رواه الترمذي مرسلًا رقم (٣٦٦٨) في: المناقب، باب: مناقب أبي بكر الصديق ﷺ، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال **القاري** : أجمع المفسرون على أن المراد بصاحبه في الآية يعني قوله تعالى : ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ﴾ هو أبو بكر ، وقد قالوا : من أنكر صحبة أبي بكر كفر ؛ لأنه أنكر النص الجلي بخلاف صحبة غيره من عمر وعثمان أو عليّ - رضوان الله عليهم أجمعين - . اهـ[1].

وعن **ابن عباس** - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَا أَحَدٌ أَعْظَمَ عَنْدِي يَدًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ : وَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، وَأَنْكَحَنِي ابْنَتَهُ** »[2].

وعن **أبي سعيد الخدري** ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ** »[3].

وسام عظيم استحقه رجلٌ عظيم فالنبي ﷺ يقول : « **إن أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ** » أي : أسمحُ بماله وأبذلُ له ، ولم يرد به معنى الامتنان ، لأن المنة تُفسد الصنيعة ، ولا منة لأحد مع رسول الله ﷺ ، بل له المنة على الأمة قاطبة .

---

(١) تحفة الأحوذي (١٠/ ١٠٦) ، ط : العلمية .

(٢) قال الحافظ في الفتح : أخرجه الطبراني وسكت عليه .

(٣) رواه البخاري رقم (٣٦٥٤) في : فضائل الصحابة ، باب : قول النبي ﷺ : « سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر » ، ومسلم رقم (٢٣٨٢) في : فضائل الصحابة ، باب : فضائل أبي بكر ﷺ ، والترمذي رقم (٣٦٦١) في : المناقب ، باب : مناقب أبي بكر الصديق ﷺ .

وأمر النبي ﷺ بسدّ الأبواب كلها التي كانت تفتح على مسجده ﷺ، واستثنى من ذلك باب أبي بكر، وفيه منقبة عظيمة، واختصاص ظاهر لأبي بكر.

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَطَّلِعُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ» فاطّلع أبو بكر، ثم قال: «يَطَّلِعُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ» فاطّلع عمر[1].

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْن الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ»[2].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أخبر أنه توضأ في بيته، ثم خرج، فقال: لألزمن رسول الله ﷺ، ولأكونن معه يومي هذا، قال: فجاء المسجد، فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: خرج ووجّه ها هنا، فخرجت على إثره أسأل عنه حتى

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٦٩٥) في: المناقب، باب: مناقب عمر بن الخطاب، ورواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٧٦٢)، المشكاة (٦٠٥٨).

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٧٤٨) في: المناقب، باب: مناقب عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة، وصححه الألباني في المشكاة (٦١١٠، ٦١١١) وفي تخريج الطحاوية (٧٢٨).

دخل بئر أريس ، فجلست عند الباب ـ وبابها من جريد ـ حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته ، فتوضأ ، فقمت إليه ، فإذا هو جالس على بئر أريس ، وتوسط قُفّها ، وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر ، فسلمت عليه ، ثم انصرفت فجلست عند الباب ، فقلت : لأكوننّ بوّاب رسول الله ﷺ اليوم ، فجاء أبو بكر فدفع الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : أبو بكر ، فقلت : على رسلك ، ثم ذهبت فقلت : يا رسول الله ! هذا أبو بكر يستأذن ، فقال : ((**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**)) ، فأقبلت حتى قلت لأبي بكر : ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة ، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القفّ ، ودلّى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ ، وكشف عن ساقيه ، ثم رجعت ، فجلست ، وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني ، فقلت : إن يرد الله بفلان خيرًا ـ يريد أخاه ـ يأت به ، فإذا إنسان يحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عمر بن الخطاب ، فقلت : على رسلك ، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ ، فسلمت عليه ، فقلت : هذا عمر بن الخطاب يستأذن ، فقال : ((**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**)) فجئت فقلت : ادخل ، وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة . فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القُفّ عن يساره ودلّى رجليه في البئر ، ثم رجعت فجلست ، فقلت : إن يرد الله بفلانٍ خيرًا يأت به ، فجاء إنسان يحرّك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عثمان بن عفان ، فقلت : على رسلك ، فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه ، فجئته فقلت له :

ادخل ، وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك ، فدخل ، فوجد القفّ قد ملئ ، فجلس وجاههُ من الشق الآخر[١].

وعن أنس بن مالك ﷺ **قال** : قال رسول الله ﷺ : أرحم أمتي بأمتي أبو بكر (أي : أكثرهم رحمة) وأشدهم في أمر الله عمر ، وأشدهم حياءً عثمان ، وأقضاهم عليّ ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأفرضهم (أي : أكثرهم علمًا بالفرائض) زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أبي بن كعب ، ولكل قوم أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ، وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر ، أشبه عيسى بن مريم في ورعه ، قال عمر : أفنعرف له ذلك يا رسول الله ؟ قال : ((**نَعَمْ ، فَاعْرِفُوا لَهُ**))[٢].

عن أبي بكر ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم : ((**مَنْ رَأَى اللَّيْلَةَ رُؤْيَا ؟**)) فقال رجل : أنا ، رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء فوُزِنت أنت وأبو بكر ، فَرُجحْتَ بأبي بكر ، ووزِنَ عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر بعمر ، ووُزن عمر بعثمان ، فرجح عمر بعثمان ، ثم رفع الميزان ، قال : فرأينا الكراهة في وجه

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٧٤) في : فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : لو كنت متخذًا خليلًا ، ومسلم رقم (٢٤٠٣) ، في : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عثمان بن عفان ﷺ ، والترمذي رقم (٣٧١١) في : المناقب .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٧٩٣، ٣٧٦٤) في : المناقب ، باب : مناقب أهل بيت النبي ﷺ ، وقال : حسن صحيح ، وقال الحافظ في الفتح : رجاله ثقات ، وصححه الألباني .

النبي ﷺ[١].

وهنا يظهر فضيلة أبي بكر على عمر فمن دونه ، وقوله : « فرأينا الكراهة في وجه رسول الله ﷺ» ، قال في تحفة الأحوذي : (وذاك لما علم ﷺ من أن تأويل رفع الميزان انحطاط رتبة الأمور ، وظهور الفتن بعد خلافة عمر ، ومعنى رجحان كل من الآخر أن الراجح أفضل من المرجوح .

وقال المنذري : قيل : يحتمل أن يكون النبي ﷺ كره وقوف التخيير وحصر درجات الفضائل في ثلاثة ، ورجا أن يكون في أكثر من ذلك ، فأعلمه الله أن التفضيل انتهى إلى المذكور فيه ، فساء ذلك . انتهى .

قال التوربشتي : إنما ساءه والله أعلم من الرؤيا التي ذكرها ما عرفه من تأويل رفع الميزان ، فإنه فيه احتمال لانحطاط رتبة الأمر في زمان القائم به بعد عمر رضي الله عنه عما كان عليه من تأويل من النفاذ والاستعلاء والتمكن بالتأييد ، ويحتمل أن يكون المراد من الوزن موازنة أيامهم لما كان نظر فيها من رفق الإسلام وبهجته ، ثم إن الموازنة تراعى في الأشياء المتقاربة مع مناسبة ما ، فيظهر الرجحان ، فإذا تباعدت كل التباعد لم يوجد للموازنة معنى ، فلهذا رفع الميزان[٢].

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٦٣٤) في : السنة ، باب : في الخلفاء ، والترمذي رقم (٢٢٨٨) في : الرؤيا ، وصححه شيخنا الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٨٧٥) .

(٢) تحفة الأحوذي (٦/ ٤٦٧) .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَرْكَبُ بَقَرَةً يَسُوقُ لَهُ ، قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا ، الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ البَقَرَةُ فَقَالَتْ : إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا وَلَكِنِّي خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ » فقال الناس : سبحان الله! تعجبًا وفزعًا ، أبقرة تكلم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ».

وقال أبو هريرة ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة ، فطلبه الراعي حتى استنقذها منه ، فالتفت إليه الذئب فقال له : « مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي؟ » فقال الناس : سُبحان الله ! فقال رسول الله ﷺ : « فَإِنِّي أُومِنُ بِذَلِكَ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ »(١).

قال النووي : قال العلماء : إنما قال ذلك ثقة بهما ، لعلمه بصدق إيمانهما وقوة يقينهما ، وكمال معرفتهما لعظيم سلطان الله وكمال قدرته ، ففيه فضيلة ظاهرة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما(٢).

وعن عليّ بن أبي طالب ﷺ أن رسول الله ﷺ نظر إلى أبي بكر وعمر فقال : « هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ لَا

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٦٣) في : فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : قول النبي ﷺ : « لَوْ كُنْتُ مُتَخِذًا خَلِيلًا » ، ومسلم رقم (٢٣٨٨) في : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أبي بكر الصديق ، والترمذي رقم (٣٦٨١، ٣٦٩٦) .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٨/ ١٧٠) .

تُخْبِرْهُمَا يَا عَلِيُّ))[1].

قال المباركفوري : ((الكُهُول)) بضمتين جمع كهل ، وهو على ما في القاموس : من جاوز الثلاثين أو أربعًا وثلاثين إلى إحدى وخمسين فاعتبر ما كانوا عليه في الدنيا حال هذا الحديث ، وإلا لم يكن في الجنة كهل ، وقيل : سيدا من مات كهلًا من المسلمين فدخل الجنة ، لأنه ليس فيها كهل ، بل من يدخلها ابن ثلاث وثلاثين ، وإذا كانا سيدا كهول أهل الجنة فمن أولى أن يكون سيدي شباب أهلها . قلت : وقع في رواية أحمد : هذان سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين ، من الأولين والآخرين .

أي : الناس أجمعين . اهـ[2].

وعن جابر بن عبد الله قال رسول الله ﷺ : ((**أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْ هَذَا الدِّينِ كَمَنْزِلَةِ السَّمْعِ وَالبَصَرِ مِنَ الرَّأْسِ**))[3].

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٦٦٦) في : المناقب ، باب : مناقب أبي بكر الصديق ﷺ ، وقال الألباني في الصحيحة (٨٢٤) : إن الحديث بمجموع طرقه صحيح بلا ريب .

(٢) تحفة الأحوذي (١٠/ ١٠٣) .

(٣) قال الألباني في الصحيحة (٨١٥) : هذا إسناد حسن رجاله كلهم ثقات .

بركة آل أبي بكر

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، حتى إذا كنا بالبيداء ـ أو بذات الجيش ـ انقطع عقدٌ لي ، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه ، وأقام الناس معه ، وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء ، فأتى الناس أبا بكر فقالوا : ألا ترى ما صنعت عائشة ؟ أقامت برسول الله ﷺ وبالناس معه ، وليسوا على ماء ـ وليس معهم ماء ـ فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام ، فقال : حبست رسول الله ﷺ والناس ، وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء ، قالت : فعاتبني ، وقال ما شاء الله أن يقول ، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي ، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي ، فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء ، فأنزل الله آية التيمم ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ [النساء : ٤٣] ، فقال أسيد بن الحضير : ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر ، وفي رواية : قال أسيد : لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر ، ما أنتم إلا بركة لهم . فقالت عائشة : فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته[1].

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٧٢) في : فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : قول النبي ﷺ : « لَوْ كُنْتُ مُتَخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا » .

قال الحافظ في الفتح : قوله : ما هي بأول بركتكم ، أي : بل هي مسبوقة بغيرها من البركات ، والمراد بآل أبي بكر نفسه وأهله وأتباعه ، وفيه دليل على فضل عائشة وأبيها وتكرار البركة منهما .اهـ[1].

ثاني اثنين

كان أبو بكر ﷺ هو صاحب النبي ﷺ في هجرته ، وقد اختاره رسول الله ﷺ لصحبته ، ذلك لمكانته في الإسلام ومنزلته في قلب النبي عليه الصلاة والسلام ، ولو لم يكن لأبي بكر منقبة غير هذه لكفته ، فتعالوا بنا نتعرف على هذه الرحلة التي زكّى فيها الله ﷻ أبا بكر بقوله : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠]

روى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : لم أعقل أبويَّ[2] قط إلا وهما يدينان الدين[3] ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار : بكرة وعشية ، فلما ابتُلِيَ المسلمون[4]، خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض

---

(١) فتح الباري (١/ ٥٧٢) .

(٢) تعني : أبا بكر وأم رومان .

(٣) يدينان بدين الإسلام .

(٤) أي : بأذى المشركين لما حصروا بني هاشم والمطلب في الشعب ، وأذن النبي ﷺ لأصحابه في الهجرة إلى الحبشة .

الحبشة حتى بلغ بَرْكَ الغِماد[1] لقيه ابن الدَّغِنّة ـ وهو سيد القارة[2] ـ فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي . قال ابن الدغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يُخرج ، إنك تكسبُ المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكلّ ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق[3]. فأنا لك جار ، ارجع واعبد ربك ببلدك ، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة ، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يَخرج مثله ، ولا يُخرج ، أتخرجون رجلًا يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكل ، ويقري الضيف ، ويعين على نوائب الحق ، فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة[4]. وقالوا لابن الدغنة : مُرْ أبا بكر فليعبد ربه في داره ، فليُصلّ فيها ، وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ، ولا يستعلن به ، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا .

فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكـر ، فلبث أبو بكـر بذلك يعبد ربـه في داره ،

---

(١) موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن .

(٢) قبيلة مشهورة من بني الهون ، وكانوا يضرب بهم المثل في قوة الرمي .

(٣) في موافقة وصف ابن الدغنة لأبي بكر بمثل ما وصفت به خديجة النبي ﷺ ما يدل على عظيم فضل أبي بكر واتصافه للصفات البالغة في أنواع الكمال ﷺ .

(٤) أي : لم ترد عليه قوله في أمان أبي بكر ، وكل من كذبك فقد رد قولك ، فأطلق التكذيب وأراد لازمه . كذا في الفتح (٧/ ٢٧٤) ط : دار الريان .

ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ في غير داره ، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره ، وكان يُصلي فيه ، ويقرأ القرآن ، فيتقذف(١) عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم معجبون منه وينظرون إليه . وكان أبو بكر رجلًا بكَّاءً(٢) لا يملك عينيه إذ قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدغنة ، فقدم عليهم . فقالوا : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدًا بفناء داره ، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتن(٣) نساءنا وأبناءنا ، فانهه ، فإن أحبَّ يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل ، وإن أبى إلا أن يُعلن بذلك فسله أن يُردَّ إليك ذمتك ، فإنا قد كرهنا أن نُخفرك(٤)، ولسنا بمقرين لأبي بكر الاستعلان ، قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال : قد علمت الذي عاقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك ، وإما أن تُرجع إليّ ذمتي ، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له . فقال أبو بكر : فإني أرُدُّ إليك جوارك وأرضى بجوار الله ﷻ(٥) والنبي يومئذ بمكة .

---

(١) أي : يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض .

(٢) أي : كثير البكاء .

(٣) يعجبون به ، فيفعلون مثله .

(٤) أي : نغدر بك .

(٥) أي : أمانه وحمايته ، وفيه جواز الأخذ بالأشد في الدين ، وقوة يقين وإيمان أبي بكر .

فقال النبي ﷺ للمسلمين : ((إِنِّي رَأَيْتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ))(١) وهما الحرتان ، فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة بالمدينة ، وتجهّز أبو بكر قبل المدينة ، فقال له رسول الله ﷺ : ((عَلَى رَسْلِكَ(٢) فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي)) فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي أنت ؟ قال : ((نَعَمْ)) ، فحبس(٣) أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُر ـ وهو الخبط(٤) أربعة أشهر .

قالت عائشة : فبينما نحن يومًا جلوسٌ في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة(٥)، قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله ﷺ متقنعًا(٦) ـ في ساعة لم يكن يأتينا بها ـ فقال أبو بكر : فداء له أبي وأمي ، والله ما جاء به هذه الساعة إلا أمر . قالت : فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن ، فأذن له ، فدخل ، فقال النبي ﷺ لأبي بكر :

---

(١) المراد : المدينة المنورة ، وأخرج البخاري : ((رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة ، أو هجر ، فإذا هي المدينة يثرب)).

(٢) على مهلك ، والرسل : السير الرفيق ، كذا في ((الفتح)) (٧/ ٢٧٦).

(٣) أي : منع نفسه من الهجرة لأجل أن يصحب رسول الله ﷺ .

(٤) وهو من ((تفسير الزهري)) ويقال : السمر شجرة أم غيلان ، وقيل : كل ما له ظل ثمين ، وقيل : السمر ورق الطلح ، والخبط : بفتح المعجمة والموحدة ؛ ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر ، قاله ابن فارس . كذا في ((الفتح)).

(٥) أي : أول الزوال ، وهو أشد ما يكون في حرارة النهار .

(٦) أي : مغطيًا رأسه .

((اخْرُجْ مَنْ عِنْدَكَ)) فقال أبو بكر : إنما هم أهلك[١] بأبي أنت يا رسول الله . قال : ((فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ)) فقال أبو بكر : الصحابة بأبي أنت يا رسول الله ، وفي رواية هشام فقال : الصحبة يا رسول الله ؟ قال رسول الله ﷺ : ((نَعَمْ)) .

زاد ابن إسحاق في رواية : قالت عائشة : فرأيت أبا بكر يبكي ، وما كنت أحسب أحدًا يبكي من الفرح . قال أبو بكر : فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين . قال رسول الله ﷺ: ((بِالثَّمَنِ)) قالت : فجهزناهما أحثّ الجهاز ، وصنعنا لهما سفرةً في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب[٢]، فبذلك سميت : ذات النطاق .

قالت : ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا[٣] فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شابٌّ ثقفٌ[٤] لقن[٥] ،

---

(١) أشار بذلك إلى عائشة وأسماء كما صرحت بذلك رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب .

(٢) أي : زادًا في جراب ، لأن أصل السفرة في اللغة : الزاد الذي يصنع للمسافر ، ثم استعمل في وعاء الزاد ، وأفاد الواقدي أنه كان في السفرة شاة مطبوخة ، كذا في ((الفتح)) (٧/ ٢٧٧-٢٧٨).

(٣) بفتح الميم ، ويجوز كسرها ، أي : اختفيا .

(٤) حاذق ، تقول : ثقفت الشيء إذا أقمت عوجه .

(٥) السريع الفهم .

فيدلج[١] من عندهما بسحر ، فيصبح مع قريش بمكة كبائت[٢] ، فلا يسمع أمرًا يكتادان[٣] به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحه عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل ـ وهي لبن منحتهما ورضيفهما ـ حتى ينعق بها عامر بن فهيرة[٤] بغلس ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث .

قال ابن حجر في ((**الفتح**)) : ذكر الواقدي أنهما خرجا من خوخة في ظهر بيت أبي بكر ، وقال الحاكم : تواترت الأخبار أن خروجه من مكة كان يوم الخميس ، وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين ، لأنه أقام فيه ثلاث ليال ، فهي ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد ، وخرج في أثناء ليلة الاثنين .

قالت عائشة : واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلًا من بني الدِّيل ، وهو من بني عبد بن عدي هاديًا خِرِّيتًا ـ والخريت : الماهر بالهداية ـ قد غمس حلفًا في آل العاص بن وائل السهمي ، وهو على دين كفار قريش ، فأمناه ، فدفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صُبح ثلاث ،

---

(١) أي : يخرج بسحر إلى مكة .

(٢) أي : مثل البائت يظنه من لا يعرف حقيقة أمره لشدة رجوعه بغلس .

(٣) أي : يطلب لهما فيه المكروه ، وهو الكيد .

(٤) أحد السابقين إلى الإسلام ، وقد عذب في سبيل الله ، فاشتراه أبو بكر من الطفيل بن سخبرة ، وأعتقه وشهد بدرًا وأحدًا ، وقتل يوم بئر معونة .

وانطلق معهما عامر بن فهيرة ، والدليل ، فأخذ بهم طريق السواحل[١].

وأخرج البيهقي عن ابن سيرين قال : قال عمر بن الخطاب : والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر ، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر . لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر ، فجعل يمشي ساعة بين يديه ، وساعة خلفه ، حتى فطن رسول الله ﷺ فقال : ((**يَا أَبَا بَكْرٍ ! مَالَكَ تَمْشِي سَاعَةً خَلْفِي ، وَسَاعَةً بَيْنَ يَدَيَّ ؟**)) فقال : يا رسول الله ! أذكر الطلب[٢] فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرصد[٣] فأمشي بين يديك . فقال : يا أبا بكر ! لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني ؟ قال : نعم ، والذي بعثك بالحق ، فلما انتهيا إلى الغار ، قال أبو بكر : مكانك ـ يا رسول الله ـ حتى أستبرئ الغار ، فدخل فاستبرأه ، حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرئ الحجرة[٤] ، فقال : مكانك ـ يا رسول الله ـ حتى أستبرئ ، فدخل فاستبرأ ، ثم قال : انزل يا رسول الله ، فنزل[٥].

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٩٠٥) في : مناقب الأنصار ، باب : هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

(٢) أي : أذكر من يسعى في طلبك من خلفك .

(٣) الرصد : هو من ينتظرك في طريقك ويرقبك .

(٤) هي ما تحفره السباع والهوام لأنفسها ، فيقال : حجر ضب ، وحجر حية ، ونحو ذلك .

(٥) قال ابن كثير : هذا مرسل حسن ، كما في ((كنز العمال)) (٨/ ٣٣٥) ، وأخرجه أيضًا الحاكم (٣/ ٦) وصححه على شرط الشيخين لولا إرسال فيه ووافقه الذهبي .

وعن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال : اشترى أبو بكر من عازب رحلًا بثلاثة عشر درهمًا ، قال : فقال أبو بكر لعازب : مُر البراء فليحمله إلى منزلي . فقال : لا ، حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله ﷺ وأنت معه ؟ قال : فقال أبو بكر : خرجنا فأدلجنا فأحثثنا (أسرعنا) يومنا وليلتنا حتى أظهرنا ، وقام قائم الظهيرة ، فضربت ببصري هل أرى ظلًّا نأوي إليه ، فإذا أنا بصخرة فأهويت إليها ، فإذا بقية ظلها ، فسويته لرسول الله ، وفرشت له فروة ، وقلت : اضطجع يا رسول الله ، فاضطجع ، ثم خرجت أنظر هل أرى أحدًا من الطلب ؟ فإذا أنا براعي غنم ، فقلت : لمن أنت يا غلام ؟ فقال : لرجل من قريش ، فسماه فعرفته ، فقلت : هل في غنمك من لبن ؟ قال : نعم ، قال : قلت : هل أنت حالب لي ؟ قال : نعم ، فأمرته فاعتقل شاة منها ، ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار ، ومعي إداوة(١) على فمها خرقة ، فحلب لي كُثبة من اللبن(٢) ، فصببت يعني الماء على القدح حتى برد أسفله ، ثم أتيت رسول الله ﷺ فوافيته وقد استيقظ ، فقلت : اشرب يا رسول الله ، فشرب حتى رضيت ، ثم قلت : هل أتى الرحيل ؟ قال : فارتحلنا ، والقوم يطلبوننا ، فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك بن

---

(١) إناء من جلد .

(٢) قليل منه .

جعشم على فرسٍ له . فقلت : يا رسول الله ! هذا الطلب قد لحقنا ، فقال : ((لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا)) حتى إذا دنا منا ، فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة . قال : قلت : يا رسول الله ! هذا الطلب قد لحقنا ، وبكيت ، قال : ((لِمَ تَبْكِي ؟)) قلت : أما والله ما على نفسي أبكي ، ولكن أبكي عليك .

قال : فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال : ((اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ)) فساخت[1] قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد[2] ، ووثب عنها ، وقال : يا محمد ! قد علمت أن هذا عملك ، فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه ، فوالله لأعمينَّ على مَنْ ورائي من الطلب ، وهذه كنانتي[3] ، فخذ منها سهمًا فإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضع كذا وكذا ، فخذ منها حاجتك ، فقال رسول الله ﷺ : ((لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا)) قال : ودعا له رسول الله ﷺ فأطلق ، فرجع إلى أصحابه ، ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة[4].

* وعن أنس بن مالك ﷺ قال : أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة ، وهو مردف أبا بكر ، وأبو بكر شيخٌ يُعرف ، ونبي الله ﷺ شابٌّ لا يُعرف ، قال : فيلقى

(١) غاصت .

(٢) الصلد : اليابس الأملح .

(٣) الكنانة : كيس من جلد أو جعبة من خشب توضع فيها السهام .

(٤) رواه البخاري رقم (٣٦٥٢) في : الفضائل ، باب : مناقب المهاجرين وفضلهم ، ورقم (٣٩٠٥) في : مناقب الأنصار ، باب : هجرة النبي ﷺ ، ومسلم رقم (٢٠٠٩) في : الأشربة ، باب : جواز شرب اللبن ، ورواه أيضًا أحمد في المسند (١/ ٢) رقم (٣) .

الرجل أبا بكر فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهديني السبيل .

قال : فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق ، وإنما يعني سبيل الخير(١).

* أخرج ابن الأثير في ((أسد الغابة)) بسنده عن ابن عيينة : عاتب الله سبحانه المسلمين كلهم في رسول الله ﷺ إلا أبا بكر ، فإنه خرج من المعاتبة : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ [التوبة : ٤٠]

* وإليك هذا المشهد الذي يتألق روعة وجلالاً :

عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ قالت : لما خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كله خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم ، قالت : وانطلق بها معه ، قالت : فدخل علينا جدي أبو قحافة ، وقد ذهب بصره ، فقال : والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ، قالت : قلت : كلا يا أبت ، إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا ، قالت : فأخذت أحجارًا فجعلتها في كوة (ثقب في الحائط) في البيت ـ كان أبي يجعل فيه ماله ـ ثم وضعت عليها ثوبًا ، ثم أخذت بيده فقلت : يا أبت ضع يدك على هذا المال .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٩١١) في : مناقب الأنصار ، باب : هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

قالت : فوضع يده عليه ، فقال : لا بأس ، إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا لكم بلاغ ، قالت : لا والله ما ترك لنا شيئًا ولكني أردت أن أسكِّن الشيخ بذلك !!(١).

* * *

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٥٠) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٥٩) : ورجال أحمد رجال الصحيح عن ابن إسحاق ، وقد صرح بالسماع وعزاه للطبراني أيضًا ، وانظر البداية والنهاية (٣/ ١٧٩) ، وتاريخ الخلفاء للإمام السيوطي (ص ٣٩) .

علو منزلته عند رسول الله ﷺ

إن من علو منزلة الصديق عند رسول الله ﷺ أن يتمعر وجه المصطفى لأجله .

* **ففي صحيح البخاري** عن أبي الدرداء ﷺ قال : كنت جالسًا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبْدى عن ركبتيه فقال النبي ﷺ : ((**أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ**)) ، فسلم وقال : يا رسول الله ! إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء ، فأسرعت إليه ، ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لي فأبى عَلَيّ ، فأقبلت إليك فقال : ((**يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**)) (ثلاثا) ثم إن عمر ندم ، فأتى منزل أبي بكر فسأل : أثَمّ أبو بكر ؟ فقالوا : لا . فأتى إلى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعَّر(1)، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه ، فقال :

---

(١) قال الحافظ في الفتح : ((**يتمعّر**)) بالعين المهملة المشددة أي : تذهب نضارته من الغضب ، وفي بعض النسخ ((**يتمغّر**)) بالغين المعجمة أي يحمر من الغضب ، فصار كالذي صبغ بالمغرة ، وللمؤلف في التفسير ((وغضب رسول الله)) وفي حديث أبي أمامة عند أبي يعلى في نحو هذه القصة ((فجلس عمر فأعـرض عنـه ـ أي النبي ﷺ ـ ثم تحول فجلس إلى الجانب الآخر وأعرض عنه ، ثم قام فجلس بين يديه فأعرض عنه ، قال : يا رسول الله ! ما أرى إعراضك إلا لشيء بلغك عني ، فما خير في حياتي وأنت معرض عني ؟ فقال : ((**أنت الذي اعتذر إليك أبو بكر فلم تقبل منه**)) ووقع في حديث ابن عمر عند الطبراني في نحو هذه القصة ((**يسألك أخوك أن تستغفر له فلا تفعل**)) فقال : والذي بعثك بالحق ما من مرة يسألني إلا وأنا أستغفر له ، ما خلق الله من أحد أحبّ إليّ منه بعدك ، فقال أبو بكر : أنا والذي بعثك بالحق كذلك . اهـ . فتح الباري (٧/ ٣٠) .

يا رسول الله! أنا كنت أظلم (مرتين) ، فقال النبي ﷺ : ((**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ : كَذَبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقَ ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي؟**)) مرتين ، فما أوذي بعدها[1].

قال الحافظ في الفتح : وفي الحديث من الفوائد فضل أبي بكر على جميع الصحابة .

* بل انظر إلى هذا المشهد الذي يبين بجلاء تكريم الرسول ﷺ لأبي بكر ، ومنزلته في قلبه ... يوم فتح مكة جاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله ﷺ يحمله حتى وضعه بين يدي رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر : ((**لَوْ أَقْرَرْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ لَأَتَيْنَاهُ**)) تكرمةً لأبي بكر[2]. ومن الأدلة على علو منزلة الصديق وتكريم النبي ﷺ له : ما جاء في ((الصحيحين)) من حديث سهل بن سعد الساعدي قال : أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم ، فحانت الصلاة ، فجاء المؤذن إلى أبي بكر فقال : أتصلي للناس فأقيم ، قال : نعم ، فصلى أبو بكر ، فجاء رسول الله ﷺ والناس في

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٦١) في : الفضائل ، باب : قول النبي ﷺ : « **لو كنت متخذا خليلًا** ».

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٦٠) ، وصححه ابن حبان رقم (١٤٧٦) ، وكذا الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٤٤) ، ووافقه الذهبي ، والحديث صحيح ، صححه الألباني في الصحيحة رقم (٤٩٦) .

الصلاة ، فتخلص حتى وقف في الصف فصفق الناس ، وكان أبو بكر لا يلتفت في صلاته ، فلما أكثر الناس التصفيق فرأى رسول الله ﷺ، فأشار إليه رسول الله ﷺ أن أمكث مكانك ، فرفع أبو بكر ﷺ يديه ، فحمد الله على ما أمره به رسول الله ﷺ من ذلك ، ثم استأخر أبو بكر حتى استوى في الصف ، وتقدم رسول الله ﷺ فصلى ، فلما انصرف قال : « **يَا أَبَا بَكْرٍ ! مَا مَنَعَكَ أَنْ تَثْبُتَ إِذْ أَمَرْتُكَ ؟** » فقال أبو بكر : ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ"[1].

ففي هذا الخبر أمر رسول الله ﷺ أبا بكر بالاستمرار في الإمامة من باب الإكرام له ، والتنويه بقدره ، ولكن أبو بكر ﷺ سلك طريق الأدب والتواضع ، فقال : ما كان لابن أبي قحافة أن يؤم رسول الله ﷺ ، يا خالق أبا بكر سبحانك ؟!!.

سابق بالخيرات

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجْوًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ ... فَاذْكُرْ أَخَـاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَـلَا
خَـيْرُ الـبَرِيَّةِ أَتْقَاهَـا وَأَعْدَلُهَـا ... إِلَّا النَّبِيَّ وَأَوْفَاهَـا بِمَا حَمَـلا
الثَّانِي الْمِثَـالِي الْمَحْمُـودُ مَشْهَدُهُ ... وَأَوَّلُ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَّقَ الرُّسُلَا

(١) رواه البخاري رقم (٦٨٤) في : الأذان ، باب : من دخل ليؤم الناس ، فجاء الإمام الأول فتأخر الأول أو لم يتأخر جازت صلاته ، ومسلم رقم (٤٢١) في الصلاة ، باب : تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام ولم يخافوا مفسدة بالتقديم .

إن أبا بكر لم يدع سبيلًا من سبل الخير إلا وسلكه حتى أن النبي ﷺ بشره بأنه سينادي عليه يوم القيامة من كل أبواب الجنة .

كما في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ الله دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ : يَا عَبْدَ الله هَذَا خَيْرٌ ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعَي مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعيَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ ، وَبَابِ الرَّيَّانِ**)) فقال أبو بكر : ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة ، وقال : هل يدعى منها كلها أحدٌ يا رسول الله ؟ قال : ((**نَعَمْ ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ**))[1]. وفي رواية ابن حبان من حديث ابن عباس : قال ﷺ : ((**أَجَلْ ، وَأَنْتَ هُوَ يَا أَبَا بَكْرٍ**)).

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى عن أبواب الجنة في ((**نونيته**)) :

وَلَسَوْفَ يُدْعَى المَرْءُ مِنْ أَبْوَابِهَا ... جَمِعًا إِذَا وَفَّى حُلَى الإِيمَانِ
مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ ذَا ... كَ خَلِيفَةُ المَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٦٦) في : فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : قول النبي ﷺ : ((**لَوْ كُنْتُ مُتَخِذًا خَلِيلًا**)) ، ومسلم رقم (١٠٢٧) في الزكاة ، باب : من جمع الصدقة وأعمال البر .

وفي الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال ﷺ : ((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُم اليَوْمَ صَائِمًا ؟)) قال أبو بكر : أنا . قال : ((مَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ اليَوْمَ جَنَازَةً ؟)) قال أبو بكر ﷺ : أنا ، قال : ((فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ اليَوْمَ مِسْكِينًا ؟)) قال أبو بكر ﷺ : أنا . قال : ((مَنْ عَادَ مِنْكُمْ اليَوْمَ مَرِيضًا ؟)) قال أبو بكر ﷺ : أنا ، فقال رسول الله ﷺ : ((مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ))(١).

(١) رواه مسلم رقم (١٠٢٨) في : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ .

رجل أعلن إيمانه

إن عظمة هذا الرجل ماثلة في إيمانه العجيب ، ويقينه المذهل في دنيا البشر : ((**ما سبقكم أبو بكر بكثير صلاة وصيام ، ولكنه شيء وقر في القلب**)) .

ومن ثم استحق أبو بكر بجدارة واقتدار أن يكون : ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠]

﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ ﴾ قال الزجاج : المعنى : فقد نصره الله أحد اثنين ، أي : نصره منفردًا إلا من أبي بكر .

وهذا معنى قول الشعبي : عاتب الله أهل الأرض جميعًا في هذه الآية غير أبي بكر[1].

وفي الصحيحين عن أنس ﷺ أن أبا بكر حدثه فقال : قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا ، فقال : ((**يَا أَبَا بَكْرٍ ! مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**))[2].

.. الله أكبر !!

---

(١) التبصرة (١/ ٤٧١) .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٦٥٣) في: فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : مناقب المهاجرين وفضلهم ، ومسلم رقم (٢٣٨١) في : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أبي بكر الصديق ، والترمذي رقم (٣٠٩٥) في : التفسير ، باب : ومن سورة التوبة .

عندئذ سكن أبو بكر وهو يرى المشركين يطوفون بالغار في خبال ، ثم يرتدون عنه حيارى وعميانًا لم ينالوا شيئًا ، فتم له يومئذ إيمانه ﷺ ، واستوى على عرش اليقين يقينه الذي ملأ الزمان والمكان روعة في ساعة العسرة ، ووقت الأزمات ، إنه الصديق الأكبر ﷺ .

وما من باب من أبواب الخير إلا وتجد الصديق في المقدمة ، ومناقبه في الإسلام عظيمة الأثر .. كان ﷺ أول من جاهر بالدفاع عن النبي ﷺ ، فوالله لساعة من أبي بكر خير من ألف ساعة من مثل مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم إيمانه ، وهذا رجل أعلن إيمانه !!.

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : بينما رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط ، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ، ودفعه عن النبي ﷺ ، ثم قال : ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر : ٢٨] (١).

قال الحافظ في « الفتح » : أخرج البزار من رواية محمد بن علي عن أبيه أنه خطب فقال : من أشجع الناس ؟ فقالوا : أنت ، قال : أما إني ما بارزني

---

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار رقم (٣٨٥٦) باب : ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة .

أحد إلا أنصفت منه ، ولكنه أبو بكر ، لقد رأيت رسول الله ﷺ أخذته قريش فهذا يجؤه ، وهذا يتلقاه ويقولون له : أنت تجعل الآلهة إلهًا واحدًا ، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ، ويدفع هذا ، ويقول : ويلكم ! أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله ؟ ثم بكى علي ، ثم قال : أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون أفضل أم أبو بكر ؟ فسكت القوم ، فقال علي : والله لساعة من أبي بكر خير منه ، ذاك رجل يكتم إيمانه ، وهذا يعلن إيمانه . اهـ(١).

وهذا مشهد آخر وموقف من مواقف الصديق الذي يقف أمامه الرائي متعجبًا من حب هذا الرجل لرسول الله ﷺ ، وفدائه بنفسه من أجل دين الله ، وإعلاء كلمة التوحيد .

تقول عائشة - رضي الله عنها -: لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ ، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلًا ، ألحّ أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور ، فقال : ((**يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّا قَلِيلٌ**)).

فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد ، كل رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر في الناس خطيبًا ، ورسول الله ﷺ جالس ، فكان أول خطيب دعا إلى الله ، وإلى رسول الله ﷺ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين ، فضربوا في نواحي المسجد ضربًا

---

(١) فتح الباري (٧/ ٢٠٧) ، ط : دار الريان .

شديدًا ، ووطئ أبو بكر ، وضرب ضربًا شديدًا ، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة ، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ، ويحرفها لوجهه ، ونز (أي : وثب) على بطن أبي بكر ، حتى ما يعرف وجهه من أنفه ، وجاء بنو تيم يتعادون ، فأجلت قريشًا عن أبي بكر ، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ، ولا يشكون في موته ، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد ، وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة ، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب ، فتكلم آخر النهار ، فقال : ما فعل رسول الله ؟ فمسُّوا منه بألسنتهم وعذلوه ، ثم قاموا ، وقالوا لأمه أم الخير : انظري أن تطعميه شيئًا أو تسقيه إياه .

فلما خلت به ألحت عليه ، وجعل يقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت : والله ما لي علم بصاحبك ، فقال : اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله . فقالت : ما أعرف أبا بكر ، ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك ، قالت : نعم ، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعًا دنفًا ، فدنت أم جميل وأعلنت الصياح ، وقالت : والله إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر ، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال : فما فعل رسول الله ﷺ قالت : هذه أمك تسمع ، قال : فلا شيء عليك منها ، قال : سالم صالح ، قال : أين هو ؟ قالت : في دار ابن الأرقم . قال : فإن لله عليّ ألا

أذوق طعامًا ولا أشرب شرابًا ، أو آتي رسول الله ﷺ ، فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرجل ، وسكن الناس خَرَجَتَا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ ، فأكب عليه رسول الله ﷺ فقبله ، وأكب عليه المسلمون ، ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة ، فقال أبو بكر : بأبي وأمي يا رسول الله ، ليس بي بأس ! إلا ما نال الفاسق من وجهي ، وهذه أمي برة بولدها ، وأنت مبارك فادعها إلى الله ، وادع لها عسى أن يستنقذها بك من النار ، قال : فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت[1].

وشهد أبو بكر ﷺ المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ : فهذا يوم بدر استشار رسول الله ﷺ أصحابه ، فتكلم أبو بكر ﷺ فأجاد ، وكانت المعركة .. يقول علي ﷺ : أشجع الناس أبو بكر إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا ، فقلنا : من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يقوى إليه أحد من المشركين ، فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا هوى إليه ، فذكر الحديث . كذا في المجمع[2]. وثبت أبو بكر ﷺ ثبوت الجبال يوم أحد حول رسول الله ﷺ يدافع .

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ٢٩- ٣٠) بسند رجاله ثقات ، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٤٦، ٤٧) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن أبي الحرث ، وهو ثقة ، انظر : حلية الأولياء (١/ ٣٢) وتاريخ الخلفاء للحافظ جلال الدين السيوطي (ص ٣٧) .

(٢) (٩/ ٤٦) .

وبعث رسول الله ﷺ سرية إلى بني فزارة سنة سبع للهجرة بقيادة أبي بكر ﷺ فوردت الماء ، وغنمت ، وسبت ، وعادت سالمة .

وفي غزوة تبوك ساعة العسرة كانت راية المسلمين بيد أبي بكر الصديق ﷺ .

ويوم حنين أعجب المسلمون بكثرتهم فلم تغنهم شيئًا ، وولوا مدبرين بعد أن كمن لهم أعداء الله في شعاب الوادي ، وكان أول من ثبت حول رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ وأرضاه[1].

إنفاقه ﷺ في سبيل الله

وأبو بكر ﷺ له اليد الطولى في الإنفاق في سبيل الله ، حتى قال المصطفى ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وابن ماجة من حديث أبي هريرة ﷺ قال : ((**مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ**))[2] ، فبكى أبو بكر وقال : هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله ؟!.

وقد كان ماله يوم أسلم ﷺ أربعين ألف دينار أنفقها كلها على رسول الله ﷺ ، ولم يبق منها يوم الهجرة إلا خمسة آلاف .

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : أنفق أبو بكر ﷺ على رسول الله ﷺ

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٣٩٤) ط : دار ابن رجب .

(٢) رواه أحمد (٢/ ٢٥٣) رقم (٧٤٣٩) وابن ماجة (٩٤) وابن أبي عاصم في السنة (١٢٢٩) ، وصححه شيخنا الألباني .

أربعين ألفًا(١).

فقد كان ﷺ كريمًا سخيًا، وقد أنفق جل ماله في سبيل الله ورسوله ﷺ، وقد نزلت في حقه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل: ١٧ - ١٨]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ حتى أن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ [الليل: ١٧ - ١٩]، ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف، وسائر الأوصاف الحميدة فإنه كان صديقًا، تقيًّا، كريمًا، جوادًا، باذلًا لأمواله في طاعة مولاه، ونصرة رسول الله ﷺ.

فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منّة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل.

ولهذا قال له عروة بن مسعود، وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية: أما والله لولا يدٌ لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة.

---

(١) رواه ابن حبان (٢١٦٧) وقال الألباني: وسنده صحيح، انظر: السلسلة الصحيحة (٦/ ٤٨٧).

فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ، ورؤساء القبائل ، فكيف بمن عداهم ؟ ولهذا قال تعالى : ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ [الليل : ١٩- ٢١] .اهـ(١).

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ، فوافق ذلك مني مالًا ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر ـ إن سبقته يومًا ـ فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله ﷺ : ((**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟**)) قلت : مثله ، قال : وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال له رسول الله ﷺ : ((**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟**)) قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت : لا أسبقك إلى شيء أبدًا(٢).

*** ومن إنفاقه ﷺ في سبيل الله :**

شراء العبيد وعتقهم ، فكان ﷺ إذا مر على أحد من العبيد يعذب اشتراه من سيده ، وأعتقه ابتغاء وجه ربه الأعلى .

* أخرج ابن الأثير بسنده(٣) : عن هشام بن عروة عن أبيه قال : أسلم أبو

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٥٢١) ط : التراث الإسلامي ، حلب .

(٢) رواه أبو داود رقم (١٦٧٨) في : الزكاة ، باب : في الرخصة في الرجل يخرج من ماله ، والترمذي رقم (٣٦٧٥) في : المناقب ، باب : مناقب أبي بكر الصديق ﷺ ، وإسناده حسن ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وحسنه الشيخ الألباني .

(٣) أسد الغابة (٣/ ٣٢٥) ، وقال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني ورجاله إلى عروة رجال الصحيح .

بكر وله أربعون ألفًا ، فأنفقها في سبيل الله ، وأعتق سبعة كلهم يعذب في الله ، أعتق بلالًا ، وعامر بن فهيرة ، وزنيرة ، والنَّهدية ، وابنتها ، وجارية بني مُؤَمَّل ، وأم عُبَيْس .

* وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : أعتق أبو بكر ﷺ سبعة ممن كان يعذب في الله ﷻ منهم : بلال ، وعامر بن فهيرة(١).

اشترى أبو بكر ﷺ بلالًا كما قال عمر : أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا بلالًا(٢).

وكان بلال من قبل مولى لأمية بن خلف الجمحي الذي أذاقه العذاب المر ، وقد اشترى أبو بكر بلالًا بخمس أواق من الذهب ، وبعد أن اشتراه : قال أمية بن خلف لأبي بكر : لو أبيت إلا أوقية لبعناك . فقال أبو بكر : لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته .

* واشترى أبو بكر ﷺ عامر بن فهيرة من سيده الطفيل بن عبد الله بن الحارث ، وأعتقه ، وكان عامر أحد السابقين للإسلام ، وقد عُذّب في سبيل الله ، وشهد بدرًا وأُحدًا ، وقتل يوم بئر معونة .

واشترى أبو بكر ﷺ زنيرة ، وكانت أمة عمر بن الخطاب قبل أن يسلم ،

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٨٤) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قال .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٧٥٤) في : فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : مناقب بلال بن رباح مولى أبي بكر ﷺ ، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف رقم (١٢٠١٤) .

وكان يعذبها ويضربها ـ وكانت قد أسلمت ـ وذهب بصرها من شدة الضرب ، فقالت قريش : ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى . فقالت وهي لا تبصر : والله ما هو كذلك ، وما يدري اللات والعزى من يعبدهما ، وربي قادر علي أن يردّ على بصري ، فردّ الله عليها بصرها تلك الليلة ، فقالت قريش : هذا من سحر محمد . فاشتراها أبو بكر فأعتقها ، وكانت قريش تقول : لو كان خيرًا ما سبقتنا إليه زنيرة ، فأنزل الله ﷻ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ﴾ [الأحقاف : ١١]

* واشترى جارية كانت أمة في بني عدي ، قوم عمر بن الخطاب ، وقد أسلمت ، فكان عمر بن الخطاب قبل إسلامه يعذبها ، ويضربها لتترك الإسلام ، فاشتراها أبو بكر ﷺ وأعتقها .

واشترى ﷺ أمة في بني عبد شمس ، وكانت تدعى أم عبيس ، وأعتقها .اهـ[1].

(١) التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر (٣/ ٣٨) ، ط : المكتب الإسلامي .

تواضعه رضي الله عنه

وتواضع الصديق منقبة عظيمة من مناقبه - ﷺ - بل كان ﷺ على أعلى مثل من التواضع ، وها هي تزكية النبي ﷺ بنفي الخيلاء عن الصديق ﷺ .

ففي الحديث الذي رواه البخاري عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : ((مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ)) ، فقال أبو بكر : وإن أحد شقّي ثوبي يسترخي ، إلا أن تعاهد ذلك منه ، فقال رسول الله ﷺ : ((إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ خُيَلَاءَ))[1].

* وفي مسند الإمام أحمد : عن ابن أبي مليكة قال : كان ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق ﷺ قال : فيضرب بذراع ناقته فينيخها ، فيأخذه ، قال : فقالوا له : أفلا أمرتنا نناوِلكه ؟ قال : إن حبيبي رسول الله ﷺ أمرني أن لا أسأل الناس شيئًا[2].

وروى ابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) بسند حسن كما قال ابن كثير : وكان - ﷺ - منزله بالسُّنُح[3] عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد ، وكان

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٦٥) في : الفضائل ، باب : قول النبي ﷺ : ((**لو كنت متخذًا خليلًا**)) ، وأخرجه أبو داود رقم (٤٠٨٥) ، والنسائي (٨/ ٢٠٨) .

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ١١) رقم (٦٥) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده ضعيف .

(٣) بالسنح : بضم السين والنون ، وقيل بسكونها ، موضع بعوالي المدينة فيه منازل بني الحارث بن الخزرج .

قد حَجر[١] عليه حُجْرةً من شَعْر فما زاد على ذلك حتى تحول إلى منزله بالمدينة ، فأقام هناك بالسُّنْح ، بعدما بويع له ستة أشهر يغدو على رجليه إلى المدينة ، وربما ركب على فرس له وعليه إزار ورداء مُمَشَّقٌ[٢] ، فيوافي المدينة ، فيصلي الصلوات بالناس ، فإذا صلى العشاء رجع إلى أهله بالسنح ، فكان إذا حضر صلى بالناس ، وإذا لم يحضر صلى عمر بن الخطاب . وكان رجلًا تاجرًا ، فكان يغدو كل يوم إلى السوق ، فيبيع ويبتاع ، وكانت له قطعة غنم يروح عليها ، وربما خرج هو بنفسه فيها، وربما كُفيها فرُعيتْ له .

وكان يحلب للحي أغنامهم ، فلما بويع له بالخلافة ، قالت جارية من الحي : الآن لا تُحلب لنا منَائِحُ (أغنام) دارنا ، فسمعها أبو بكر فقال : بلى لعمري لأحلُبَنَّها لكم ، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خُلُق كنت عليه . فكان يحلب لهم ، فربما قال للجارية من الحي : يا جارية ! أتحبّين أن أُرْغي لك أو أُصَرّح ؟ فربما قالت : أرغ ، وربما قالت : صَرّح ، فأي ذلك قالت فعل .

ثم اعتمر أبو بكر في رجب سنة اثنتي عشرة ، فدخل مكة ضحوة فأتى منزله ، وأبو قحافة جالس على باب داره معه فتيان أحداث يحدثهم إلى أن قيل له : هذا ابنك ، فنهض قائمًا ، وعجل أبو بكر أن ينيخ راحلته ، فنزل

---

(١) حجر : يقال حجر القاضي عليه : منعه عن التصرف في ماله .

(٢) ممشق : المشق بالكسر : المغرة ، وثوب ممشق : مصبوغ به . النهاية (٤/ ٣٣٤) .

عنها وهي قائمة ، فجعل يقول : يا أبت لا تقم ، ثم لاقاه فالتزمه ، وقبل بين عيني أبي قحافة ، وجعل الشيخ يبكي فرحًا بقدومه .

وجاء إلى مكة عتاب بن أسيد، وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام فسلموا عليه : سلام عليك يا خليفة رسول الله ﷺ ، ثم سلموا على أبي قحافة .

فقال أبو قحافة : يا عتيق ، هؤلاء الملأ فأحسن صحبتهم .

فقال أبو بكر : يا أبت لا حول ولا قوة إلا بالله ! طوقت عظيمًا من الأمر لا قوة لي به ، ولا يدان إلا بالله ، ثم دخل فاغتسل وخرج ، فنحاهم، ثم قال : امشوا على رسلكم، ولقيه الناس يتمشون في وجهه ، ويعزونه بنبي الله ﷺ ، وهو يبكي حتى انتهى إلى البيت فاضبع بردائه ، ثم استلم الركن ، ثم طاف سبعًا وركع ركعتين ، ثم انصرف إلى منزله ، فلما كان الظهر خرج فطاف أيضًا بالبيت ، ثم جلس قريبًا من دار الندوة ، فقال : هل من أحد يتشكى من ظلَامَةٍ ، أو يطلب حقًّا ؟ فما أتاه أحدٌ ، وأثنى الناس على واليهم خيرًا ، ثم صلى العصر وجلس فودعه الناس ، ثم خرج راجعًا إلى المدينة[1].

---

(١) أسد الغابة (٣/ ٣٢٥، ٣٢٦) بسند حسن ، والخبر في الطبقات لابن سعد (٣/ ١٣٨) ، ولكن من طريق الواقدي ، وقال ابن كثير : هذا سياق حسن ، وله شواهد من وجوه أخر ، ومثل هذا تقبله النفوس وتتلقاه بالقبول . كذا في الكنز (١٤٠٧٧) .

* وأورد ابن الأثير بسنده في «أسد الغابة»: عن أبي صالح الغفاري أن عمر بن الخطاب كان يتعاهد عجوزًا كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل، فيستقي لها، ويقوم بأمرها، فكان إذا جاء وجد غيره قد سبقه إليها، فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كلًّا يسبق إليها، فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر الصديق الذي يأتيها، وهو يومئذ خليفة.

فقال عمر: أنت هو لعمري؟!!

ولا عجب في ذلك، فقد كان الصديق ﷺ رؤوفًا رحيمًا برعيته.

فقد أخرج ابن الأثير بسنده في أسد الغابة: عن قبيصة بن جابر: والله ما رأيت أحدًا أرأف برعيته، ولا خيرًا من أبي بكر.

* وعن سعيد بن المسيب: أن أبا بكر ﷺ لما بعث الجنود نحو الشام أمّر يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة، ولما ركبوا مشى أبو بكر مع أمراء جنوده يودّعهم حتى بلغ ثنيّة الوداع، فقالوا: يا خليفة رسول الله، تمشي ونحن ركبان؟

فقال: إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله[1].

* وعن أبي برزة الأسلمي قال: أغلظ رجل لأبي بكر الصديق، قال: فقال أبو برْزة: ألا أضــرب عنقه؟ قال: فانتهـره، وقال: ما هي لأحد بعـد

---

(١) أخرجه البيهقي (٩/ ٨٥) وكذا ابن عساكر، بسند صحيح.

رسول الله ﷺ[(١)].

* وأخرج ابن الأثير في «أسد الغابة»: عن الأصمعي قال: كان أبو بكر إذا مُدِحَ قال: اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيرًا مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون.

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٩٢)، وقال الشيخ شاكر: وإسناده صحيح.

خوفه وورعه رضي الله عنه

إن القلم ليتوارى خجلًا وحياء من أن يعبر عن ورع هذا الطود الشامخ ، والنجم الساطع في سماء الإسلام .

ذلكم الرجل الذي كان ورعه وخوفه من الله ليس له في العالمين نظير .

أخرج الإمام أحمد في ((الزهد)) عن محمد بن سيرين قال : لم أعلم أحدًا استقاء من طعام أكله غير أبي بكر ﷺ[١].

وأخرج البخاري من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : كان لأبي بكر غلامٌ يخرج له الخراج ، وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يومًا بشيء فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام : أتدري ما هذا ؟ فقال أبو بكر : ما هو ؟ قال : كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية ، وما أُحْسِن الكهانة ، إلا أني خدعته فأعطاني بذلك ، فهذا الذي أكلت منه . فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه[٢].

قال ابن حجر في الفتح : ووقع لأبي بكر مع النعيمان بن عمرو أحد الأحرار من الصحابة قصة ذكرها عبد الرزاق بإسناد صحيح : أنهم نزلوا بماء ، فجعل النعيمان يقول لهم : يكون كذا فيأتون بالطعام ، فيرسله إلى أصحابه ، فبلغ أبا بكر ، فقال : أراني آكل كهانة النعيمان منذ اليوم ، ثم أدخل

---

(١) قال الحافظ في ((الفتح)) : رواه أحمد في ((الورع)) ، ورجاله ثقات ، لكنه مرسل .

(٢) أخرجه البيهقي (٩/ ٨٥) وكذا ابن عساكر ، بسند صحيح .

يده في حلقه فاستقاء . اهـ[١].

قال الحافظ في « الفتح » : قال ابن التين : إنما استقاء أبو بكر تنزهًا لأن أمر الجاهلية وضع، ولو كان في الإسلام لغرم مثل ما أكل أو قيمته ، ولم يكفه القيء ، كذا قال والذي يظهر أن أبا بكر إنما قاء لما ثبت عنده من النهي عن حلوان الكاهن ، والكاهن من يخبر بما سيكون من غير دليل شرعي ، وكان ذلك قد كثر في الجاهلية خصوصًا قبل ظهور الإسلام . اهـ[٢].

وأخرج أبو نعيم في « الحلية » : عن زيد بن أرقم ﷺ قال : كان لأبي بكر الصديق ﷺ مملوك يغلُّ عليه ، فأتاه ليلة بطعام ، فتناول منه لقمة ، فقال له المملوك : مالك كنت تسألني كل ليلة ، ولم تسألني الليلة ؟ قال : حملني على ذلك الجوع ، من أين جئت بهذا ؟

قال : مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم ، فوعدوني ، فلما كان اليوم مررت بهم ، فإذا عُرس لهم فأعطوني . قال : إنك كدت أن تهلكني ، فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ ، وجعلت لا تخرج .

فقيل له : إن هذه لا تخرج إلا بالماء ، فدعا بطست من ماء ، فجعل يشرب ، ويتقيأ حتى رمى بها . فقيل له : يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة .

---

(١) فتح الباري (٧/ ١٨٩ - ١٩٠) ط : دار الريان .

(٢) المصدر السابق .

قال : لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها [١].

الله أكبر يا ابن أبي قحافة .. يا صديق الأمة الأكبر .. هذا هو الورع .. هذه هي التقوى .. وهذا هو الإيمان .. ولم لا ؟! وإيمانه ﷺ لو وزن بإيمان الأمة لرجح ﷺ وأرضاه .

وفي تاريخ الطبري [٢] : قال ﷺ في مرضه الذي توفي فيه : إني لا آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن ، وددت أني تركتهن ذكر منها : وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر (أمر الخلافة) في عنق أحد الرجلين ـ يريد عمر وأبا عبيدة ـ فكان أحدهما أميرًا ، وكنت وزيرًا .

* وهذا موقف آخر يظهر فيه بجلاء ورع أبي بكر ووقوفه عند كتاب الله ﷻ .

ففي البخاري من حديث عائشة – رضي الله عنها – في حادثة الإفك ، وفيه قالت : فلما أنزل الله في براءتي ، قال أبو بكر الصديق ﷺ ـ وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره ـ : والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال ، فأنزل الله : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣١) بسند رجاله ثقات ، والخبر في المنتظم لابن الجوزي (٤/ ٦٢).

(٢) (٢/ ٣٥٣) وإسناده صحيح .

﴿ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ٢٢] ، قال أبو بكر : بلى ، والله إني أحبُّ أن يغفر الله لي ، فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها أبدًا"(١).

انظر ـ رحمني الله وإياك ـ كيف كان ﷺ وقافًا عند كتاب الله ؟!

بل انظر إلى خوفه وورعه أن يقول في كتاب الله بما لا يعلم .

يقول ﷺ وأرضاه : أي أرض تقلني ، وأي سماء تظلني ، إن قلت في آية من كتاب الله برأيي أو بما لا أعلم"(٢).

وعن ابن سيرين قال : لم يكن أحدٌ أهيب بما لم يعلم من أبي بكر الصديق ﷺ .

وإن أبا بكر نزلت به قضية ، فلم يجد في كتاب الله منها أصلًا ، ولا في السنة أثرًا ، فاجتهد برأيه ، ثم قال : هذا رأيي فإن يكن صوابًا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمني ، وأستغفر الله"(٣).

وعن ابن أبي مليكة قال : سئل أبو بكر الصديق ﷺ عن آية في كتاب الله ﷻ ، قال : أيّ أرض تُقلّني ، وأي سماء تظلني وأين أذهب وكيف أصنع إذا أنا قلت في آية من كتاب الله بغير ما أراد الله ؟"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٧٥٠) في : التفسير ، باب : ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ الآية .

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٥٤) ط : دار الجيل ، والخبر في مسند عبد بن حميد ، وإسناده صحيح .

(٣) المرجع السابق ، والخبر صحيح ، رجاله ثقات .

(٤) « سنن سعيد بن منصور » رقم (٣٩) ، ذكره الحافظ في الفتح (١٣/ ٢٧١) ، وقال : =

بل انظر ـ رحمني الله وإياك ـ كيف خوفه وخشيته على إيمانه من أن يترك شيئًا من أمره ﷺ: فيقول : لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به ، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ(١).

بل انظر ـ رحمني الله وإياك ـ إلى الصديق الأكبر الذي لا يملك عينيه من البكاء إذا قرأ القرآن .

ففي صحيح البخاري من حديث عائشة – رضي الله عنها – في حديث الهجرة الطويل ، وفيه : ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره ، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقذَّف عليه نساء المشركين وأبناؤهم ، وهم يعجبون منه ، وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلًا بكّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن(٢).

وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال : لما نزلت ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ [الزلزلة : ١]،وأبو بكر الصديق – ﷺ – قاعد فبكى حين أنزلت ، فقال له رسول الله ﷺ : ((**مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟**)) قال : يبكيني هذه السورة ، فقال رسول الله ﷺ : ((**لَوْلَا أَنَّكُمْ تُخْطِئُونَ**

= الأثر حسن .

(١) ((الاعتصام)) للشاطبي (١/ ١٨٠) دار : إحياء التراث .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٩٠٥) في : مناقب الأنصار ، باب : هجرة النبي ﷺ ، وأصحابه إلى المدينة .

وَتُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ لَخَلَقَ اللهُ أُمَّةً يُخْطِئُونَ وَيُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ »[١].

بل انظر - رحمني الله وإياك - إلى هذا الأثر ، ثم تعجب ، وإن شئت تأسفت ، أو بكيت على حالك وحالي .

يدخل الفاروق عمر على أبي بكر ، وهو يجبذ لسانه . فقال عمر : مه ؟ غفر الله لك .

فماذا قال الصديق ﷺ ؟ قال : وهو يجبذ لسانه : « إِنَّ هَذَا أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ »[٢].

بل انظر - رحمني الله وإياك - إلى خوفه : يقول ابن الجوزي :

قال أبو بكر ﷺ فيما رواه الإمام أحمد : لوددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن[٣].

وقال أيضًا : وعن الحسن قال : قال أبو بكر الصديق ﷺ : يا ليتني شجرة تُعضد ، ثم تؤكل[٤].

---

(١) « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (٤/ ٥٣٨) والخبر رجاله ثقات .

(٢) الموطأ (٢/ ٩٨٨) في : الكلام ، باب : ما جاء فيما يخاف من اللسان ، وقال الأرناؤوط في تخريج « جامع الأصول » : إسناده صحيح. وأخرجه أيضًا النسائي (٥/ ٢٨٤) في : المواعظ من سننه الكبرى ، ورواه أبو يعلى في مسنده ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ٣٠٢) : ورجاله رجال الصحيح ، وأخرجه أيضًا الدارقطني .

(٣) صفة الصفوة (١/ ١٣١) ط : الكتب العلمية .

(٤) المصدر السابق .

اتباعه للنبي ﷺ في كل شيء

سوف نرى بعد قليل عند الكلام عن بعث جيش أسامة بعد وفاة النبي ﷺ ماذا قال الصديق عندما كلمه عمر وصحابة النبي ﷺ أن يؤخِّر بعث الجيش ؟

ماذا فعل ؟ وماذا كان جوابه عندما كلّمه عمر عن رغبة الأنصار أن يُؤَمِّر أحدًا غير أسامة .. لتعلم أنه الصديق .. الذي قال في أول خطبته :

((**إنما أنا تابع ولست بمبتدع**)) هكذا يكون الاتباع ..

وموقفه من طلب عمر بن الخطاب لعزل خالد ، وقوله : إن في سيف خالد رهقًا . وأنه لم يعزله اتباعًا لرسول الله ﷺ لأنه لم يعزل خالدًا عندما تأول في مثل هذا الموقف ، وقال النبي ﷺ : ((**اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ**)) .

ففي البخاري : عن عبد الله بن عمر قال : بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ، فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا ، صبأنا . فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ، ودفع إلى كل رجل منا أسيره ، حتى إذا كان يومٌ أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره ، فقلت : والله لا أقتل أسيري ، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره ، حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه ، فرفع النبي ﷺ يديه ، فقال : ((**اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ**)) مرتين[1].

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٣٩) في : المغازي ، باب : بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ، والنسائي (٨/ ٢٣٧) في : آداب القضاة ، باب : الرد على الحاكم إذا قضى بغير الحق .

وموقفه ﷺ عندما طلبت سيدة نساء أهل الجنة فاطمة بنت محمد ميراث أبيها ، وهي ابنة حبيبه وصاحبه ، ورسوله ، وقائده ومعلمه ، وأحب أهل الأرض قاطبة إلى قلبه ﷺ ، لكنه مع هذا قال لها : سمعت النبي ﷺ يقول : ((**نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ**)) .

ففي البخاري عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: أن فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة ، وفَدَك ، وما بقي من خمس خيبر ، فقال أبو بكر : إن رسول الله ﷺ قال : ((**لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ**)) وإني والله لا أغير شيئًا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها على عهد رسول الله ﷺ ، ولأعملن فيها بما عمل رسول الله ﷺ [١].

وفي رواية : قال أبو بكر : لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به ، فإني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ .

* وموقفه من الصحابة الذين بعثهم رسول الله ﷺ إلى اليمن وأرادوا أن يرجعوا فقال : من أنفذ منكم أمر رسول الله ﷺ وأراد أن يرجع فليرجع .

وهـذا موقف آخر يبين اتباعه ﷺ واقتفـاءه أثر النبي ﷺ حتى في زيارة من كان يزورهم رسول الله ﷺ .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٧١١، ٣٧١٢) في : فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : مناقب قرابة رسول الله ﷺ .

* ففي صحيح مسلم عن أنس قال : قال أبو بكر ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر : انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها ، فلما انتهينا إليها بكت ، فقالا لها : ما يبكيك ؟ ما عند الله خيرٌ لرسول الله ﷺ، فقالت : ما أبكي أن أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء . فَهَيَّجَتْهُما على البكاء ، فجعلا يبكيان معها[1].

* لم أكن لأفشي سرّ رسول الله ﷺ .

جاء في البخاري عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما –: أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهميِّ ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتُوفي بالمدينة ـ فقال عمر بن الخطاب : أتيت عثمان بن عفان ، فعرضت عليه حفصة ، فقال : سأنظر في أمري ، فلبث ليالي ، ثم لقيني ، فقال : قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا .

قال عمر : فلقيت أبا بكر الصديق فقلت : إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر ، فصمت أبو بكر ، فلم يرجع إلي شيئًا ، وكنت أَوْجَد عليه[2] مني على

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٥٤) في : فضائل الصحابة ، باب : فضل أم أيمن ، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٧١) عن أبي خيثمة .

(٢) قال الحافظ في الفتح (٩/ ٢٢١) : أي أشدَ موجدة أي غضبًا على أبي بكر من غضبي على عثمان ، وذلك لأمرين : أحدهما : ما كان بينهما من أكيد المودة ، ولأن النبي ﷺ كان آخى بينهما ، والثاني : لكون عثمان أجابه أولا ثم اعتذر له ثانيًا ، ولكون أبي بكر لم يعد عليه جوابًا . ووقع في رواية ابن سعد : فغضب على أبي بكر ، وقال فيها : كنت أشدّ غضبًا ، حين سكت مني على عثمان . اهـ.

عثمان ، فلبثت ليالي ، ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه ، فلقيني أبو بكر ، فقال : لعلك وجدت عليّ حين عرضت عليّ حفصة ، فلم أرجع إليك شيئًا . قال عمر : قلت : نعم . قال أبو بكر : فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليّ إلا أني كنت قد علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها ، فلم أكن لأفشي سرّ رسول الله ﷺ ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها[1].

حبه لآل بيت النبي ﷺ

إن حب الصديق للنبي ﷺ جعل حبه لآل بيته عظيمًا ، وتقديمه لقرابة النبي ﷺ واضحًا بينًا .

* **ففي البخاري**[2] : قال أبو بكر : والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي .

وسبق قريبًا أن فاطمة بنت النبي ﷺ لما وجدت عليه عندما طالبته بميراثها من النبي ﷺ وقال أبو بكر : سمعت النبي ﷺ يقول : ((**لَا نُورَثُ ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ**)) فإنه ﷺ ذهب إليها وترضاها - رضي الله عنها - حتى رضيت[3].

---

(١) رواه البخاري رقم (٥١٢٢) في : النكاح ، باب : عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير ، ورواه الإمام أحمد في المسند (١/ ١٢).

(٢) رواه البخاري رقم (٤٢٤٠، ٤٢٤١) في : المغازي ، باب : غزوة خيبر ، ومسلم رقم (١٧٥٩) في : الجهاد والسير ، باب قول النبي ﷺ : ((لا نورث)) ، وأبو داود رقم (٢٩٦٨) .

(٣) فتح الباري (٦/ ٢٤٨، ٢٤٩).

وفي البخاري عن ابن عمر ﷺ : قال أبو بكر الصديق : ارقبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته[١].

قال الحافظ في الفتح : قوله : ((ارْقُبُوا مُحَمَّدًا فِي بَيْتِهِ)) يخاطب بذلك الناس ويوصيهم به ، والمراقبة للشيء المحافظة عليه ، يقول : احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم . اهـ[٢].

وفي البخاري[٣] أيضًا عن عقبة بن الحارث قال : خرجت مع أبي بكر الصديق من صلاة العصر ، بعد وفاة النبي ﷺ بليال ، وعليّ يمشي إلى جنبه ، فمر بحسن بن عليّ ، يلعب مع غلمانه ، فاحتمله على رقبته وهو يقول :

بأبي شَبِيهٌ بالنبي   لَا شَبِيهٌ بعلِيّ

قال : وعليّ يضحك .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٧١٣) في : فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : مناقب قرابة رسول الله ﷺ .

(٢) فتح الباري (٧/ ٩٩) ط : العلمية .

(٣) رواه البخاري رقم (٣٥٤٢) في : المناقب ، باب : صفة النبي ﷺ، ورواه أحمد في المسند رقم (٤٠) ، والنسائي (٥/ ٢٩٩) ، في : المناقب ، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٤١- ٤٢) .

إشارات النبي ﷺ إلى أن أبا بكر الخليفة من بعده

مات رسول الله ﷺ ولم يستخلف أحدًا بنص صريح ، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة .. بل أجمعت الصحابة على عقد الخلافة لأبي بكر وتقديمه لفضيلته ، ولو كان هناك نص عليه أو على غيره لم تقع المنازعة من الأنصار وغيرهم أولًا ، ولَذَكَرَ حافِظُ النَّصِّ ما معه ، ولرجعوا إليه ، لكن تنازعوا أولًا ، ولم يكن هناك نص ، ثم اتفقوا على أبي بكر ، واستقر الأمر . اهـ[1].

ومن الأدلة على أن النبي ﷺ لم يستخلف أحدًا بنص صريح ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قيل لعمر : ألا تستخلف ؟ قال : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله ﷺ ، فأثنوا عليه ، فقال : راغب وراهب ، وددت أني نجوت منها كفافًا لا لي ولا عليَّ ، لا أتحمّلها حيًّا وميّتًا[2].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٨/ ١٥٧) ط : دار ابن رجب .

(٢) رواه البخاري رقم (٧٢١٨) في : الأحكام ، باب : الاستخلاف ، قال ابن حجر في الفتح : فكأن عمر قال : إن أستخلف فقد عزم ﷺ على الاستخلاف ، فدلّ على جوازه حديث عائشة : « ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا فإني أخاف أن يتمنى متمنّ ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » ، « وإن أترك فقد ترك » فقد دلّ على جوازه ، وفهم أبو بكر من عزمه الجواز فاستعمله ، واتفق الناس على قبوله . الفتح (١٣/ ٢١٩) .

وفي صحيح مسلم عن ابن أبي مليكة سمعت عائشة ، وسئلت : من كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لو استخلفه ؟ قالت : أبو بكر ، فقيل لها : ثم من بعد أبي بكر ؟ قالت : عمر[1].

فالنبي ﷺ لم يستخلف أحدًا بنص صريح ، ولكن هناك إشارات من رسول الله ﷺ لاستخلاف أبي بكر ﷺ.

ففي الصحيحين عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قال لي رسول الله ﷺ في مرضه : ((**ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ ، وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍ ، وَيَقُولُ قَائِلٌ : أَنَا أَوْلَى ، وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**))[2].

وعن جبير بن مطعم عن أبيه قال : أتت امرأة للنبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه قالت : أرأيت إن جئت ولم أجدك ـ كأنها تقول الموت ـ قال ﷺ : ((**إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ**))[3].

قال ابن حجر في الفتح : والاستدلال بأن هذا الحديث يدل على أن أبا بكر

---

(١) رواه مسلم (٢٣٨٥) في : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ.

(٢) رواه البخاري رقم (٧٢١٧) في : الأحكام ، باب : الاستخلاف ، ورواه مسلم رقم (٢٣٨٧) في : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ ، واللفظ له .

(٣) رواه البخاري رقم (٣٦٥٩) في : فضائل الصحابة ، باب : قول النبي ﷺ : ((**لو كنت متخذًا خليلًا**)) ، ومسلم رقم (٢٣٨٦) في : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ ، والترمذي رقم (٣٦٧٦) في : المناقب .

هو الخليفة بعد النبي ﷺ صحيح لكن بطريق الإشارة لا التصريح ، ولا يعارض جزم عمر بأن النبي ﷺ لم يستخلف ، لأن مراده نفي النص على ذلك صريحًا ، والله أعلم ، قال الكرماني : يستدل بهذا الحديث على خلافة أبي بكر . اهـ[1].

وقال الحافظ ابن كثير : ومن تأمل ما ذكرناه ظهر له إجماع الصحابة المهاجرين منهم والأنصار على تقديم أبي بكر ، وظهر برهان قوله عليه السلام : ((**يَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**)) وظهر له أن رسول الله ﷺ لم ينص على الخلافة عينًا لأحد من الناس ، لا لأبي بكر كما زعمه طائفة من أهل السنة ، ولا لعليٍّ كما يقوله طائفة من الرافضة ، ولكن أشار إشارة قوية يفهمها كل ذي لُبّ وعقل إلى الصديق[2].

وعن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه **قال** : لما استعزّ[3] بالنبي ﷺ ـ وأنا عنده في نفر من المسلمين ـ دعاه بلال إلى الصلاة ، فقال رسول الله ﷺ : ((**مُرُوا مَنْ يُصَلِّي لِلنَّاسِ**)) ، قال : فخرج عبد الله بن زمعة فإذا عمر في الناس ، وكان أبو بكر غائبًا ، فقلت : يا عمر ! قم فصل بالناس ، فتقدم فكبر ، فلما سمع النبي ﷺ صوته - وكان عمر رجلًا مجهرًا - قال : ((**فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ ؟ يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ**

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٣٤٥) .

(٢) البداية والنهاية (٥/ ٢٧٠) .

(٣) ((استعزّ)) بالمريض : إذا غلب على نفسه من شدة المرض ، وأصله العِزّة ، وهي : الغلبة والاستيلاء على الشيء .

وَالْمُسْلِمُونَ ، يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ » ، فبعث إلى أبي بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس[1].

قال ابن الأثير معلقًا على هذا الحديث في « جامع الأصول » : « يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ » فيه نوع دلالة على خلافة أبي بكر ، لأن هذا القول يُعلم منه : أن المراد به ليس نفي جوار الصلاة خلف عمر ، كيف وهي جائزة خلف غيره من آحاد المسلمين ممن هو دون عمر ؟ وإنما أراد به الإمامة التي هي الخلافة ، والنيابة عن النبي ﷺ ، ولذلك قال فيه : « يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ » وعلى أنه يجوز أن يكون المراد بهذا القول : أن الله يأبى والمسلمون أن يتقدم في الصلاة أحد على جماعة فيهم أبو بكر ، حيث هو أكبرهم قدرًا ومنزلةً وعلمًا ، فإن التقدم عليه في مثل الصلاة التي هي أكبر أعمال الإسلام ، وأشرفها مما يأباه الله والمسلمون ، وهذا صريح في الدلالة ، والأول مفهوم من اللفظ . اهـ[2].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : مرض النبي ﷺ فاشتد مرضه ، فقال : « مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » فقالت عائشة : إنه رجل رقيق ، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس ، فقال : « مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ »

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٦٦٠، ٤٦٦١) في : السنة ، باب : استخلاف أبي بكر ﷺ ، وحسنه الأرناؤوط ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (٣٨٩٥) .

(٢) « جامع الأصول » لابن الأثير بتحقيق شعيب الأرناؤوط (٨/ ٥٩٤- ٥٩٥/ ٦٤١٦) .

فعادت ، فقال : ((مُرِي أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ ، فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ))
فأتاه الرسول ، فصلى بالناس في حياة رسول الله ﷺ[1].

وفي رواية : قالت عائشة عندما قال ﷺ : ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ))
قالت عائشة : قلت : إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فَمُر عمر فليصلّ بالناس ، فقالت عائشة : فقلت لحفصة : قولي له : إن أبا بكر إذا قام من مقامك لم يسمع الناس من البكاء ، فمر عمر فليصل بالناس ، ففعلت حفصة ، فقال رسول الله ﷺ : ((مَهْ ، لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ))[2].

قال الحافظ ابن كثير في ((البداية والنهاية)) : والمقصود أن رسول الله ﷺ قدّم أبا بكر إمامًا للصحابة كلهم في الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام العملية . قال أبو الحسن الأشعري : وتقديمه له أمر معلوم بالضرورة من الدين ، قال : وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم .

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٧٨) في : الأذان ، باب : أهل العلم والفضل أحق بالإمامة ، ورواه مسلم رقم (٤٢٠) في : الصلاة ، باب : استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما ، ورواه أيضًا أحمد في المسند رقم (٢٥١٣٤) .

(٢) رواه البخاري رقم (٦٧٩) في : الأذان ، باب : أهل العلم والفضل أحق بالإمامة ، ومسلم رقم (٤١٨) في : الصلاة ، باب : استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما ، والموطأ (١/ ١٧٠، ١٧١) في : قصر الصلاة ، باب : جامع الصلاة ، والترمذي رقم (٣٦٧٣) في : المناقب ، والنسائي (٢/ ٩٨- ١٠٠) في : الإمامة .

* **ومن إشارات النبي ﷺ إلى أن أبا بكر هو الخليفة من بعده** ما أخرجه ابن سعد في « الطبقات » عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : استعمل النبي ﷺ أبا بكر على الحج في أول حجة كانت في الإسلام .

ففي البخاري (باب حجّ أبي بكر بالناس في سنة تسع) عن أبي هريرة ﷺ : أن أبا بكر الصديق ﷺ بعثه في الحجة التي أمَّره النبي ﷺ عليها قبل حجة الوداع يوم النحر في رهط يؤذن في الناس : لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان[1].

* **ومن الإشارات أيضًا** ما رواه البخاري : عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : خطب رسول الله ﷺ الناس ، وقال : ((**إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذَلِكَ العَبْدُ مَا عِنْدَ اللهِ**)) ، قال : فبكى أبو بكر ، فعجبنا لبكائه أن يُخبر رسول الله عن عبد خُيّر ، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر وكان أبو بكر أعلمنا . فقال رسول الله ﷺ : ((**إِنَّ أَمَنَّ النَّاسَ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَا تَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ بَابٌ إِلَا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ**))[2].

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٦٣) في : المغازي ، باب : حج أبي بكر بالناس في سنة تسع ، والترمذي في : تفسير القرآن ، وأحمد في المسند .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٦٥٤) في : فضائل الصحابة ، باب : قول النبي ﷺ : ((سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر)) .

قال ابن حجر في الفتح : هو استثناء مفرغ ، والمعنى : لا تبقوا بابًا غير مسدود إلا باب أبي بكر فاتركوه بغير سدٍّ . قال الخطابي وابن بطال وغيرهما : في هذا الحديث اختصاص ظاهر لأبي بكر ، وفيه إشارة قوية إلى استحقاقه الخلافة ، ولا سيما وقد ثبت أن ذلك كان في آخر حياة النبي ﷺ في الوقت الذي أمرهم فيه أن لا يؤمهم إلا أبو بكر . اهـ[1].

وفي الحديث أيضًا منقبة عظيمة لأبي بكر ، وذلك أنه كان أعلم الصحابة بالنبي ﷺ حين فهم مراد النبي ﷺ حين قال : ((**إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذَلِكَ العَبْدُ مَا عِنْدَ الله**)).

ومن الإشارات أيضًا : أن رسول الله ﷺ صلّى خلف أبي بكر في مرضه الذي مات فيه .

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : صلى رسول الله ﷺ خلف أبي بكر قاعدًا في مرضه الذي مات فيه[2] .

---

(١) فتح الباري (٧/ ١٨) .

(٢) رواه الإمام أحمد رقم (٦/ ١٥٩) ، وقال محققه : إسناده صحيح ، وقال الحافظ ابن كثير في ((البداية والنهاية)) : وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث شعبة ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، ورواه أيضًا البيهقي في ((الدلائل ٧/ ١٩٢)) .

وعن أنس ﷺ: آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ مع القوم في ثوب واحد ملتحفًا به خلف أبي بكر(١).

* ومن هذه الإشارات أيضًا ما جاء في سنن الترمذي من حديث حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي لَا أَدْرِي مَا بَقَائِي فِيكُمْ! فَاقْتَدُوا بِاللَّذَينِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ**»(٢).

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٣٣) رقم (١٣٣٧٨)، وقال محققه: إسناده صحيح، وأخرجه البيهقي، وقال الحافظ ابن كثير: وهذا إسناد جيد على شرط الصحيح، ولم يخرجوه، وهذا التقيد قيد بأنها آخر صلاة صلاها مع الناس صلوات الله وسلامه عليه.
وقال رحمه الله: وصلاة الرسول ﷺ خلفه في بعض الصلوات في هذه الروايات الصحيحة لا ينافي ما روي في (الصحيح) أن أبا بكر ائتم به عليه السلام لأن ذلك في صلاة أخرى كما نص على ذلك الشافعي وغيره من الأئمة رحمهم الله ﷺ. البداية والنهاية (٥/ ٣٤٢) ط: دار ابن رجب.

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٦٦٣، ٣٦٦٤) في: المناقب، باب: مناقب أبي بكر الصديق، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وهو في السلسلة الصحيحة رقم (١٢٣٣).

موقف الصديق عند وفاة النبي ﷺ

لما كان يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول ﷺ : بينما المسلمون في صلاة الفجر ، وأبو بكر يصلي بهم لم يفاجأهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف الستر من حجرة عائشة ، فنظر إليهم ، وهم في صفوف الصلاة ، ثم تبسم يضحك ، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف ، وظنّ أن رسول الله يريد أن يخرج إلى الصلاة ، وهمَّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحًا برسول الله ﷺ ، فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ أن أَتِمُّوا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر[١].

وعاد وقد اقترب الأجل ، وبدأت اللحظات الأخيرة من عمره الشريف تتلاشى وتنتهي .

تقول عائشة : مات رسول الله ﷺ بين سحري ونحري وأنا مسندته إلى صدري ، فرأيته رفع يده أو أصبعه ، ثم قال : ((**بَلِ الرَّفِيق الأَعْلَى ، بَلِ الرَّفِيق الأَعْلَى ، بَلِ الرَّفِيق الأَعْلَى**)) ، فعلمت أنه لا يختارنا[٢].

وعن أنس ﷺ قال : لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه ، فقالت فاطمة عليها السلام : واكرب أبتاه ! فقال لها : ((**لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ هَذَا اليَوْمِ**)) فلما مات قالت : يا أبتاه ! أجاب ربًّا دعاه ، يا أبتاه ! مَنْ جَنَّةُ الفردوس مأواه

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٤٤٨) في : المغازي ، باب : مرض النبي ﷺ ووفاته .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٤٦٣) في : المغازي ، باب : آخر ما تكلم به النبي ﷺ .

.. يا أبتاه ! إلى جبريل ننعاه ، فلما دُفِنَ

قالت فاطمة : يا أنس ! أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب ؟»[1].

مات رسول الله ﷺ .. مات المصطفى محمد ﷺ .. مات خير خلق الله .. مات إمام الأنبياء .. مات إمام الأصفياء .. مات إمام الأتقياء ﷺ .

وقام عمر يصرخ ويقول : إن رجالًا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد مات ، وإن رسول الله ﷺ والله ما مات ، ولكنه ذهب إلى لقاء ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم فوالله ، ليرجعن رسول الله ﷺ فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه قد مات[2] .. وعقر عليّ فقعد في الأرض لا يستطيع القيام .. وخرس لسان عثمان .. يذهب به ويأتي به من يده لا يتكلم ، وجاء الصديق وعمر يكلّم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على الجثمان الطاهر الشريف ، وهو مسجّى في بيت عائشة ، فكشف الثوب عن وجهه ، وأقبل عليه يقبله ، وبكى وهو يقول : بأبي أنت وأمي يا رسول الله .. وانبياه .. واصفياه .. واخليلاه .. طبت حيًّا وميتًا ، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدًا ، ثم خرج

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٤٦٢) في : المغازي ، باب : مرض النبي ﷺ ووفاته .

(٢) قالت عائشة : فما كانت من خُطْبَتِهما (أي : أبو بكر وعمر) من خُطْبَةٍ إلا نفع الله بها ، لقد خوف عمر الناس ، وإن فيهم لنفاقًا فردهم الله بذلك ، البخاري رقم (٣٦٦٩) .

وعمر يكلم الناس ، فقال : اجلس يا عمر ، فأبى عمر أن يجلس ، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر .

فأقبل الناس على أبي بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : ألا من كان يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] ، وقال : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤]

قال : فنشج[١] الناس يبكون[٢].

قال ابن عباس : والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم ، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها .

وأن عمر قال : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي ، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته ، علمت أن النبي ﷺ قد مات[٣].

---

(١) فنشج الناس : أي : بكوا من غير انتحاب ، والنشج : ما يعرض في حلق الباكي من الغصة ، وقيل : هو صوت معه توجع ، كما يردد الصبي بكاءه في صدره .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٦٦٧، ٣٦٦٨) في : فضائل الصحابة ، باب : قول النبي ﷺ « **لو كنت متخذًا خليلًا** » .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٤٥٤) في : المغازي ، باب : مرض النبي ﷺ ووفاته .

تلك كانت حال عمر فكيف كانت حال سِواه ؟.

وكان ثبات أبي بكر ﷺ .. أفي مثل هذه اللحظات المذهلة المزلزلة يكون مثل هذا الثبات ، وتكون مثل هذه الكلمات ؟!!.

من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات .. ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت .

إذن يا خيل الله اركبي .. ويا راية الله رفرفي خفاقة عالية .. ويا حملة هذه الراية قوموا ، وانهضوا وواصلوا رحلة الشمس المشرقة ، وسيرة النبي المضيئة .. فالدعوة أبقى من الداعية ، ولن يموت الإسلام بموت النبي ﷺ .

وكان موقف الصديق يوم وفاة المصطفى ﷺ بمثابة البوصلة التي حددت اتجاه التاريخ نحو الرجل العملاق الذي سيملأ الفراغ الرهيب الكبير الذي تركه الرسول الكريم ﷺ برحيله .

فالرجل الذي لم يفقد شيئًا من ثباته أمام هول المفاجأة التي أذهلت العقول وعصفت بالقلوب .. هذا الرجل هو الجدير بأن يتقدم ليقود السفينة وسط هذه الأمواج المتلاطمة ، والرياح الهوجاء إلى بر الأمان .

سقيفة بني ساعدة

لما تأكد الناس موت النبي ﷺ بعد خطبة الصديق اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة .

يقول عمر ﷺ(١) : فبينما نحن في منزل رسول الله ﷺ إذا رجل ينادي من وراء الجدار أن اخرج إلي يا ابن الخطاب ، فقلت : إليك عني فإنا عنك مشاغيل - يعني بأمر رسول الله ﷺ - فقال له : إنه قد حدث أمر فإن الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة فأدركوهم قبل أن يحدثوا أمرًا يكون فيه حرب .

فقلت لأبي بكر : انطلق ، قال : فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلان صالحان فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، قالا : لا عليكم ألا تقربوا ، واقضوا أمركم ، قال : فقلت : والله لنأتينهم .

فانطلقنا فإذا ظهرانيهم رجل مزمل ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : سعد بن عبادة ، فقلت : ما له ؟ قالوا : وَجِعٌ ، فلما جلسنا قليلًا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد فنحن أنصار الله ، وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهطٌ منا ، وقد دفَّت دافَّةٌ(٢) من قومكم ، قال : وإذا

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٨٣٠) في : كتاب الحدود ، باب : رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت .

(٢) الدافة : الجماعة تأتي من البادية إلى الحاضرة ، وهي أيضًا : الجماعة تسير برفق .

هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ، ويغتصبون الأمر . فلما سكت أردت أن أتكلم ، وقد زورت[1] في نفسي مقالة قد أعجبتني ، أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر ، وكنت أداري منه بعض الحدّ ـ أي الحدة ـ فقال أبو بكر : على رسلك ، فكرهت أن أغضبه ، فتكلم أبو بكر ، فكان هو أحلم مني وأوقر ، والله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلا قالها في بديهته مثلها أو أفضل ، حتى سكت ، قال : ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيّ من قريش : هم أوسط العرب نسبًا ودارًا ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم[2].

وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، ولم أكره شيئًا مما قال غيرها، وكان والله أن أقدَّم فتضرب عنقي لا يُقَرِّبني ذلك إلى إثم أحبَّ إلي من أن أتأَمَّر علي قوم فيهم أبو بكر . قلت : بل نبايعك أنت ، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ[3].

وفي آخر « المغازي » لموسى بن عقبة : عن ابن شهاب أن أبا بكر قال في

---

(١) زورت مقالة : أي : أعددتها وحسنتها في نفسي .

(٢) قال الحافظ في الفتح : وقد استشكل قول أبي بكر هذا مع معرفته بأنه الأحق بالخلافة بقرينة تقديمه في الصلاة ، وغير ذلك ، والجواب : أنه استحيى أن يزكي نفسه فيقول مثلًا : رضيت لكم نفسي ، وانضم إلى ذلك أنه علم أن كلًّا منهما لا يقبل ذلك (٧/ ٣٨- ٣٩).

(٣) فتح الباري (٧/ ٣٧) ، و« السيرة » لابن هشام .

خطبته : وكنا معشر المهاجرين أول الناس إسلامًا ونحن عشيرته وأقاربه ، وذوو رحمه ، ولن تصلح العرب إلا برجل من قريش ، فالناس لقريش تبع ، وأنتم إخواننا في كتاب الله وشركاؤنا في دين الله ، وأحب الناس إلينا ، وأنتم حق الناس بالرضا بقضاء الله ، والتسليم لفضيلة إخوانكم ، وأن لا تحسدوهم على خير[1].

وفي مسند الإمام أحمد : فقام حباب بن المنذر ، وكان بدريًّا فقال : منا أمير ومنكم أمير[2] ، فإنا والله ما ننفس عليكم هذا الأمر ، ولكنا نخاف أن يليه أقوام قتلنا آباءهم وإخوانهم . قال : فأتاهم عمر فقال : يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله أمر أبا بكر أن يصلي بالناس ؟ قالوا : بلى ، قال : فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ، قالوا : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر[3].

فقام خطيب الأنصار فقال : إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلًا منكم قرنه برجل منا ، فتبايعوا على ذلك ، فقام زيد بن ثابت ، فقال : إن رسول الله

---

(١) الفتح لابن حجر (٧/ ٣٨) .

(٢) قال ابن حجر في الفتح : قال ابن التين : وإنما قالت الأنصار « منا أمير ومنكم أمير » ما عرفوه من عادة العرب أن لا يتأمر على القبيلة إلا من يكون منها ، فلما سمعوا حديث « الأئمة من قريش » رجعوا عن ذلك وأذعنوا .

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (١٣٣) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح . والنسائي (٢/ ٧٤ ، ٧٥) في : الإمامة ، باب : ذكر الإمامة والجماعة ، ورواه الحاكم (٣/ ٦٧) ، وصححه ، ووافقه الذهبي .

كان من المهاجرين ، وإنما الإمام من المهاجرين ، فنحن أنصار الله ، كما كنا أنصار رسول الله ، فقال أبو بكر : جزاكم الله خيرًا .

وعند الإمام أحمد : فتكلم أبو بكر فقال : والله لقد علمت يا سعد أن رسول الله قال وأنت قاعد : قريش ولاة هذا الأمر فقال له سعد : صدقت[1].

قال ابن حجر : وفي رواية ابن عباس عن عمر : قال : فكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات ، حتى خشينا الاختلاف ، فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ، ثم الأنصار .

وفي ((مغازي موسى بن عقبة)) عن ابن شهاب قال :

فقام أسيد بن الحضير وبشير بن سعد وغيرهما من الأنصار فبايعوا أبا بكر ، ثم وثب أهل السقيفة يبتدرون البيعة .

ووقع في حديث سالم بن عبيد عند البزار وغيره في قصة الوفاة :

فقالت الأنصار : منا أمير ، ومنكم أمير، فقال عمر ـ وأخذ بيد أبي بكر ـ أسيفان في غمد واحد ؟ لا يصطلحان ، وأخذ بيد أبي بكر فقال : من له هذه الثلاثة ؟ : ﴿ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾ من هما ؟ ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ ﴾ من صاحبه ؟ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ مع من ؟ ثم بسط يده فبايعه ، ثم قال : بايعوه ، فبايعه الناس[2].

---

(١) فتح الباري (٧/ ٣٨) .

(٢) فتح الباري (٧/ ٣٩).

خليفة الرسول ﷺ

عن أنس بن مالك قال : لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ! قد كنت قلت لكم بالأمس مقالةً ما كانت ، وما وجدتها في كتاب الله ، ولا كانت عهدًا عهده إليّ رسول الله ﷺ ، ولكني قد كنت أُرى أن رسول الله ﷺ سَيَدْبُرُ أمرنا ـ يقول : يكون آخرنا ـ وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله ورسوله ﷺ فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوه .

فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة بعد بيعة السقيفة .

ثم تكلم أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ، ثم قال : أما بعد : أيها الناس ! فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أُريح[1] عليه حقّه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قطّ إلا عمّهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما

---

(١) أريح : أراحه : أرجعه حقه .

أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم ، يرحمكم الله[١].

وقد وردت بعض الأخبار التي لا تصح ـ وامتلأت بها كتب السير روج لها بعض العابثين والحاقدين ـ تقول : أن عليًا ﷺ امتنع عن بيعة الصديق ودفعًا لهذا الاتهام الباطل نقول : قد تقدم كما في البخاري (٤٢٤٠ ، ٤٢٤١) : أن فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ أرسلت إلى بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفَدَك وما بَقِيَ مَنْ خُمْسِ خَيْبَرَ ، فقال لها أبو بكر : إن رسول الله ﷺ قال : « **لَا نُورَثُ ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ ، إِنَّما يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ هَذَا المَالِ** » وإني والله لا أغير شيئًا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئًا ، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك ، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد النبي ستة أشهر .

قال الحافظ في الفتح : قال بعض الأئمة : إنما كانت هجرتها انقباضًا عن لقائه والاجتماع به ، وليس ذلك من الهجران المحرم ؛ لأن شرطه أن يلتقيا فيعرض هـذا ويعرض هـذا ، وكأن فاطمة عليها السلام لما خرجت غضبى من عند أبي بكر تمادت في اشتغالها بحزنها ثم بمرضها .

---

(١) « السيرة النبوية » لابن هشام والخبر صحيح ، قال ابن كثير في « البداية والنهاية » : إسناده صحيح .

وأما سبب غضبها مع احتجاج أبي بكر بالحديث المذكور فلاعتقادها تأويل الحديث على خلاف ما تمسك به أبو بكر ، وكأنها اعتقدت تخصيص العموم في قوله : ((لَا نُورَثُ)) ورأت أن منافع ما خلفه من أرض وعقار لا يمتنع أن تورث عنه ، وتمسك أبو بكر بالعموم ، واختلفا في أمر محتمل ، فلما صمم على ذلك انقطعت عن الاجتماع به لذلك ، وأخلق بالأمر أن يكون كذلك لما علم من وفور عقلها ودينها عليها السلام .

قال الحافظ : روى البيهقي من طريق الشعبي : أن أبا بكر عاد فاطمة ، فقال لها عليّ : هذا أبو بكر يستأذن عليك ، قالت : أتحب أن آذن له ؟ قال : نعم ، فأذنت له ، فدخل عليها فترضاها حتى رضيت ، وبه يزول الإشكال في جواز تمادي فاطمة عليها السلام على هجر أبي بكر . اهـ[١].

قالت عائشة – رضي الله عنها –: فلما توفيت دفنها زوجها عليّ ليلًا[٢] ، ولم يؤذن بها أبا بكر ، وصلى عليها ، وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة[٣] ،

---

(١) الفتح (٦/ ٢٤٨ ، ٢٤٩) .

(٢) **قال الحافظ في الفتح** : كان ذلك بوصية منها لإرادة الزيادة في التستر ، ولعله (أي عليّ ﷺ) لم يعلم أبا بكر بموتها لأنه ظن أن ذلك لا يخفى عليه وليس في الخبر ما يدل على أن أبا بكر لم يعلم بموتها ولا صلى عليها.

(٣) **قال الحافظ في الفتح** : أي : كان الناس يحترمونه إكرامًا لفاطمة ، فلما ماتت واستمرّ على عدم الحضور عند أبي بكر قصر الناس عن ذلك الاحترام لإرادة دخوله فيما دخل فيه =

فلما توفيت استنكر عليّ وجوه الناس ، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ، ولم يكن يبايع تلك الأشهر[١] ، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ، ولا يأتنا أحد معك ، كراهة لمحضر عمر[٢] ، فقال عمر : لا والله ، لا تدخل عليهم وحدك[٣] ، فقال أبو بكر : وما عسيتم أن يفعلوا بي ؟ والله لآتينهم ، فدخل عليهم أبو بكر ، فتشهّد علي ، فقال : إنا قد عرفنا فضلك ، وما أعطاك الله ، ولم ننفس عليك خيرًا ساقه الله إليك ، ولكنك استبددت علينا بالأمر أي : ((لم تشاورنا في أمر الخلافة)) ، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيبًا ((أي : في الرأي

= الناس ، ولذلك قالت عائشة في آخر الحديث : (لما جاء وبايع كان الناس قريبًا إليه حين راجع الأمر بالمعروف) وكأنهم كانوا يعذرونه في التخلف عن أبي بكر في مدة حياة فاطمة لشغله بها وتمريضها وتسليتها عما هي فيه من الحزن على أبيها ﷺ ، ولأنها لما غضبت من ردّ أبي بكر عليها فيما سألته من الميراث رأى علي أن يوافقها في الانقطاع عنه .

(١) **قال الحافظ** : أي في حياة فاطمة ، قال المازري : العذر لعلي في تخلفه مع ما اعتذر هو به أنه يكفي في بيعة الإمام أن يقع من أهل الحل والعقد ، ولا يجب الاستيعاب ، ولا يلزم كل أحد أن يحضر عنده ، ويضع في يده ، بل يكفي التزام طاعته ، والانقياد له بأن لا يخالفه ، ولا يشق العصا عليه ، وهذا كان حال عليّ لم يقع منه إلا التأخر عن الحضور عند أبي بكر ، وقد ذكرت سبب ذلك .

(٢) والسبب في ذلك ما ألفوه من قوة عمر وصلابته في القول والفعل ، وكان أبو بكر رقيقًا ، لينًا ، فكأنهم خشوا من حضور عمر كثرة المعاتبة التي تفضي إلى خلاف ما قصدوه من المصافاة .

(٣) أي : لئلا يتركوا من تعظيمك ما يجب لك .

والمشورة ›› حتى فاضت عينا أبي بكر ، فلما تكلم أبو بكر قال : والذي نفسي بيده ! لقرابة رسول الله ﷺ أحبّ إليّ أن أصل قرابتي ، وأما الذي شجر بيني وبينكم ‹‹ أي : ما وقع من الاختلاف ›› من هذه الأموال فلم آل فيه عن الخير ، ولم أترك أمرًا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته . فقال عليّ لأبي بكر : موعدك العشية للبيعة ، فلما صلى أبو بكر الظهر رقي على المنبر ، فتشهد ، وذكر شأن عليّ ، وتخلفه عن البيعة ، وعذره بالذي اعتذر إليه ، ثم استغفر ، وتشهد عليّ فعظم حقّ أبي بكر ، وحدث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسةً على أبي بكر ، ولا إنكارًا للذي فضّله الله به ، ولكنا نرى لنا في هذا الأمر نصيبًا ، فاستبدّ علينا ، فوجدنا في أنفسنا ، فسُرّ بذلك المسلمون ، وقالوا : أصبت ، وكان المسلمون إلى عليّ قريبًا حين راجع الأمر بالمعروف[1].

قال النووي : أن سبب تأخر عليّ بن أبي طالب في حضوره إلى أبي بكر ـ فضلًا عن انشغاله بتمريض فاطمة عليها السلام وتسليتها عما هي فيه من الحزن على وفاة النبي ﷺ ـ أنه كان يعتب على أبي بكر وعمر أنه مع وجاهته وفضيلته في نفسه في كل شيء وقربه من النبي ﷺ وغير ذلك ، رأى أنه لا يستبد بأمر إلا بمشورته وحضوره ، وكان عذر أبي بكر وعمر وسائر الصحابة واضحًا ،

(١) رواه البخاري رقم (٤٢٤٠، ٤٢٤١) في : المغازي ، باب : غزوة خيبر ، ومسلم رقم (١٧٥٩) في : الجهاد والسير ، باب : قول النبي ﷺ : « لا نورث » ، وأبو داود رقم (٢٩٦٨).

لأنهم رأوا المبادرة بالبيعة من أعظم مصالح المسلمين ، وخافوا من تأخيرها حصول خلاف ونزاع تترتب عليه مفاسد عظيمة ، ولهذا أخروا دفن النبي ﷺ حتى عقدوا البيعة لكونها كانت أهم الأمور ، كيلا يقع نزاع في مدفنه أو كفنه ، أو غسله ، أو الصلاة عليه ، أو غير ذلك ، وليس لهم من يفصل الأمور فرأوا تقدم البيعة أهم الأشياء ، والله أعلم . اهـ.

قال الحافظ في الفتح (١) :

قال القرطبي : من تأمل ما دار بين أبي بكر وعليّ من المعاتبة ومن الاعتذار ، وما تضمّن ذلك من الإنصاف عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر ، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة ، وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحيانًا لكن الديانة تردّ ذلك ، والله الموفق .

قال الحافظ : وقد تمسك الرافضة بتأخر عليّ عن بيعة أبي بكر إلى أن ماتت فاطمة ، وهذيانهم في ذلك مشهور ، وفي هذا الحديث ما يدفع في حجتهم ، وقد صحح ابن حبان وغيره من حديث أبي سعيد الخدري وغيره أن عليًا بايع أبا بكر في أول الأمر ، وأما ما وقع في مسلم : (عن الزهري أن رجلًا قال له : لم يبايع علي أبا بكر حتى ماتت فاطمة ، قال : لا ، ولا أحد من بني هاشم) . فقد ضعفه البيهقي بأن الزهري لم يسنده ، وأن الرواية الموصولة

---

(١) فتح الباري (٦/ ٦٣٠).

عن أبي سعيد أصح ، وجمع غيره بأنه بايعه بيعة ثانية مؤكدة للأولى لإزالة ما كان وقع بسبب الميراث كما تقدم ، وعلى هذا فيحمل قول الزهري لم يبايعه على تلك الأيام على إرادة الملازمة له والحضور عنده ، وما أشبه ذلك ، فإن في انقطاع مثله عن مثله ما يوهم من لا يعرف باطن الأمر أنه بسبب عدم الرضا بخلافته فأطلق من أطلق ذلك ، وبسبب ذلك أظهر عليّ المبايعة له بعد موت فاطمة عليها السلام لإزالة هذه الشبهة . اهـ[1].

وفي كنز العمال : عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أن أباه كان مع عمر ، وأن محمد بن مسْلَمَة كسر سيف الزبير، ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس ، وقال : والله ما كنت حريصًا على الإمارة يومًا ولا ليلة ، ولا سألتها الله في سر ولا علانية ، ولكني أشفقت من الفتنة وماله في الإمارة من راحة ، ولكني قلّدت أمرًا عظيمًا ماله به طاقة ، ولا يدٌ إلا بتقوية الله ﷻ ، ولو وددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم فقبل المهاجرون مقالته .

وقال عليّ والزبير : ما غضبنا إلا لأنّا أُخرنا عن المشاورة ، وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ ، إنه لصاحب الغار ، وإنا لنعرف شرفه وخيره ، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حيّ[2].

---

(١) فتح الباري (٦/ ٦٣١) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب : معرفة الصحابة (٣/ ٦٦) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وأقره الذهبي .

بعث جيش أسامة

بدأت خلافة الصديق ﷺ، والمدينة حالها كما قال أنس :

لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم فيها كل شيء، وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا[1].

ذلك أن موت النبي ﷺ كان من أعظم المصائب على الصحابة ﷺ؛ لأنه بموته انقطع الوحي من السماء إلى يوم القيامة، وانقطعت النبوات .. فقد غاب عن هذه الأرض قائدهم وحبيبهم وقدوتهم .. لقد غاب عن هذه الأرض سيد ولد آدم، أعظم القادة، وأعظم المربين .. وأعظم الدعاة .. وأعظم الحكام .. وأعظم العلماء .. وأعظم البشر .. خاتم النبيين، ورسول رب العالمين ﷺ .

وصار الصحابة ﷺ كما وصفهم عمار بن ياسر ﷺ : كغنم بلا راع، وصارت المدينة المنورة ـ على حسب تعبيره ـ أضيق على أهلها من الخاتم .

وفي مثل هذه الأحوال الصعبة، والظروف العسيرة بدأ الصديق خلافته المباركة بإنفاذ جيش أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - الذي أمر به النبي ﷺ

---

(١) رواه الترمذي (١٣/ ١٠٤، ١٠٥) في : المناقب، وابن ماجة (١٦٣٠) في : الجنائز، والحاكم مختصرًا (٣/ ٥٧)، وقال : صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، وصححه الألباني في : « مختصر الشمائل »، و « صحيح ابن ماجة ».

قبل موته لتأديب قبائل قضاعة لموالاتهم للروم ضد جيش المسلمين في غزوة مؤتة ، فخرجوا إلى الجرف فخيموا به ، فلما ثقل رسول الله ﷺ أقاموا هنالك ، فلما مات رسول الله ﷺ عظم الخطب ، واشتد الحال ، ونجم النفاق ، والمسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية ، لفقد نبيهم ، وقلتهم وكثرة عدوهم . فلما كان من الغد من متوفى رسول الله ﷺ ، نادى منادي أبا بكر : ليُتم بعث أسامة . ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف .

فقال أسامة بن زيد لعمر بن الخطاب : ارجع إلى خليفة رسول الله ﷺ فاستأذنه ، يأذن لي أن أرجع بالناس ، فإن معي وجوه الناس وحدَّهم ، ولا آمن على خليفة رسول الله ، وثقل رسول الله ، وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون .

وقالت الأنصار : فإن أبى إلا أن نمضي فأبلغه عنا ، واطلب إليه أن يولي أمرنا رجلًا أقدم سنًّا من أسامة ، فخرج عمر بأمر أسامة ، وأتى أبا بكر فأخبره بما قاله أسامة[1].

فقال أبو بكر : ما كنت لأستفتح بشيء أولى من إنفاذ أمر رسول الله ﷺ ، ولأن تخطفني الطير أحب إلي من ذلك ، وفي رواية عند الطبري : « أنا أحبس

---

(١) تاريخ الطبري (٣/٢٤٦) من طريق سيف بن عمر ، ط : دار الكتب العلمية .

جيشًا بعثه رسول الله ﷺ ؟ لقد اجترأت على أمر عظيم ، والذي نفسي بيده ! لأن تميل العرب أحب إليّ من أن أحبس جيشًا بعثه رسول الله ﷺ)) .

وفي أخرى : ((والذي نفس أبي بكر بيده ، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته)) .

وفي أخرى : ((والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ ، ولو أن الطير تخطفنا ، والسباع من حول المدينة ، ولو كان الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزت جيش أسامة))[1].

قال عمر : فإن الأنصار أمروني أن أبلغك ، وإنهم يطلبون إليك أن تُولي أمرهم رجلًا أقدم سنًّا من أسامة ، فوثب أبو بكر ـ وكان جالسًا ـ فأخذ بلحية عمر فقال له : ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب ! استعمله رسول الله ﷺ ، وتأمرني أن أنزعه ؟! فخرج عمر إلى الناس ، فقالوا له : ما صنعت ؟

فقال : امضوا ثكلتكم أمهاتكم! ما لقيت في سببكم من خليفة رسول الله ﷺ .

الله أكبر .. أي ثبـات هذا ؟! .. أي يقين هذا ؟! .. إن عظمة هذا الرجل لم تكن بكثرة صلاة ، وكثرة صيام ، ولكن عظمته في شيء وقر في القلب ، إنه اليقين في وعد الله ، ووعد رسوله ﷺ .

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٩٢) ط : دار ابن رجب .

إنه الإيمان الصادق بأن الخير كل الخير في اتباع أمر رسول الله ﷺ، إنه الإصرار على تنفيذ أمر رسول الله ﷺ مهما كانت النتائج ، دليل على قوة إيمان أبي بكر ﷺ ، لأنه على يقين جازم ، وإيمان قوي أن النتائج لا تكون إلا خيرًا .

ثم خرج أبو بكر حتى أتى الجيش فأشخصهم وشيعهم ، وهو ماش ، وأسامة راكب ، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر .

فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله ! والله لتركبن أو لأنزلن .

فقال : والله لا تنزل ، ووالله لا أركب ، وما عليّ أن أغبّر قدميّ في سبيل الله ساعة ، فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له ، وسبعمائة درجة ترفع له ، وترفع عنه سبعمائة خطيئة ، حتى إذا انتهى قال : إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل ، فأذن له .

وقال لأسامة : اصنع ما أمرك به نبي الله ﷺ : ابدأ ببلاد قضاعة ، ثم إئت آبل ، ولا تقصرن في شيء من أمر رسول الله ﷺ ولا تعجلن لما خلفت عن عهده[1].

ووقف الصديق ﷺ يزوّد الجيش بخير الزاد ، ويرسم له دستور الحرب الذي ما عرف التاريخ أعدل ولا أطهر ولا أشرف منه في غير الإسلام ، ووقف يقول لهم : أيها الناس ، قفوا أوصيكم بعشر ، فاحفظوها عني : لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا صغيرًا ، ولا شيخًا كبيرًا ولا

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٤٦) من طريق سيف بن عمر .

امرأة ، ولا تعقروا نخلًا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له .

الله أكبر .. أي شرف هذا ؟!.. وأي عز ؟! .. وأي فخار ؟!.. أين أدعياء المدنية والحضارة الذين يتغنون في الليل والنهار بأنهم خدام الإنسانية ، وهم الذين ساموا الإنسانية سوء العذاب ، وما زالت أحداث المسرحية الحقيرة تمارس على المسرح العالمي على الشعوب الإسلامية الذين يذبحون ذبح الخراف .. الذين تسفك دماؤهم رخيصة مختلطة بالأشلاء .. وتنتهك أعراض نسائهم ، ويتعرضون لما لا يمكن للغة البشر أن تعبر عنه ببيان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

وانطلق جيش أسامة في أمان الله تنفيذًا لأمر رسول الله ﷺ ، فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم ، فإن انتصر الروم فقد كفونا القتال ، وإن انتصر أسامة فقد ثبت الإسلام ، وانتصر جيش أسامة بفضل الله فهزموهم وقتلوهم ، ورجعوا سالمين فثبتوا على الإسلام(١). والحمد لله رب العالمين .

* * *

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٩٢) ط . دار ابن رجب .

حرب المرتدين

ما كاد نبأ موت رسول الله ﷺ ينتشر في البلدان إلا وأطلت فتنة خطيرة برأسها كادت أن تحرق الأخضر واليابس ، لولا أن مَنَّ الله على الإسلام يومها بأبي بكر الصديق ؓ .

فما كاد نبأ موت رسول الله ﷺ ينتشر في البلدان حتى تصور المرجفون والموتورون ، والذين في قلوبهم مرض ـ ممن كان إسلامهم مداهنة وتقيَّة ـ أن الرسول ﷺ لم يمت وحده ، وإنما مات معه الإسلام فارتدوا عن الإسلام ورفضوا دفع الزكاة لخليفة رسول الله ﷺ .

وكان المرتدون فريقان :

أولهما : قد ساروا وراء المتنبئين الكاذبين الذين ادعوا النبوة كذبًا .

فوقف طليحة الأسدي يعلن نبوته الكاذبة ، وتبعه الكثيرون من قبائل أسد وغطفان وطيء وعبس وذبيان .

ثم شبت النار في تميم ، وقامت المرأة الخبيثة سجاح تنادي فيهم بنبوتها الضالة المهرجة .

ثم تمرد أهل اليمامة رافعين لواء أخطر مدعي النبوة جميعًا مسيلمة الكذاب .

وثانيهما : رفض تأدية الزكاة فاشتعلت نيران الردة في بني عامر وهوازن ، ثم سرت العدوى إلى أهل البحرين وعُمان ، وكادت النار أن تلتهم الأخضر

واليابس ، ولكنها ولله الحمد والمنة كانت نارًا مباركة ..

طهرت الأمة الجديدة ، ونفت عنها خبثها بصورة شاملة كبيرة كما تخلص النار الذهب من الشوائب الرخيصة العالقة به .

نعم ، فلقد سقطت جميع الأقنعة السوداء عن الوجوه المزيفة المتنكرة .. وتقايأت الصدور الموتورة كل أحقادها الدفينة .

لكن لله من خلقه رجال تتحول المحن بين أيديهم إلى منح ..

وكان الصديق من هذا الطراز المبارك ..

ويظهر علم هذا الرجل المبارك وفهمه للنصوص عندما رفض الفريق الثاني من المرتدين الذين قالوا : نشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، ونقيم الصلاة ، ولكن لا نؤدي الزكاة ، وقد أرسل هذا الفريق الثاني وفدًا إلى المدينة لمفاوضة خليفة رسول الله ﷺ وقد وافق عدد من كبار المسلمين على قبول ما جاءت به رسل الفريق الثاني ، وناقشوا في ذلك الأمر أبا بكر ، ومنهم عمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وغيرهم إلا أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ قد رفض ذلك منهم ، وقال قولته المشهورة وأعلنها يومها مدوية في الأنحاء والأرجاء : ((والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لجاهدتهم عليه)).

وهنا قال عمر بن الخطاب لأبي بكر – رضي الله عنهما –: كيف نقاتلهم ، وقد قال رسول الله ﷺ : ((**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَمَنْ**

قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُ عَلَى الله)).

فقال أبو بكر : والله لو منعوني عناقًا[1] ، وفي رواية : عقالًا[2] كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها ، إن الزكاة حق المال ، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة .

قال عمر : فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق[3].

وكان مما قال عمر بن الخطاب ﷺ : يا خليفة رسول الله ﷺ ! تألف الناس وارفق بهم .

فأجابه أبو بكر : رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك ، أجَبّار في الجاهلية وخوّار في الإسلام ؟ إنه قد انقطع الوحي ، وتم الدين ، أَوَ ينقص وأنا حي ؟ أليس قد قال رسول الله ﷺ : ((**إِلَّا بِحَقِّهَا** ؟)) ومن حقها إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والله لو خذلني الناس كلهم لجاهدتهم بنفسي[4].

---

(١) العناق : الأنثى من ولد المعز .

(٢) العقال : هو الحبل الذي يعقل به البعير .

(٣) رواه البخاري رقم (٧٢٨٤ ، ٨٢٨٥) في : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ ، ومسلم رقم (٣٢) في : الإيمان ، وأخرجه الإمام أحمد (١/ ١١، ٣٥، ١٩) ، (٢/ ٣٧٧) ، (٤/ ٨).

(٤) « التاريخ الإسلامي » لمحمود شاكر (٣/ ٦٨) .

فكان موقفًا مباركًا مؤيدًا من الله تبارك وتعالى .. وقيض الله ﷻ لهذا الدين رجلًا مباركاً هو الصديق .

فثبت ثباتًا عظيمًا في الفتنة العظيمة ، تمثلت فيه عظمة هذا الرجل من إيمان ويقين وفهم عميق لهذا الدين .. فأيده الله بنصر من عنده .. فما من ناحية من جزيرة العرب إلا وحصل في أهلها ردة لبعض الناس ، فبعث الصديق إليهم جيوشًا وأمراء يكونون عونًا لمن في تلك الناحية من المؤمنين ، فلا يتواجه المشركون والمؤمنون في موطن من تلك المواطن إلا غلب جيش الصديق لمن هناك من المرتدين ، ولله الحمد والمنة ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وغنموا مغانم كثيرة ، فيتقوون بذلك على مَنْ هناك ، يبعثون بأخماس ما يغنمون إلى الصديق فينفقه في الناس ، فيحصل لهم قوة أيضًا ويستعدون بها على قتال من يريدون قتالهم من الأعاجم والروم ، ولم تنم لصدّيق الأمة عين حتى أرسل الجيوش الإسلامية يمينًا وشمالًا لتمهيد قواعد الإسلام ، وقتال الطغاة من الأنام حتى ردّ شارد الدين بعد ذهابه ، ورجع الحق إلى نصابه ، وتمهدت جزيرة العرب ، وصار البعيد الأقصى كالقريب الأدنى .. وتوالت الانتصارات والفتوحات بفضل من الله رب الأرض والسموات ، وتم القضاء على المرتدين ، ودوخت جيوش المسلمين الفرس والروم ، وأظهرت قوتهم وإمكاناتهم القتالية .

يقول الشيخ محمود شاكر في((**التاريخ الإسلامي**)) :

على الرغم من قصر مدة خلافة أبي بكر الصديق ﷺ إذ لم تزد على سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ، إلا أنها كانت مليئة بالأعمال الجليلة ، التي تحتاج إلى السنوات الطوال لإنجازها ، ولترسيخ معاني الإسلام في قلوب أبنائه إلا أن تطبيقه العملي وإصراره على ما اعتقد ؛ كل ذلك كان يدل على وعي تام بالإسلام ، وعزيمة ثابتة راسخة كالجبال بالإيمان . وهذه الأمور هي التي رسخت دعائم الإسلام ووطدت أركانه ، لذا يُعَدُّ ﷺ هو الذي أرسى الدعائم ، وأثبت المفاهيم ، وكان ﷺ بعيد النظر في الأمور كلها ، واسع الأفق ﷺ[١].

---

(١) التاريخ الإسلامي (٣/ ٦١).

جمع القرآن

جهز أبو بكر ﷺ جيشًا بقيادة خالد بن الوليد في جمع كثير من الصحابة لمحاربة مسيلمة الكذاب عليه من الله ما يستحقه، فحاربوه أشد محاربة إلى أن خذله الله وقتله ، وقتل في غضون ذلك من الصحابة جماعة كثيرة من حملة القرآن ، قيل سبعمائة ، وقيل أكثر، وذلك في موقعة اليمامة ، فبدأ التفكير في جمع القرآن قبل أن يقتل الباقون ، ولنستمع القصة من كاتب وحي رسول الله ﷺ زيد بن ثابت ﷺ :

يقول زيد : أرسل إليّ أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة (أي : عقب مقتل اليمامة) فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر الصديق ﷺ : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى إن استمر القتل بالقراء بالمواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن .

قلت لعمر : كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟!!

قال عمر : هذا والله خير .. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر .

وفي رواية : يقول زيد : فقال لي أبو بكر : « إن هذا دعاني إلى أمر ، وأنت كاتب الوحي ، فإن تك معه اتبعتكما ، وإن توافقني لا أفعل » فاقتص قول

عمر فنفرت من ذلك[1] ، فقال عمر كلمة : وما عليكما لو فعلتما ؟ قال : فنظرنا فقلنا : لا شيء والله ما علينا .

قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه .

فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن .

قلت : كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو والله خير .

ولم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُبِ[2] واللُّخاف[3] ، وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري ، لم أجدها مع أحد غيره : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ

---

(١) قال ابن بطال : إنما نفر أبو بكر أولًا ، ثم زيد بن ثابت ، لأنهما لم يجدا رسول الله ﷺ فعله فكرها ، أن يحلا أنفسهما محل من يزيد احتياطه للدين على احتياط الرسول ﷺ ، فلما نبههما عمر على فائدة ذلك وأنه خشية أن يتغير الحال في المستقبل إذا لم يجمع القرآن ، فيصير إلى حالة الخفاء بعد الشهرة ، رجعا إليه . فتح الباري (٨/ ٦٣٠) .

(٢) العسب : جمع عسيب ، وهو جريد النخل ، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض .

(٣) اللخاف : قيل : هي الحجارة الرقاق ، وقيل : هي صحائف الحجارة الرقاق .

أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ [التوبة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة .

فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر - رضي الله عنها -[1].

* * *

(١) رواه البخاري رقم (٤٩٨٦) في : فضائل القرآن ، باب : جمع القرآن ، والترمذي في: التفسير ، والنسائي (٥/ ٢٩٣) في : المناقب .

استخلافه لعمر بن الخطاب ﷺ

شعر أبو بكر ﷺ الصديق بشيء من الراحة النفسية بعد أن قضى على المرتدين ، وانطلقت الفتوحات في كل الجهات ، وتحطم كبرياء الدولتين الكبريين اللتين كانتا تقفان في وجه الدعوة ، وتدعمان المرتدين ، وتستنفران قوتهما ومن والاهما من العرب المتنصرة ، كل ذلك في سبيل القضاء على الفكرة الجديدة .

وفي الوقت نفسه فقد شعر أن مهمته في الحياة قد انتهت ، فقد توطد الأمر ، وثبت كيان الإسلام ، وسيتابع الأمر الخلفاء من بعده ، كما زاد شعوره في هذا الأمر أن سنه قد اقترب من سن حبيبه ورسوله ﷺ عندما فارق الحياة الدنيا ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى .

كما شعر أن استخلاف رجل من بعده، وهو على قيد الحياة يجنب المسلمين الكثير من الصعاب ، وقد أشفق عليهم أن يختلفوا ، ويزهد في هذا المنصب أهله ، ويبتعد عنه من يستحقه ، وقد تداعى إلى ذهنه ما حدث عند وفاة رسول الله ﷺ عندما لم يخطر على بال المسلمين وفاة نبيهم ﷺ ، والأمر لا بد له من خليفة يطبق منهج الله في الأرض .

إذن لا بد من استخلاف رجل يخلفه ، ولا بد من الاستشارة ، ولاح في ذهنه أولئك الصحابة الذين كان رسول الله ﷺ يستشيرهم .

وكبرت في نفسه شخصية عمر بن الخطاب ﷺ ، ومواقفه في الإسلام ، وقوته في الحق ، وهيبته في النفوس ، ونظرة المسلمين إليه ، ولكنه كان لا بد من أخذ رأيهم واستشارتهم ، ولو كان الأمر منهم لكان أفضل(١).

أخرج ابن سعد في « الطبقات » ، والطبري في « تاريخه» وابن الجوزي في « المنتظم » : فما كان من أبي بكر الصديق ﷺ إلا أن دعا عبد الرحمن بن عوف فقال : أخبرني عن عمر بن الخطاب .

فقال عبد الرحمن : هو والله أفضل من رأيك فيه .

ثم دعا عثمان بن عفان ﷺ فقال : أخبرني عن عمر .

فقال : أنت أخبرنا به ، فقال عليَّ ذلك يا أبا عبد الله ؟ فقال عثمان : اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته ، وأنه ليس فينا مثله .

فقال أبو بكر : يرحمك الله ، والله لو تركته ما عدوتك .

وشاور معهما أُسيد بن الحضير .

فقال أسيد : اللهم أعلمه الخَيْرَةَ بعدك ، يرضى للرضى ، ويسخط للسخط ، الذي يُسِرُّ خيرٌ من الذي يُعلن ، ولم يل هذا الأمر أحد أقوى عليه منه .

كما شاور ﷺ سعيد بن زيد ﷺ وغيرهم من المهاجرين والأنصار كلهم كانوا برأي واحد في عمر إلا رجل خاف شدته : فدخل عليه في بعض أصحاب

---

(١) التاريخ الإسلامي (٣/ ١٠٠) .

النبي ﷺ فقال : ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك لعمر علينا ، وقد ترى غلظته ؟

فقال أبو بكر : أجلسوني ، أبالله تخوفوني ؟

خاب من تزود من أمركم بظلم ، أقول : اللهم استخلفت عليهم خير أهلك ، ثم اضطجع ﷺ ودعا عثمان بن عفان ، فقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجًا منها ، وعند أول عهده بالآخرة داخلًا فيها حيث يؤمن الكافر ، ويوقن الفاجر ، ويصدق الكاذب ، إني استخلفت عليكم . ثم غشي عليه .

فكتب عثمان : إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب .

فلما أفاق أبو بكر قال : اقرأ عليّ ، فقرأ عليه ، فكبّر ، وقال : أراك خفت أن يختلف الناس إن افتلتت نفسي في غشيتي .

قال : نعم .

قال : جزاك الله خيرًا عن الإسلام وأهله .

وأقرها أبو بكر ﷺ وأمره أن يخرج على الناس بالكتاب فبايعوه لمن فيه قد علموا أنه عمر[1].

---

(١) « الطبقات الكبرى » لابن سعد (٣/ ١٤٨، ١٤٩) بسند فيه الواقدي ، و« تاريخ الطبري » (٢/ ٣٥٢) من طريق الواقدي أيضًا ، و « المنتظم » (٤/ ١٢٥، ١٢٦) وعند البيهقي (٨/ ١٤٩) بإسناد حسن .

يقول ابن مسعود رضي الله عنه : أفرس الناس ثلاثة : أبو بكر حين تفرس في عمر ابن الخطاب فاستخلفه ، وصاحبة موسى التي قالت : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص : ٢٦]، قال : وما رأيت من قوته ؟ قالت : جاء إلى البئر وعليه صخرة لا يقلها كذا وكذا فرفعها . قال : وما رأيت من أمانته ؟ قالت : كنت أمشي أمامه ، فجعلني خلفه . والعزيز حين تفرس في يوسف عليه السلام فقال لامرأته : ﴿ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ [يوسف : ٢١][1].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٥٧٥) في مصنفه، والحاكم (٣/ ٩٠)، وصححه وأقره الذهبي .

موته رضي الله عنه

قال الذهبي في السير[1]:

عن عائشة – رضي الله عنها– : أول ما بُدئ مرض أبي بكر أنه اغتسل ، وكان يومًا باردًا فَحُمّ خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى صلاة ، وكان يأمر عمر بالصلاة ، وكانوا يعودونه ، وكان عثمان ألزمهم له في مرضه .

وقالت عائشة – **رضي الله عنها** –: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه دخلت عليه وهو يعالج ما يعالج الميت ، ونفسه في صدره ، فتمثلت هذا البيت :

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فنظر إليّ كالغضبان ، ثم قال : ليس كذلك يا أم المؤمنين ، ولكن قول الله أصدق : ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق : ١٩] ، ثم قال : عائشة ! إنه ليس أحدٌ من أهلي أحبّ إلي منك ، وقد كنت نحلتك حائطًا ، وإن في نفسي منه شيء ، فرديه إلى الميراث .

قالت : نعم ، فرددته .

وقال ﷺ : أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارًا ولا درهمًا ، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ، ولبسنا من خيش ثيابهم على

---

(١) أخرجه أحمد في « الزهد » (ص ١٣٦) ، وابن سعد في « الطبقات » (٣/ ١٩٦) وإسناده حسن .

ظهورنا ، وليس عندنا من فيء المسلمين قليلٌ ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي ، وهذا البعير الناضح ، وجَرْد هذه القطيفة ، فإذا مت فابعثي بهن إلى عمر ، وابرئي منهن ، ففعلت ، فلما جاء الرسول عمر بكى حتى جعلت دموعه تَسيل في الأرض ، ويقول : رحم الله أبا بكـر ، لقد أتعب من بعده ، رحم الله أبا بكر ، لقد أتعب من بعده ، رحم الله أبا بكر ، لقد أتعب من بعده"[1].

وقال ﷺ **لما حضرته الوفاة** : إن عمر لم يدعني حتى أصبت من بيت المال ستة آلاف درهم ، وإن حائطي الذي بمكان كذا فيها ، فلما توفي ذكر ذلك لعمر فقال : يرحم الله أبا بكر ، لقد أحب أن لا يدع لأحد بعده مقالًا.

واستمر مرض أبي بكر مدة خمسة عشر يومًا حتى كان يوم الاثنين ليلة الثلاثاء في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة ، قالت عائشة – رضي الله عنها –: إن أبا بكر قال لها : في أي يوم مات رسول الله ﷺ ؟ قالت : في يوم الاثنين ، قال : ما شاء إني لأرجو فيما بيني وبين الليل ، قال : ففيم كفنتموه ؟ قالت : في ثلاثة أثواب بيض سحولية يمانية ليس فيها قميص ولا عمامة .

فقال أبو بكر : انظري ثوبي هذا فيه رَدْعُ زعفران أو مِشْقٍ فاغسليه واجعلي معه ثوبين آخرين .

(١) رواه ابن سعد في « الطبقات » (٣/ ١٤٦، ١٤٧) ورجاله ثقات .

فقالت عائشة : يا أبت هذا خَلَقٌ ، فقال إن الحي أحق بالجديد ، وإنما هو للمُهْلة .

قال الذهبي في « سيرة الخلفاء » : توفي أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة ، وكانت خلافته سنتين ومائة يوم .

وفي مسند الإمام أحمد : عن عائشة - رضي الله عنها - قالت :

إن أبا بكر لما حضرته الوفاة ، قال : أي يوم هذا ؟ قالوا : يوم الاثنين ، قال : فإن مت من ليلتي فلا تنتظروا بي الغد ، فإن أحبّ الأيام والليالي إليّ أقربُها من رسول الله ﷺ .

وتوفي رحمه الله وهو ابن ثلاث وستين سنة ، مُجْمَعٌ على ذلك في الروايات كلها ، استوفى سنّ رسول الله ﷺ ، وكان أبو بكر ولد بعد الفيل بثلاث سنين ، وغسلته زوجه أسماء بنت عميس ، وكان قد أوصى بذلك[1] ، ودفن جانب رسول الله ﷺ حسب وصيته ، وصلى عليه خليفته عمر بن الخطاب ، ونزل قبره عمر، وعثمان ، وطلحة ، وابنه عبد الرحمن ، وجعل رأسه عند كتفي رسول الله ﷺ ، وألصق اللحد بقبر رسول الله ﷺ .

يقول القاسم بن محمد رحمه الله : دخلت على عائشة - رضي الله عنها - فقلت : يا أمه ، اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ وصاحبيه ، فكشفت لي عن ثلاثة

(١) رواه ابن سعد في « الطبقات » (٣/ ٢٠٣، ٢٠٤) وإسناده صحيح .

قبور ، لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء .

قال : فرأيت النبي ﷺ مقدمًا ، وقبر أبي بكر عند رأسه ، ورأس عمر عند رجل النبي ﷺ(١).

عن سعيد بن المسيب قال : لما تُوُفِّيَ أبو بكر الصديق ـ رحمه الله ـ أقامت عليه عائشة النَّوْح ، فأقبل عمر بن الخطاب حتى قام ببابها ، فنهاهن عن البكاء على أبي بكر ، فأبين أن ينتهين ، فقال عمر لهشام بن الوليد : ادخل ، فأخرج إليّ ابنة أبي قحافة ، أخت أبي بكر ، فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر : إني أحرج عليك بيتي ، فقال عمر لهشام : ادخل فقد أذنت لك ، فدخل هشام ، فأخرج أم فَروة أخت أبي بكر إلى عمر ، فعلاها بالدرة ، فضربها ضربات ، فتفرق النوح حين سمعوا ذلك(٢).

* * *

(١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣/ ٢٠٩) بسند صحيح .

(٢) « تاريخ الطبري » (٢/ ٣٥٠) بسند رجاله ثقات .

مات أبو بكر الصديق

ومات الصديق ﷺ وأرضاه ليترك الدنيا بعد عناء شديد وجهاد طويل ، وكفاح مرير لدين الله مع إمامه وأستاذه ومعلّمه ونبيّه ﷺ الذي كان معه منذ اللحظات الأولى لم يفارقه في عالم الدنيا ، فاستحق من الله جل وعلا أن يكون مع حبيبه المصطفى ﷺ في عالم الآخرة ، فدفن إلى جواره ليبعث معه إن شاء الله تعالى .

عن أسيد بن صفوان : قال : لما قبض أبو بكر الصديق ﷺ ، وسجي عليه ارتجت المدينة بالبكاء كيوم قبض رسول الله ﷺ .

قال : فجاء علي بن أبي طالب ﷺ ، ووقف على البيت الذي فيه أبو بكر ، فقال : رحمك الله يا أبا بكر .. كنت إلف رسول الله ﷺ وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته ، وكنت أول القوم إسلامًا ، وأخلصهم إيمانًا ، وأشدهم لله يقينًا ، وأخوفهم لله ، وأعظمهم غناء في دين الله ﷻ ، وأحوطهم على رسول الله ﷺ ، وأحدبهم على الإسلام ، وأحسنهم صحبة ، وأكثرهم مناقب ، وأفضلهم سوابق ، وأرفعهم درجة ، وأقربهم وسيلة ، وأشبههم برسول الله ﷺ هديًا وسمتًا ، وأشرفهم منزلة ، وأرفعهم عنده ، وأكرمهم عليه ، فجزاك الله عن رسول الله وعن الإسلام أفضل الجزاء . صدقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس ، وكنت عنده بمنزلة السمع والبصر ، سماك الله في تنزيله صديقًا ، فقال : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ [الزمر : ٣٣] واسيته حين بخلوا ، وقمت معه على المكاره حين قعدوا ، وصحبته في الشدة

أكرم الصحبة ، ثاني اثنين صاحبه في الغار ، والمنزل عليه السكينة ، ورفيقه في الهجرة ، وخليفته في دين الله وأمته ، وأحسن الخلافة حين ارتدوا ، فقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي ، ونهضت حين وهن أصحابه ، وبرزت حين استكانوا ، وقويت حين ضعفوا ، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذا وهنوا .

وكنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفًا في بدنك قويا في أمر الله تعالى ، متواضعًا في نفسك عظيمًا عند الله تعالى ، جليلًا في أعين الناس كبيرًا في أنفسهم ، لم يكن لأحدهم فيك مغمز ، ولا لقائل فيك مهمز ، ولا لمخلوق عندك هوادة ، الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ بحقه القريب والبعيد عندك في ذلك سواء ، وأقرب الناس عندك أطوعهم لله ﷻ وأتقاهم ، شأنك الحق والصدق والرفق ، قولك حكم وحتم ، وأمرك حلم وحزم ، ورأيك علم وعزم ، اعتدل بك الدين ، وقوي بك الإيمان وظهر أمر الله ، فسبقت ـ والله ـ سبقًا بعيدًا ، وأتعبت من بعدك إتعابًا شديدًا ، وفزت بالخير فوزًا مبينًا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، رضينا عن الله ﷻ قضاءه وسلمنا له أمره ، والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبدًا ، كنت للدين عزًّا وحرزًا وكهفًا ، فألحقك الله ﷻ بنبيك محمد ﷺ ، ولا حرمنا أجرك ، ولا أضلنا بعدك ، فسكت الناس حتى قضى كلامه ، ثم بكوا حتى علت أصواتهم وقالوا : صدقت[1].

(١) « التبصرة » لابن الجوزي (١/ ٤٧٧- ٤٧٩) بسند حسن .

كلمة أخيرة

أبو بكر أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ

هكذا بعد أن عشنا بقلوبنا وعقولنا وأرواحنا مع سيرة هذا الرجل ولمسنا عظمة شخصه - ﷺ - وعظيم قدره فإننا نقطع بأن أبا بكر هو أفضل هذه الأمة قاطبة بعد نبيها ﷺ ، وهذا منهج أهل السنة والجماعة ..

وحسبُك شهادة نبينا الكريم ﷺ .

ويا تعسًا ويا لشؤم قلوب أقوام أهل الزيغ والضلال الذي يتتقصون هذا الرجل ، ويفضلون عليه عليًا ﷺ باللفظ الصريح ..

ويا ضلال أقوام أذهلتهم عبقرية الفاروق عمر فكأنهم شعروا ـ متأثرين بإعجابهم لشخصية عمر - أن عمر كان فضله وعمله للإسلام أفضل من أبي بكر .

فهم يعتقدون ذلك بقلوبهم وإن كانوا لا يتلفظون به .. فهذا والذي لا إله إلا هو ظلم وجور وضلال .. وحسبك تقديم أبي بكر على كل الصحابة بما فيهم عمر ﷺ أنه ﷺ عندما رأى الناس يؤمهم عمر ﷺ غضب كما رأيت وقال ﷺ : « يَأْبَى اللهُ وَالْمُسْلِمُونَ إِلَّا أَبَا بَكْر ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » .

وهذه هي شهادة عمر وعلي - رضي الله عنهما - لأبي بكر بأنه أفضل الناس ، بل وإنكارهم على من زعم غير ذلك .

ففي البخاري : عن محمد بن الحنفية (وهو ابن علي بن أبي طالب) : قلت لأبي : أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال : أبو بكر ، قلت : ثم من ؟ قال : ثم عمر ، وخشيت أن يقول : عثمان ، فقلت : ثم أنت ؟ قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين[1].

وفي رواية عندما سأله عن خير الناس بعد رسول الله ﷺ قال : أو ما تعلم يا بني ؟ قلت : لا ، قال : أبو بكر . وفي رواية : قال ﷺ : سبحان الله يا بني أبو بكر .

* **وهذا عبد الله بن عمر يقول** : كنا لا نعدل بأبي بكر أحدًا ، ثم عمر ، ثم عثمان .

ويقول ﷺ : كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ، ثم عمر ابن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان ﷺ[2] .

* وأخرج خيثمة وابن عساكر عن أبي الزناد قال : قال رجل لعلي ﷺ : يا أمير المؤمنين ! ما بال المهاجرين والأنصار قدَّموا أبا بكر وأنت أوفى منه منقبة ، وأقدم منه سلمًا[3] ، وأسبق سابقة . قال : إن كنت قرشيًّا فأحسبك من عائذة .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٧١) في : فضائل الصحابة ، باب : قول النبي ﷺ : « **لو كنت متخذًا خليلًا** » .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٦٥٥) في : فضائل الصحابة ، باب : فضل أبي بكر ﷺ .

(٣) أي : إسلامًا .

قال : نعم .

قال : لولا أن المؤمن عائذ الله لقتلتك ، ولئن بقيت ليأتينك مني روعة حصراء ، ويحك ! إن أبا بكر سبقني إلى أربع : سبقني إلى الإمامة ، وتقديم الهجرة ، وإلى الغار ، وإفشاء الإسلام ، ويحك ! إن الله ذم الناس كلهم ومدح أبو بكر فقال : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة : ٤٠]"[1].

وأخرج أبو نعيم في ((**فضائل الصحابة**)) عن جبير بن نفير : أن نفرًا قالوا لعمر بن الخطاب ﷺ : والله ما رأينا رجلًا أقضى بالقسط ، ولا أقول بالحق ، ولا أشد على المنافقين منك يا أمير المؤمنين ! فأنت خير الناس بعد رسول الله ﷺ .

فقال عوف بن مالك ﷺ : كذبتم ـ والله ـ لقد رأينا خيرًا منه بعد النبي ﷺ .

فقالوا : من هو يا عوف ؟

قال : أبو بكر ، فقال عمر : صدق عوف وكذبتم والله ، لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك ، وأنا أضل من بعير أهلي[2].

وعند أسد بن موسى عن الحسن قال : كان لعمر ﷺ عيون على الناس ، فأتوه فأخبروه أن قومًا اجتمعوا ففضلوه على أبي بكر ﷺ ؟ فغضب وأرسل

---

(١) قال الكاندهلوي : كذا في منتخب الكنز (٤/ ٣٥٥) ، وأخرجه العشاري عن ابن عمر بمعناه ، كما في المنتخب (٤/ ٤٧٧) .

(٢) قال ابن كثير : إسناده صحيح ، كذا في « منتخب الكنز » (٤/ ٣٥٠) .

إليهم فأتى بهم ، فقال : يا شرَّ حَيٍّ ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ! لم تقل لنا هذا ؟ ما شأننا ؟ فأعاد ذلك عليهم ثلاث مرات ، ثم قال : لو فرقتم بيني وبين أبي بكر الصديق ؟ فوالذي نفسي بيده لوددت أني من الجنة حيث أرى فيها أبا بكر مدَّ البصر .

وعند اللالكائي عن عمر ﷺ قال : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، فمن قال غير هذا بعد مقالي هذا فهو مفترٍ وعليه ما على المفتري(١).

وعند خيثمة في « فضائل الصحابة » عن زياد بن علاقة قال : رأى عمر ﷺ رجلًا يقول : إن هذا خير الأمة بعد نبيها ﷺ فجعل عمر يضرب الرجل بالدِّرة ، ويقول : كذب الآخر(٢) لأبو بكر خير مني ومن أبي ومنك ومن أبيك !.

وأخرج ابن الأثير بسنده في أسد الغابة (٣/ ٣٢٢) : عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : وفد ناس من أهل الكوفة ، وناس من أهل البصرة إلى عمر بن الخطاب ﷺ ، قال : فلما نزلوا المدينة تحدث القوم بينهم إلى أن ذكروا أبا بكر وعمر ، ففضل بعض القوم أبا بكر على عمر ، وفضل بعض القوم عمر على أبي بكر ، وكان الجارود بن المعلى ممن فضل أبا بكر على عمر ، فجاء عمر ومعه درّته فأقبل على الذين فضلوه على أبي بكر ، فجعل يضربهم بالدرة حتى

---

(١) أي : من العقوبة ، وهي ثمانون جلدة ، والمفتري هو الذي يرمي المحصنات بالزنى .

(٢) أي الأبعد المتأخر عن الخير .

ما يتقى أحدهم إلا برجله . فقال له الجارود : أفق أفق يا أمير المؤمنين ، فإن الله ﷻ لم يكن يرانا نفضلك على أبي بكر ، وأبو بكر أفضل منك في كذا ، وأفضل منك في كذا ، فسُرِّي عن عمر، ثم انصرف ، فلما كان من العشي ، صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ألا إن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، فمن قال غير ذلك بعد مقامي هذا فهو مفترٍ عليه ما على المفتري[1].

وعن عمر رضي الله عنه قال : لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم ، ليتني شعرة في صدر أبي بكر[2].

وبعد .. فهذا هو الصديق .. لا يرفع المتكلمون من قدره وإن اجتمعوا ، وإنما يرفعون من قدر أنفسهم حينما يتكلمون عن هذا الطود الشامخ ، والعملاق الكبير .

نسأل الله أن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خير ما جزى مصلحًا أو صالحًا ، وأن يجمعنا به مع سيد النبيين .. آمين .

* * *

---

(١) أخرجه أحمد في : فضائل الصحابة (٣٩٦) وإسناده صحيح .

(٢) « المطالب العالية » (٤٢٩٢) والخبر في زيادات مسند مسدد ورجاله ثقات .

فاروق الأمة الأواب

عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

((لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ))

عمر بن الخطاب

إنه الرجل الكبير في بساطة ... البسيط في قوة ... القوي في عدل ورحمة .

إنه الرجل الذي أنجبته أرض الجزيرة ، ورباه الإسلام .

إنه الناسك الورع الذي تفجر نسكه حركةً ، وذكاءً ، وعملًا ، وبناءً .

إنه الأستاذ المعلم الذي صحح كثيرًا من مفاهيم الحياة ، وكساها عظمة وروعة من خلقه وسلوكه ، وكان للمتقين إمامًا .

إنه الرجل الذي أعطى دنيا الناس كافة قدوة لا تبلى .. قدوة تتمثل في عاهل قد بركت الدنيا على عتبة داره مثقلة بالغنائم والطيبات فسَرَّحَهَا سراحًا جميلًا ، وساقها إلى الناس سوقًا كريمًا .. يقدم إليهم طيباتها ، ويدرأ عنهم مضلاتها ، حتى إذا نفض يديه من علائق هذا المتاع الزائل .. استأنف سيره ومسراه مهرولًا في فترة الظهيرة الحارقة ، وراء بعير من أموال الصدقة يخشى عليه الضياع ، أو منحنيًا فوق قدر ليطبخ فيه طُعمة طيبة لامرأةٍ غريبةٍ أدركها كَرْب المخاض أو لأطفال يتضورون جوعًا في ظلام الليل الدامس !!.

إنه الرجل الذي تنزل القرآن أكثر من مرة موافقًا لرأيه ، وقوله .

إنه الرجل الذي كان إسلامه فتحًا ، وكانت هجرته نصرًا ، وكانت ولايته عدلًا .

إنه فاروق الأمة الأواب عمر بن الخطاب .

والحق أن الاقتراب من هذا التقي النقي أمرٌ رهيب بقدر ما هو حبيب إلى النفس ، فعمر بن الخطاب من الطراز الذي تغمرك الهيبة ، وأنت تقرأ تاريخه المكتوب كما تغمرك الهيبة وأنت تجالس شخصه المتواضع ، فالمشهد المسطور من تاريخه لا يكاد يختلف عن المشهد الحيّ إلا في غياب البطل ـ فقط ـ عن حاسة البصر .

أجل ... عن حاسة البصر وحدها ... أما الأفئدة ... أما البصيرة فتحس وهي تطالع سيرة عمر أنها تعايشه وتجالسه ، وكأنها ترى رأي العين جلال الأعمال ، ومناسك البطولات .. وأروع الانتصارات التي نقشها على جبين الزمان، وصفحة الأيام ، إنه فاروق الأمة الأواب .. عمر بن الخطاب .



اسمه ولقبه وكنيته ومولده

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزَّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط ابن رزاح ابن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي، أبو حفص أمير المؤمنين(١).

أمه: حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم(٢).

وكنيته: أبو حفص، كناه بها رسول الله ﷺ.

قال الحافظ في الفتح(٣): جاء في السيرة لابن إسحاق أن النبي ﷺ كناه بها، وكانت حفصة أكبر أولاده.

أما مولده: يقول ابن عبد البر في الاستيعاب(٤): ولد عمر ﷺ بعد عام الفيل بثلاثة عشرة سنة، وروى أسامة(٥) بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده، قال:

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٠١) العلمية، تاريخ الطبري (٢/ ٥٦٢) العلمية، والاستيعاب (٢/ ٢٣٥) العلمية، والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٤/ ١٣٠) العلمية، انظر: أسد الغابة (٤/ ١٣٨) العلمية، تهذيب الكمال (١٤/ ٥٠) الفكر، سير أعلام النبلاء (الخلفاء ص ٧١ الرسالة)، الإصابة (٣/ ٥٨٨) الجيل، تهذيب التهذيب (٧١/ ٤٣٨) الهندية، فتح الباري (٧/ ٥٣) العلمية.

(٢) الاستيعاب (٣/ ٢٣٥) العلمية، تهذيب الكمال (١٤/ ٥٤) الفكر.

(٣) فتح الباري (٧/ ٥٣) العلمية.

(٤) الاستيعاب (٣/ ٢٣٥) العلمية.

(٥) ضعفه ابن حجر في تهذيب التهذيب (١/ ٢٠٧/ ٣٩٠).

سمعت عمر يقول : وُلدتُ بعد الفِجَار[١] الأعظم بأربع سنين .

* قال الزبير : وكان عمر بن الخطاب ﷺ من أشراف قريش ، وإليه كانت السفارة في الجاهلية ، وذلك أن قريشًا كانت إذا وقعت بينهم حرب وبين غيرهم بعثوا سفيرًا ، وإن نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخرٌ رضوا به وبعثوه منافرًا ومفاخرًا .

قال أبو عمر بن عبد البر : فكان إسلامه عزًّا ظهر به الإسلام بدعوة النبي ﷺ ، وهاجر ، فهو من المهاجرين الأولين ، وشهد بدرًا وبيعة الرضوان ، وكل مشهد شهده رسول الله ﷺ ، وتوفي ورسول الله ﷺ عنه راض .

ولقب بالفاروق لتفريقه بين الحق والباطل ، وقيل : لأنه أظهر الإسلام بمكة ففرق بين الكفر والإيمان .

* قال الطبري في تاريخه : وقد اختلف السلف فيمن سماه بذلك ، فقال بعضهم : سماه بذلك رسول الله ﷺ ، ثم ذكر خبرًا بسند فيه الواقدي عن ابن عمر و ذكوان قال : قلت لعائشة : من سَمّى عمر الفاروق ؟ قالت : النبي ﷺ .

* * *

(١) كانت حرب بين قريش ومن معهم من كنانة ، وبين قيس وعيلان ، وسميت بحرب الفجار لانتهاك حرمات الحرم ، والأشهر الحرم فيها . انظر : السيرة لابن هشام (١/ ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧).

أمير المؤمنين

قال أبو جعفر[١] : أول من دُعي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ثم جرت بذلك السنة ، واستعمله الخلفاء إلى اليوم .

قال أبو عمر[٢] : وأما القصة التي ذكرت في تسمية عمر نفسه أمير المؤمنين ، فذكر الزبير قال : قال عمر لما ولي : كان أبو بكر يقال له خليفة رسول الله ﷺ فكيف يقال لي : خليفة خليفة رسول الله ، يطول هذا! قال : فقال له المغيرة بن شعبة : أنت أميرنا ، ونحن المؤمنين ، فأنت أمير المؤمنين ، قال : فذاك إذن .

قال أبو عمر : وأعلى من ذلك ما رويناه أن عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة : لأي شيء كان أبو بكر ﷺ يكتب : من خليفة رسول الله ، وكان عمر يكتب : من خليفة أبي بكر ، ومَنْ أول من كتب : من عبد الله أمير المؤمنين ؟ فقال : حدثتني الشفاء ـ وكانت من المهاجرات الأُوَّل ـ أن عمر بن الخطاب ﷺ كتب إلى عامل العراق أن ابعث إليّ برجلين جَلدَيْن نبيلين ، أسألهما عن العراق وأهله .

فبعث إلى عامل العراق لبيد بن ربيعة العامريّ ، وعديّ بن حاتم الطائي ،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (٢/ ٥٦٩) العلمية .

(٢) الاستيعاب (٣/ ٢٣٩) العلمية ، قال في مجمع الزوائد (٩/ ٦١) : ورجاله رجال الصحيح . وأخرجه البخاري في الصغير والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي .

فلما قدما المدينة أناخا راحلتيهما بفناء المسجد ثم دخلا المسجد ، فإذا هما بعمرو بن العاص ، فقالا له : استأذن لنا على أمير المؤمنين يا عمرو ؟

فقال عمرو : أنتما والله أصبتما اسمه ، نحن المؤمنون وهو أميرنا ، فوثب عمرو فدخل على عمر ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال عمر : ما بدا لك في هذا الاسم ؟ يعلم الله لتخرجنَّ مما قلت أو لأفعلَنَّ .

قال : إن لبيد بن ربيعة وعديّ بن حاتم قدما فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد ، ثم دخلا المسجد ، وقالا لي : استأذن لنا يا عمرو على أمير المؤمنين ، فهما والله أصابا اسْمَك ، أنت الأمير ، ونحن المؤمنين .

قال : فجرى الكِتَابُ من يومئذ .. اهـ.

* * *

صفته الخَلْقيَة ﷺ

قال ابن عبد البر في الاستيعاب : كان عمر بن الخطاب ﷺ آدم شديد الأُدمة (السُّمرة) ، طوالًا ، كث اللحية ، أصلع أعسر أيسر (يعمل بكلتا يديه) .

قال : وهو الأكثر عن أهل العلم بأيام الناس ، وسيرهم ، وأخبارهم . ووصفه أبو رجاء العطارديّ ـ وكان مغفلًا ـ فقال : كان عمر بن الخطاب طويلًا ، جسيمًا ، أصلع شديد الصلع ، أبيض شديد حمرة العينين ، في عارضه خِفَّة ، سبلته(١) كثيرة الشعر في أطرافها صهوبة(٢).

ثم قال رحمه الله : وذكر الواقدي من حديث عاصم بن عبيد الله عن سالم ابن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : إنما جاءتنا الأدمة من قِبَل أخوالي بني مظعون ، وكان أبيض ، لا يتزوج لشهوة إلا لطلب الولد ، وعاصم بن عبيد الله لا يحتجّ بحديثه ، ولا بحديث الواقدي ، وزعم الواقدي أن سُمْرَة عمر وأدمته إنما جاءت من أكله الزيت عام الرمادة ، وهذا منكر من القول .

---

(١) سبلة الرجل : الدائرة التي في وسط الشفة العليا ، وقيل : السبلة ما على الشارب من الشعر ، وقيل : مجتمع الشاربين . (لسان العرب) .

(٢) الصهبة : لون حمرة في شعر الرأس واللحية ، والصهبة كذلك: الشقرة في شعر الرأس . لسان العرب).

وأصح ما في هذا الباب ـ والله أعلم ـ حديث سفيان الثوري عن عاصم ابن بَهْدَلة عن زرّ بن حبيش قال : رأيت عمر شديد الأدمة . اهـ(١).

قال ابن حجر في الإصابة : روى يعقوب بن سفيان في تاريخه بسند جيد إلى زرّ بن حبيش قال : رأيت عمر أعسر أصلع آدم ، قد فرع الناس ، كأنه على دابة(٢).

وأخرج ابن سعد بسند جيد من طريق سماك بن حرب ، أخبرني هلال بن عبد الله قال : رأيت عمر جسيمًا ، كأنه من رجال بني سَدُوس . اهـ(٣).

وقال الطبري في تاريخه : عن زر بن حبيش قال: خرج عمر في يوم عيد ـ أو في جنازة زينب ـ آدم طوالًا ، أصلع أعسر يسرًا ، يمشي كأنه راكب . اهـ(٤).

* * *

(١) الاستيعاب (٣/ ٢٤٠) العلمية .

(٢) قال في مجمع الزوائد (٤/ ٣٤) ، ورجاله موثوقون ، ورواه عبد الرزاق في المصنف (٨٥٣٣) ، والبيهقي (٩/ ٢٤٨) .

(٣) الإصابة (٣/ ٥٨٩) الجيل .

(٤) تاريخ الأمم والملوك (٢/ ٥٦٢) العلمية ، والخبر أخرجه الحاكم ، وصححه وأقره الذهبي ، وعبد الرزاق في مصنفه (٨٥٣٣) ، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٤٦) .

ولده ونساؤه

قال الطبري في تاريخه : تزوج عمر في الجاهلية زينب بنت مظعون فولدت له عبد الله ، وعبد الرحمن الأكبر ، وحفصة .

وتزوج مليكة بنت جرول الخزاعي في الجاهلية فولدت له عبيد الله بن عمر ففارقها في الهدنة .

وتزوج أم كلثوم بنت جرول بن مالك ، فولدت له زيد الأصغر ، وعبيد الله الذي قتل في صفين مع معاوية ، وكان الإسلام قد فرق بينها وبين عمر .

وتزوج قُريبة بنت أمية المخزومي في الجاهلية ، وفارقها في الهدنة .

وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام في الإسلام ، فولدت له فاطمة .

وتزوج جميلة أخت عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح في الإسلام ، فولدت له عاصمًا ، وطلقها .

وتزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فولدت له زيدًا ورقية .

وتزوج لهية امرأة من اليمن فولدت له عبد الرحمن الأصغر ، ويقال أنها كانت أم ولد .

وكانت عنده فُكيهة ، وهي أم ولد ، وفي أقوالهم ، فولدت له زينب .

وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قبله عند عبد الله بن أبي

بكر ، فلما مات عمر تزوجها الزبير بن العوام .

قال المدائني : وخطب أم كلثوم بنت أبي بكر وهي صغيرة ، وأرسل فيها إلى عائشة ، فقالت : الأمر إليك . فقالت أم كلثوم : لا حاجة لي فيه .

فقالت لها عائشة : ترغبين عن أمير المؤمنين ؟!!

قالت : نعم ! إنه خَشِن العيش ، شديد على النساء .

فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فأخبرته ، فقال : أكفيك .

فأتى عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ! بلغني خبر أعيذك بالله منه . قال : وما هو ؟

قال : خطبت أم كلثوم بنت أبي بكر ؟ قال : نعم ، أفرغبت بي عنها أم رغبت بها عني ؟ قال : لا واحدة ، ولكنها حَدَثَة نشأت تحت كنف أم المؤمنين في لين ورفق ، وفيك غلظة ، ونحن نهابك ، وما نقدر أن نردّك عن خلق من أخلاقك ، فكيف بها إن خالفتك في شيء ، فسطوت بها ؟! كنت قد خلفت أبا بكر في ولده بغير ما يحق عليك .

قال : فكيف بعائشة وقد كلمتها ؟ قال : أنا لك بها ، وأدلك على خير منها أم كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب ، تعلق منها بنسب من رسول الله ﷺ .

قال المدائني : وخطب أم أبان بنت عتبة بن ربيعة ، فكرهته ، وقالت : يغلق بابه ، ويمنع خيره ، ويدخل عابسًا ، ويخرج عابسًا . اهـ[1].

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٥٦٤) ط : العلمية .

إسلامه رضي الله عنه

كان ﷺ معروفًا بحدة الطبع ، وقوة الشكيمة ، وطالما لقي المسلمون منه ألوان الأذى ، والظاهر أنه كانت تصطرع في نفسه مشاعر متناقضة، احترامه للتقاليد التي سنها الآباء والأجداد ، واسترساله مع شهوات السكر واللهو التي ألفها ، ثم إعجابه بصلابة المسلمين ، واحتمالهم للبلاء في سبيل عقيدتهم ، ثم الشكوك التي كانت تساوره ـ كأي عاقل ـ في أن ما يدعو إليه الإسلام قد يكون أجل وأزكى من غيره ، ولهذا ما إن يثور حتى يخور .

كان ﷺ شديدًا على الإسلام والمسلمين حتى أن الصحابة كانوا يرون أن عمر لن يسلم حتى يسلم حمار الخطاب .

يقول ابن كثير في البداية والنهاية : روى ابن إسحاق بسنده عن أم عبد الله بنت أبي حثمة قالت : والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر (زوجها) في بعض حاجتنا ، إذا أقبل عمر فوقف عَلَيّ وهو على شركه ، فقالت : وكنا نلقى منه أذى لنا وشدة علينا ، قالت : فقال : إنه الانطلاق يا أم عبد الله ؟ فقلت : نعم !

والله لنخرجن في أرض من أرض الله إذ آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجًا .

قالت : فقال : صحبكم الله ، ورأيت له رقة لم أكن أراها ، ثم انصرف ،

وقد أحزنه فيما أرى خروجنا ، قالت : فجاء عامر بحاجتنا تلك ، فقلت له : يا أبا عبد الله ! لو رأيت عمر آنفًا ورقته وحزنه علينا ؟!!

قال : أطمعت في إسلامه ؟! قالت : نعم !

قال : لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب !!

قالت : يأسًا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام .

لكن القلوب بيد خالقها الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، الذي يقلب القلوب ، ويحولها كما يشاء سبحانه ..

أما سبب إسلامه : فإننا نرى أن أول هذه الأسباب دعوة النبي ﷺ .

ففي سنن الترمذي عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : ((**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ : بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَام ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ، وَكَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرَ**))[1].

أما السبب الآخر لإسلام الفاروق عمر فقد جاء في صحيح البخاري : باب إسلام عمر عن عبد الله بن عمر قال : ما سمعت عمر لشيء قطّ يقول : إني لأظنّه كذا إلا كان كما يظن ، بينما عمر جالسٌ ، إذ مرَّ به رجل جميل ، فقال عمر : لقد أخطأ ظني أو إن هذا على دينه في الجاهلية ، أو لقد كان كاهنهم ،

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٦٨٢) في : المناقب ، باب : مناقب عمر بن الخطاب ﷺ ، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٩٠٧) .

عليّ الرجُل ، فدعي له ، فقال له ذلك . فقال : ما رأيت كاليوم استُقبل به رجلٌ مسلم .

قال : فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني .

قال : كنت كاهنهم في الجاهلية .

قال : فما أعجبُ ما جاءتك به جِنيَّتُك ؟ قال : بينما أنا يومًا في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع ، فقالت : ألم تر الجنّ وإبلاسها(١) ، ويأسها من بعد إنكاسها(٢) ، ولحوقها بالقلاص ، وأحلاسها(٣).

قال عمر : صدق ، بينما أنا نائمٌ عند آلهتهم ، إذ جاء رجلٌ بعجل فذبحه ، فصرخ به صارخٌ ، لم أسمع صارخًا قطُّ أشد صوتًا منه ، يقول : يا جَليح(٤) ، أمرٌ نجيح ، رجل فصيح ، يقول : لا إله إلا أنت . فوثب القوم ، قلت : لا

---

(١) إبلاسها : المراد به اليأس ضد الرجاء .

(٢) يأسها من بعد إنكاسها : اليأس ضد الرجاء ، والإنكاس الانقلاب ، قال ابن فارس : معناه أنها يئست من استراق السمع ، بعد أن كانت قد ألفته ، فانقلبت عن الاستراق ، قد يئست من السمع .

(٣) ولحوقها بالقلاص ، وأحلاسها : القلاص جمع قلص ، وهي : الفتية من النياق ، والأحلاس جمع حِلْس ، وهو ما يوضع على ظهور الإبل تحت الرحل .

(٤) يا جليح : معناه الوقح المكافح بالعداوة . قال الحافظ : ووقع في معظم الروايات « يا آل ذريح » وهم بطن مشهور من العرب .

أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ، ثم نادى : يا جَلِيح أمرٌ نجيح ، رجلٌ فصيح ، يقول : لا إله إلا الله . فقمت ، فما نَشِبْنا(١) أن قيل : هذا نبي(٢).

قال الحافظ في الفتح : لمح المصنف بإيراد هذه القصة من « باب إسلام عمر » بما جاء عن عائشة ، وطلحة عن عمر من أن هذه القصة كانت سبب إسلامه ، فروى أبو نعيم في « الدلائل » أن أبا جهل جعل لمن يقتل محمدًا مائة ناقة ، قال عمر : فقلت له : يا أبا الحكم آلضمان صحيح ؟ قال : نعم ، قال : فتقلدت سيفي أريده ، فمررت على عجل ، وهم يريدون أن يذبحوه ، فقمت أنظر إليهم ، فإذا صائح يصيح من جوف العجل : يا آل ذريح أمر نجيح ، رجل يصيح بلسان فصيح . قال عمر : فقلت في نفسي إن هذا الأمر ما يراد به إلا أنا .

قال : فدخلت على أختي فإذا عندها سعيد بن زيد . فذكر القصة في سبب إسلامه بطولها(٣).

---

(١) فما نشبنا : أي : لم نتعلق بشيء من الأشياء حتى سمعنا أن النبي ﷺ قد خرج ، يريد أن ذلك كان بقرب مبعث النبي ﷺ .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٨٦٦) في : مناقب الأنصار ، باب : إسلام عمر بن الخطاب ﷺ .

(٣) ستأتي قريبًا .

ثم قال الحافظ - رحمه الله تعالى -: وتأمل ما في إيراده (أي البخاري رحمه الله) حديث سعيد بن زيد الذي بعد هذا ـ وهو الحديث الخامس[1] ـ من المناسبة لهذه القصة . اهـ[2].

* * *

(١) عن قيس بن أبي حازم قال : سمعت سعيد بن زيد يقول للقوم : لو رأيتني مُوثِقي عمر على الإسلام أنا وأخته وما أسلم ، ولو أن أحدًا انقضّ لما صنعتم بعثمان ، لكان محقوقًا أن ينقض . رواه البخاري رقم (٣٨٦٧) في : مناقب الأنصار ، باب : إسلام عمر بن الخطاب .

(٢) فتح الباري (٧/ ٢٠٩) في شرح الحديث رقم (٣٨٦٦) .

قصة إسلامه

أما قصة إسلامه ﷺ فقد وجدت أن جُلّ ما وقعت عليه يدي من كتب التاريخ والسير ـ إن لم يكن كلها ـ قد سطر فيها أصحابها وهم من العلماء الحفاظ الأعلام ، القصة المشهورة من دخوله على أخته وزوجها سعيد بن زيد ، وكذا استماعه ﷺ القرآن من النبي ﷺ ، وهو خلف أستار الكعبة ، إلا أن جُل من حقق سند هذه الروايات قد حكم بضعفها مما جعلني أعرض عنها لضعفها في أول الأمر حتى وقفت على كلام الحافظ ابن حجر رحمة الله عليه السابق ذكره[1] ، وقوله بتلميح البخاري رحمة الله تعالى عليه إلى القصة بإيراده حديث سعيد بن زيد في باب إسلام عمر ، فوجدت أن آتي بهما مع ذكر أقوال العلماء فيهما ، والله أعلم بالصواب ، والقصتان ذكرهما الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية .

قال الحافظ ابن كثير[2] : ذكر ابن إسحاق قصة إسلام عمر ﷺ ، وسياقها فإنه قال : وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب ، وكانت عند سعيد بن زيد ، ثم ابن عمر بن نفيل كانت قد أسلمت ، وأسلم زوجها

---

(١) وقد أشار الحافظ ابن حجر في الفتح باختصار إلى هذه القصة ، وقال : إنها سبب إسلامه .
(الفتح : عند كلامه عن حديث ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر [٣٦٨٤]) .

(٢) البداية والنهاية (٣/ ٧٨) .

سعيد بن زيد ، وهم مستخفون بإسلامهم من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله ابن النحام رجلٌ من بني عدي قد أسلم أيضًا مستخفيًا بإسلامه من قومه ، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرأها القرآن ، فخرج عمر يومًا متوشحًا سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطًا من أصحابه ، فذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساءٍ ، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة ، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق ، وعليّ ابن أبي طالب في رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ، ولم يخرج إلى أرض الحبشة ، فلقيه نعيم بن عبد الله فقال : أين تريد يا عمر ؟ قال : أريد محمدًا هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش ، وسفه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها ، فأقتله .

فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدًا ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم .

قال : وأي أهل بيتي ؟

قال : ختنك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة ، والله أسلما وتابعا محمدًا على دينه ، فعليك بهما ، فرجع عمر عامدًا إلى أخته وختنه ، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها ((طه)) ، يقرئهما إياها ، فلما سمعوا حس عمر ، تغيب خباب في مخدع لهم - أو في بعض البيت - وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة ، فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب

قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهيمنة التي سمعت ؟

قالا له : ما سمعت شيئًا .

قال : بلى ، والله لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمدًا على دينه ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ، فضربها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك ، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع وارعوى ، وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي كنتم تقرؤون آنفًا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد ؟ وكان عمر كاتبًا ، فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا نخشاك عليها .

قال : لا تخافي ، وحلف بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها .

فلما قال ذلك طمعت في إسلامه ، فقالت : يا أخي ! إنك نجس على شركك ، وإنه لا يمسه إلا المطهرون ، فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة ، وفيها « طه » فقرأها ، فلما قرأ صدرًا قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه .

فلما سمع ذلك خباب بن الأرت خرج إليه فقال له : والله يا عمر إني لأرجو أن يكون الله خصك بدعوة نبيه ﷺ ، فإني سمعته أمس وهو يقول : « **اللَّهُمَّ أَيِّدِ الإِسْلَامَ بِأَبِي الحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ** » فالله الله يا عمر .

فقال عند ذلك : فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم .

فقال له خباب : هو في بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر

سيفه فتوشحه ، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب ، فإذا هو بعمر متوشح السيف ، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع ، فقال : يا رسول الله ! هذا عمر بن الخطاب متوشحًا السيف !.

فقال حمزة : فأذن له ، فإن كان جاء يريد خيرًا بذلناه ، وإن كان يريد شرًّا قتلناه بسيفه.

فقال رسول الله ﷺ : ((**ايذن له**))، فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة ، فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه ثم جذبه جذبة شديدة فقال : ((**مَا جَاءَ بِكَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ ؟!! فَوَالله مَا أَرَى أَنْ تَنْتَهِي حَتَّى يُنْزِلَ اللهُ بِكَ قَارِعَةٌ**)) فقال عمر : يا رسول الله ! جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله .

قال : فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة ، فعرف أهل البيت أن عمر قد أسلم ، فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم ، وقد عزُّوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة ، وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ، وينتصفون بهما من عدوهما[1].

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ٧٩- ٨١) ، والقصة أوردها ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٠٢- ٢٠٣).

قال الأعظمي في هامش المطالب : قال البوصيري : رواه أبو يعلى بسند ضعيف، لضعف =

ثم ذكر القصة الثانية عن ابن إسحاق[١] : أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول : كنت للإسلام مباعدًا ، وكنت صاحب خمر في الجاهلية ، أحبها وأشربها ، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة ، فخرجت ذات ليلة أريد جلسائي أولئك ، فلم أجد فيه منهم أحد ، فقلت : لو أني جئت فلانًا الخمار لعلي أجد عنده خمرًا ، فأشرب منها ، فخرجت فلم أجده ، قال : فقلت : لو أني جئت الكعبة فطفت سبعًا أو سبعين ، قال : فجئت المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي ، وكان إذا صلى استقبل الشام ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مصلاه بين الركنين : الأسود واليماني .

قال : فقلت حين رأيته : والله لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول، فقلت : لئن دنوت منه لأستمع منه لأروعنه ، فجئت من قبل الحجر ، فدخلت تحت ثيابها ، فجعلت أمشي رويدًا ورسول الله ﷺ قائم يصلي ، يقرأ

= القاسم بن عثمان البصري ، وقال الذهبي في الميزان (٥/ ٤٥٦) العلمية، في ترجمة القاسم بن عثمان البصري : حدث عنه الأزرق بمتن محفوظ ، وبقصة إسلام عمر ، وهي منكرة جدا ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٦٣) وقال : رواه البزار ، وفيه أسامة ابن زيد بن أسلم ، وهو ضعيف .

قال الحافظ ابن حجر : فيه من هو أضعف من أسامة بن زيد ، وهو إسحاق الحنيني ، وقد ذكر البزار أنه تفرد به .

(١) البداية والنهاية (٣/ ٨١) .

القرآن ، حتى قمت في قبلته مستقبله ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة ، قال : فلما سمعت القرآن رق له قلبي ، وبكيت ، ودخلني الإسلام ، فلم أزل في مكاني قائمًا حتى قضى رسول الله ﷺ صلاته ، ثم انصرف . قال عمر : فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر أدركته ، فلما سمع حسي عرفني ، فظن أني إنما اتبعه لأوذيه ، فنهمني (أي زجرني) ثم قال : ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟

قال : قلت : جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله .

قال : فحمد الله رسولُ الله ﷺ ، ثم قال : قد هداك الله يا عمر ، ثم مسح صدري ، ودعا لي بالثبات ، ثم انصرف ، ودخل رسول الله ﷺ بيته.

قال ابن إسحاق : فالله أعلم أي ذلك كان .

هذا ما ورد في قصة إسلامه ﷺ ، وهناك روايات أخر أعرضنا عنها خشية الإطالة .

أما ما حدث بعد ذلك ، ففي صحيح ابن حبان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لما أسلم عمر بن الخطاب ﷺ لم تعلم قريش بإسلامه ، فقال : أي مكة أفشى للحديث ؟ فقالوا : جميل بن معمر الجمحي ، فخرج إليه ، وأنا أتبع أثره ، أعقل ما أرى ، وأسمع ، فأتاه فقال : يا جميل إني قد أسلمت .

قال : فوالله ما ردّ عليه كلمة حتى قام عامدًا إلى المسجد فنادى أندية قريش ، فقال : يا معشر قريش إن ابن الخطاب قد صبأ ، فقال عمر : كذب ، ولكني

أسلمت ، وآمنت بالله ، وصدقت رسوله ، فثاوروه فقاتلهم حتى ركدت الشمس على رؤوسهم حتى فتر عمر .

وجلس فقال : افعلوا ما بدا لكم ، فوالله لو كنا ثلاثمائة رجل ، لقد تركتموها أو تركناها لكم ، فبينما هم كذلك قيام إذ جاء رجل عليه حلة حرير وقميص موشى ، فقال : ما لكم ؟ فقالوا : إن ابن الخطاب قد صبأ ، قال : فمه ، امرؤ اختار دينًا لنفسه ، أفتظنون أن بني عدي تسلم إليكم صاحبهم ؟ قال : فكأنما كانوا ثوبًا انكشف عنه ، فقلت له بَعْدُ بالمدينة : يا أبة من الرجل الذي ردّ عنك القوم يومئذ .

قال : يا بني ذاك العاص بن وائل .

وأخرج البخاري في صحيحه : عن عبد الله بن عمر عن أبيه ، قال : بينما هو في الدار خائفًا إذ جاءه العاص بن وائل السَّهمِيُّ ، أبو عمرو عليه حُلَّة حبر ، وقميصٌ مكفوف بحرير ـ وهو من بني سهم ، وهم حلفاؤنا في الجاهلية ـ فقال : ما بالك ؟ قال عمر : زعم قومك أنهم سيقتلوني إن أسلمتُ .

قال : لا سبيل إليك - قال عمر بعد أن قالها : أَمِنْتُ - فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي ، فقال : أين تريدون ؟ فقالوا : نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ . قال : لا سبيل إليه ، فكرَّ الناس(١).

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٨٦٤) في : مناقب الأنصار ، باب : إسلام عمر ﷺ .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أيضًا : لما أسلم عمر اجتمع الناس عند داره ، وقالوا : صبأ عمر ـ وأنا غلام (وفي رواية أخرى : أنه ابن خمس سنين) فوق ظهر بيتي ـ فجاء رجل عليه قباءٌ من ديباج ، فقال : قد صبأ عمر ، فما ذاك(١) ؟ فأنا له جار(٢) ، قال : فرأيت الناس تصدعوا(٣) عنه ، فقلتُ : من هذا ؟ قالوا : العاص بن وائل(٤) .

هذا ما ورد في قصة إسلامه ﷺ بعد أن تتبعناها في جل كتب السير والتاريخ ، والله أعلم بالصواب .

والأهم من ذلك أن إسلام عمر كان فتحًا للإسلام ، لما كان فيه من الجلد والقوة في أمر الله .

ففي البخاري : قال عبد الله بن مسعود : ((مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مِنْذُ أَسْلَمَ عُمَرَ))(٥).

وقال الحافظ في الفتح : وروى ابن أبي الدنيا ، والطبراني من طريق القاسم ابن عبد الرحمن قال : قال عبد الله بن مسعود : كان إسلام عمر عزًّا وهجرته نصرًا ، وإمارته رحمة والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى

---

(١) فما ذاك : أي : فلا بأس ، أولا قتل أو لا يعترض له (الفتح ٧/ ٢٢٦) .

(٢) أنا له جار : أي : أجرته من أن يظلمه ظالم .

(٣) تصدعوا : أي : تفرقوا عنه .

(٤) رواه البخاري رقم (٣٨٦٥) في : مناقب الأنصار ، باب : إسلام عمر ﷺ .

(٥) رواه البخاري رقم (٣٦٨٤) في : فضائل الصحابة ، باب : مناقب عمر بن الخطاب .

أسلم عمر[1] .

وعن صهيب بن سنان ﷺ قال : لما أسلم عمر رضوان الله عليه ظهر الإسلام ، ودُعِيَ إليه علانية ، وجلسنا حول البيت حلقًا ، وطفنا بالبيت ، وانتصفنا ممن غلظ علينا ، ورددنا عليه بعض ما يأتي به[2].

وكان إسلامه ﷺ في السنة السادسة من البعثة ، قاله ابن الأثير[3].

* * *

(١) الفتح (٧/ ٥٩) العلمية .

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/ ٢٠٤) بسند فيه الواقدي .

(٣) أسد الغابة (٤/ ١٤٣) .

هجرته رضي الله عنه

روى ابن الأثير بسنده عن عبد الله بن عباس قال : قال لي عليّ بن أبي طالب : ما علمت أن أحدًا من المهاجرين هاجر إلا مختفيًا إلا عمر بن الخطاب ، فإنه لما همَّ بالهجرة تقلد سيفه ، وتنكب قوسه ، وانتضى في يده أسهمًا ، واختصر عَنْزَته(١) ، ومضى قبل الكعبة ، والملأ من قريش بفنائها ، فطاف بالبيت سبعًا متمكنًا ، ثم أتى المقام فصلى ركعتين ، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة ، وقال لهم : شاهت الوجوه(٢) ، لا يُرغم الله إلا هذه المعاطس(٣) ، من أراد أن تثكله أمه ، ويُوتم ولده ، ويرمل زوجته فيلقني وراء هذا الوادي .

قال عليّ : فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علَّمهم ، وأرشدهم ، ومضى لوجهه(٤) .

---

(١) العنزة : مثل نصف الرمح أو أكبر شيئًا ، واختصرها ـ أي : مسكها بيده ـ وقيل : هي أطول من العصا ، وأقصر من الرمح .

(٢) شاهت : قَبُحَت ، رجل أشوه ، أو امرأة شوهاء ، إذا كانت قبيحة . انظر : اللسان (٤/ ٢٣٦٥) .

(٣) المعاطس : الأنوف ، وأحدها معطس ، لأن العطاس يخرج منها . انظر : اللسان (٤/ ٢٩٩٥) .

(٤) أسد الغابة لابن الأثير (٤/ ١٤٤، ١٤٥) بسند صحيح ، والخبر في الرياض النضرة (١/ ١٩٨) .

عمر المبشر بالجنة

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا القَصْرُ ؟ قَالُوا : لِعُمَرَ ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا ، فَبَكَى عُمَرُ ، وَقَالَ : أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ الله ؟!!))[1].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِقَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : لِشَابٍّ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَظَنَنْتُ أَنِّي أَنَا هُوَ ، فَقُلْتُ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالُوا : عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ))[2].

وعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ ، وَطَلْحَة فِي الجَنَّةِ ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الجَنَّةِ ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الجَنَّةِ . وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ))[3].

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٨٠) في : فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : مناقب عمر بن الخطاب ﷺ ، ومسلم رقم (٢٣٩٥) في : فضائل الصحابة ، باب : فضائل عمر بن الخطاب .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٦٨٩) في : المناقب ، باب : مناقب عمر بن الخطاب ﷺ ، ورواه أيضًا أحمد في المسند (١١٩٨٥، ١٢٧٧٠، ١٢٩١٨، ١٣٧١٠، ١٤٢٥٥) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٢١٨٨) ، موارد، وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (١٤٠٥، ١٤٢٣) .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٧٤٨) في : المناقب ، باب : مناقب عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وهو في صحيح الجامع رقم (٥٠) .

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أخبر أنه توضأ في بيته ، ثم خرج ، فقال : لألزَمَنَّ رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا ، قال : فجاء المسجد ، فسأل عن رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : خرج وَوَجَّهَ هاهنا ، قال : فخرجت على أثره ، أسأل عنه حتى دخل بئر أريس ، قال : فجلست عند الباب ـ وبابها من جريد ـ حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته ، وتوضأ ، فقمت إليه ، فإذا هو قد جلس على بئر أَرِيسٍ ، وتوسَّط قُفّها(١) ، وكشف عن ساقيه ، ودلاهما في البئر ، قال : فسلمت عليه ، ثم انصرفت ، فجلست عند الباب ، فقلت : لأكوننّ بوّاب رسول الله ﷺ اليوم ، فجاء أبو بكر فدفع الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : أبو بكر ، فقلت : على رسلك ، قال : ثم ذهبت فقلت : يا رسول الله ! هذا أبو بكر يستأذن ؟ فقال : ((**ائْذَنْ لَهُ ، وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**)) فأقبلتُ حتى قلت لأبي بكر : ادخل ورسول الله ﷺ يبشّرك بالجنة ، قال : فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القفّ ، ودلى رجليه في البئر ، كما صنع رسول الله ﷺ ، وكشف عن ساقه ، ثم رجعت فجلست ، وقد تركت أخي يتوضأ ، ويلحقني ، فقلت : إن يرد الله بفلان ـ يعني أخاه ـ خيرًا يأت به ، فإذا إنسان يحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عمر بن الخطاب ، فقلت : على رسلك ، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فسلّمت عليه وقلت : هـذا عمر يستأذن ؟

---

(١) القف : ما ارتفع من متن الأرض ، وهو ها هنا : جدار مبنيٌّ مرتفع حول البئر كالدكة ، يتمكن الجالس عليه من الجلوس . قاله ابن الأثير في جامع الأصول .

فقال : ((ائْذَنْ لَهُ ، وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّة)) فجئت عمر ، فقلت : ادخل ، ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة . قال : فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره ، ودلّى رجليه في البئر ، ثم رجعت فجلست ، فقلت : إن يرد الله بفلان - يعني أخاه - خيرًا يأت به ، فجاء إنسان فحرّك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عثمان بن عفان ، فقلت : على رسلك ، قال : وجئت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال : ((ائْذَنْ لَهُ ، وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّة مَعَ بَلْوَى تُصِيبُهُ)) قال : فجئت ، فقلت : ادخل ، ويبشّرك رسول الله ﷺ بالجنة مع بلوى تصيبك ، قال : فدخل فوجد القفَّ قد مُلِئ ، فجلس وجاهه من الشق الآخر[1] .

قال سعيد بن المسيب : فأولت ذلك قبورهم ، اجتمعت هاهنا ، وانفرد عثمان عنهم .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ ، فاطَّلعَ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ قَالَ : يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ ، فَاطَّلَعَ عُمَرُ))[2] .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٧٤) في : فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : قول النبي ﷺ : لو كنت متخذًا خليلًا ، ومسلم رقم (٢٤٠٣) في : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عثمان بن عفان ﷺ ، والترمذي رقم (٣٧١١) في : المناقب .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٦٩٥) في : المناقب ، باب : مناقب عمر بن الخطاب ، ورواه أحمد في المسند (٣/ ٣٨٠) .

مناقبه رضي الله عنه

* قال علماء السير : شهد عمر بن الخطاب مع رسول الله ﷺ بدرًا ، وأحدًا ، والخندق ، وبيعة الرضوان ، وخيبر ، والفتح ، والحنين ، وغيرها من المشاهد ، وكان أشد الناس على الكفار ، ولقد أثنى عليه النبي ﷺ في غير موضع ، ووضع ﷺ على صدره كثيرًا من الأوسمة .

ففي مسند الإمام أحمد عن عقبة بن عامر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((لَوْ كَانَ مِنْ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ))[1].

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : ((إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ))[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ))[3].

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (١٧٣٣٦) وقال محققه : إسناده صحيح . والترمذي في السنن رقم (٣٦٨٦) في : مناقب عمر بن الخطاب ، وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (٣٢٧) ، وهو في صحيح الجامع (٥٢٨٤) .

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (٥١٤٥، ٩١٨٥، ٥٦٩٧) ، والترمذي في السنن رقم (٣٦٨٢) في : مناقب عمر بن الخطاب ، وهو في صحيح الجامع رقم (١٧٣٦) .

(٣) رواه البخاري رقم (٣٦٨٩) في : الفضائل ، باب : مناقب عمر بن الخطاب ، ومسلم رقم (٢٣٩٨) في : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عمر بن الخطاب من حديث عائشة .

قال ابن الأثير : محدثون : أراد بقوله محدثون أقوامًا يصيبون إذا ظنوا ، وحدسُوا فكأنهم قد حُـدِّثوه بها قالوا ، وقـد جاء في الحـديث تفسيره ((أنهـم ملهمون)) والملهم : الذي يُلقَى في نفسه الشيء ، فيخبر به حَدْسًا ، وظنًّا ، وفراسة ، وهو نوع يختص الله به من يشاء من عباده الذي اصطفى ، مثل عمر ﷺ . اهـ[1].

وقال الحافظ في الفتح : محدثون : اختلف في تأويله فقيل : ملهم ، قاله الأكثر .

قالوا : المحدَث : بالفتح ؛ هو الرجل الصادق الظن ، وهو من ألقى في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى ، فيكون كالذي حدثه غيره به .

وقيل : من يجري الصواب على لسانه من غير قصد .

وقيل : مكلم ، أي : تكلمه الملائكة بغير نبوة ، وهذا ورد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا ، ولفظه : قيل : يا رسول الله ! وكيف يحدث ؟ قال : تتكلم الملائكة على لسانه رويناه في فوائد الجوهري ، وحكاه القابسي وآخرون ، ويؤيده ما ثبت في الرواية المعلقة[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي**

---

(١) جامع الأصول (٨/ ٦١٠/ ٦٤٣٤) .

(٢) فتح الباري (٧/ ٦٢) العلمية .

عَلَى قَلِيبٍ[١] عَلَيْهَا دَلْوٌ ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ مِنْهَا[٢] ذَنُوبًا[٣] أَوْ ذَنُوبَيْنِ ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ ، وَاللهُ يغْفِرُ لَهُ ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا[٤] ، فَأَخَذَهَا ابْنُ الخَطَّابِ ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ[٥]))[٦].

وفي رواية للبخاري أن رسول الله ﷺ قال : ((بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ أَنِّي عَلَى حَوْضِي أَسْقِي النَّاسَ ، فَأَتَانِي أَبو بَكْرٍ ، فَأَخَذَ الدَّلْو مِنْ يَدِي لِيُرِيحَنِي ، فَنَزَعَ ذَنُوبَيْنِ ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ ، فَأَتَى ابْنُ الخَطَّابِ ، فَأَخَذَهُ مِنْهُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَنْزِعُ حَتَّى تَوَلَّى النَّاسُ ، وَالحَوْضُ يَتَفَجَّرُ)). وفي رواية لمسلم : ((فَجَاءَ ابْنُ الخَطَّابِ ، فَأَخَذَهُ مِنْهُ ، فَلَمْ أَرَ نَزَعَ رَجُلٌ قَطُّ أَقْوَى حَتَّى تَوَلَّى النَّاسُ ،

---

(١) القليب : البئر إذا لم تكن مطوية .

(٢) نزعت الدلو من البئر : إذا جذبتها ، واستقيت الماء بها .

(٣) الذَنوب : الدلو العظيمة .

(٤) الغَرْب : الدلو العظيمة .

(٥) العطن : الموضع الذي تناخ فيه الإبل إذا رويت ، يقال : عطنت الإبل ، فهي عاطنة ، والمراد بقوله : ((حتى ضرب الناس بعطن)) . حتى رووا وأرْوَوْا إبلهم ، فأبركوها ، وضربوا لها عطنًا .

(٦) رواه البخاري رقم (٧٠٢٠، ٧٠٢١) في : التعبير ، باب : نزع الذنوب والذنوبين من البئر بضعف ، ومسلم رقم (٢٣٩٢) في : فضائل الصحابة ، باب : في فضائل عمر بن الخطاب ﷺ .

وَالحَوْضُ مَلْآنُ يَتَفَجَّرُ))[١].

قال الحافظ[٢] : قال أبو عمر : وعبقري القوم سيدهم ، وقيمهم ، وكبيرهم .

وقال الفراء : العبقري السيد ، والفاخر من الحيوان ، والجوهر ، والبساط المنقوش . وقيل : منسوب إلى عبقر موضع بالبادية .

وقيل : قرية يعمل فيها الثياب البالغة الحسن .

وقيل : نسبة إلى أرض تسكنها الجن ، تضرب بها العرب المثل في كل شيء

---

(١) قال الحافظ ابن حجر : قال النووي : قالوا هذا المنام مثال لما جرى للخليفتين من ظهور آثارهما الصالحة ، وانتفاع الناس بهما ، وكل ذلك مأخوذ من النبي ﷺ ؛ لأنه صاحب الأمر فقام به أكمل قيام ، وقرر قواعد الدين ، ثم خلفه أبو بكر فقاتل أهل الردة ، وقطع دابرهم ، ثم خلفه عمر فاتسع الإسلام في زمنه ، فشبه أمر المسلمين بقليب فيه الماء الذي فيه حياتهم وصلاحهم ، وشبه أميرهم بالمستقي لهم منها ، وسقيه هو قيامه بمصالحهم وتدبير أمورهم ، وفي قوله : ((ليريحني)) إشارة إلى خلافة أبي بكر بعد موت النبي ﷺ لأن في الموت راحة من كدر الدنيا وتعبها ، فقام أبو بكر بتدبير أمر الأمة ومعاناة أحوالهم ، وأما قوله : ((وفي نزعه ضعف)) فليس فيه حط من فضيلته ، وإنما هو إخبار عن حاله في قصر مدة ولايته .

وأما ولاية عمر فإنها لما طالت كثر انتفاع الناس بها ، واتسعت دائرة الإسلام بكثرة الفتوح ، وتمصير الأمصار ، وتدوين الدواوين . وأما قوله : ((والله يغفر له)) فليس فيه نقص له ، ولا إشارة إلى أنه وقع منه ذنب ، وإنما هي كلمة كانوا يقولونها يدعمون بها الكلام ، وفي الحديث إعلام بخلافتهما ، وصحة ولايتهما ، وكثرة الانتفاع بهما . فتح الباري (١٢/ ٥١١) .

(٢) فتح الباري (٧/ ٥٧) العلمية .

عظيم ، قاله أبو عبيدة .

قال ابن الأثير : فصاروا كلما رأوا شيئًا غريبًا مما يصعب عمله ويدق ، أو شيئًا عظيمًا في نفسه نسبوه إليها ، فقالوا : عبقري ، ثم اتسع فيه حتى سمى به السيد الكبير .

* وفي مسند الإمام أحمد بسند حسن عن الأسود بن سريع قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ! إني قد حمدت ربي تبارك وتعالى بمحامد ، ومدح ، وإياك ، فقال رسول الله ﷺ : ((أَمَا إِنَّ رَبَّكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ المَدْحَ ، هَاتِ مَا امْتَدَحْتَ بِهِ رَبَّكَ)) قال : فجعلت أنشده ، فجاء رجل فاستأذن ، أدلم (أي : أسود طويل) أصلع ، أعسر ، أيسر . قال : فاستنصتني له رسول الله ﷺ ، ووصف لنا أبو سلمة كيف استنصته ، قال : كما صنع بالهر ، فدخل الرجل فتكلم ساعة ، ثم خرج ، ثم أخذت أنشده أيضًا ، ثم رجع بعد ، فاستنصتني رسول الله ﷺ ـ ووصفه أيضًا ـ فقلت : يا رسول الله ! من ذا الذي استنصتني ؟ فقال : ((هَذَا رَجُلٌ لَا يُحِبُّ البَاطِلَ ، هَذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ))[1](*).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : صعد النبي ﷺ أحدًا ، ومعه أبو بكر ، وعمر ،

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (١٥٥٢٢ ، ١٥٥٢٧) ، وقال محققه : إسناده حسن ، ورواه الطبراني في الكبير ، حديث رقم (٨٤٢ ، ٨٤٣) ، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦١٥) وصححه وتعقبه الذهبي بقوله : فعمر له مناكير ، وقال الألباني في الضعيفة (٢٩٢٢) : ضعيف بهذا التمام لكن تراجع عن ذلك وقواه بتمامه في الصحيحة (٣١٧٩) .

(*) ليس معنى قوله أن عمر لا يحب الباطل والنبي ﷺ يحب الباطل ، بل إنه لا يحب لأحد أن يفعل اللهو أمام رسول الله ﷺ ، ولكنه لهو مباح ، أي : قول الشعر ، ولو لم يكن مباحًا لما استمع إليه رسول الله ﷺ .

وعثمان ، فرجف بهم ، فضربه برجله ، وقال : ((**اثْبُتْ أُحُدُ ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِي أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدَانِ**))[١].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ ، رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ ، وَعَلَيهِمْ قُمُص (جمع قميص) فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدَيَّ ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ . قَالُوا : فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟**)) قال : ((**الدِّينَ**[٢]))[٣].

* وعن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا عَلَيْهِ الذِّئْبُ فَأَخَذَ شَاةً ، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ ، فَقَالَ : مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ ، يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي ؟ وَبَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً قَدْ حمل**

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٨٦) في : فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : لو كنت متخذًا خليلًا ، وأبو داود رقم (٤٦٥١) في : السنة ، باب : في الخلف ، والترمذي رقم (٣٦٩٧) في : المناقب ، باب : مناقب عثمان ابن عفان .

(٢) قال الحافظ في الفتح : وقد استشكل هذا الحديث ، بأنه يلزم منه أن عمر أفضل من أبي بكر الصديق ، والجواب عنه تخصيص أبي بكر من عموم قوله عرض عليّ الناس فلعل الذين عرضوا إذ ذاك لم يكن فيهم أبو بكر ، وأن كون عمر عليه قميص يجره لا يستلزم أن لا يكون على أبي بكر قميص أطول منه وأسبغ ، فلعله كان كذلك ، إلا أن المراد كان حينئذ بيان فضيلة عمر فاقتصر عليها ، والله أعلم . اهـ. فتح الباري (٧/ ٦٤) .

(٣) رواه البخاري رقم (٣٦٩١) في : الإيمان ، باب : تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ، ومسلم رقم (٢٣٩٠) في : الرؤيا ، باب : ما جاء في رؤيا النبي ﷺ اللبن والقمص ، والنسائي (٨/ ١١٨) في : الإيمان .

عَلَيْهَا . فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَكَلَّمَتْهُ ، فَقَالَتْ : إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا وَلَكِنِّي خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ)) فقال الناس : سبحان الله !

قال النبي ﷺ : ((فَإِنِّي أُومِنُ بِذَلِكَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما)).

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : ((إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ العُلَى لَيَرَاهُمْ مِنْ تَحْتِهِمْ ، كَمَا تَرَوْن النَّجْمَ الطَّالِعَ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ ، وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ ، وَعُمَر مِنْهُمُ ، وَأَنْعما))(١).

وعن أنس بن مالك أيضًا أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر ، وعمر : ((هَذَانِ سَيِّدَا كَهُولِ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ إِلَّا النَّبيينَ وَالمُرْسَلِينَ ، لَا تُخْبِرهُمَا يَا عَلِيُّ))(٢).

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((إِنِّي لَا أَدْرِي مَا بَقَائِي فِيكُمْ ؟ فَاقْتَدُوا بِالَّذين مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ))(٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ ، نِعْمَ الرَّجُلُ عُمَرُ ، نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ ، نِعْمَ الرَّجُل أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ،

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٩٨٧) في : الحروف والقراءات ، والترمذي رقم (٣٦٥٩) في : المناقب ، باب : مناقب أبي بكر الصديق ﷺ ، وهو في صحيح الجامع رقم (٢٠٣٠).

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٦٦٦) في : المناقب ، باب : مناقب أبي بكر الصديق ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧٩٨) .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٦٦٣ ، ٣٦٦٤) في : المناقب ، باب : مناقب أبي بكر الصديق ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٨٩٥) .

نِعْمَ الرَّجُلُ ثَابِت بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ ، نِعْمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، نِعْمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْن عَمْرُو بْن الجَمُوحِ))[1].

وعن سالم عن أبيه قال: رأى النبي ﷺ على عمر ثوبًا (وفي رواية : قميصًا أبيض). فقال : ((أجديد ثوبك أم غسيل؟)) فقال : بل غسيل ، فقال : ((الْبِسْ جَدِيدًا ، وَعِشْ حَمِيدًا ، وَمُتْ شَهِيدًا))[2].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : ((أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ الله عُمَرُ ، وَأَشَدُّهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيٌّ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ أَمِينٌ . وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ ، وَمَا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ أَصْدَقُ لَهجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ ، أَشْبَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَرَعِهِ)).

قال عمر : أفنعرف له ذلك يا رسول الله !

قال : ((نَعَمْ ، فَاعْرِفُوا لَهُ))[3].

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٧٩٧) في : المناقب ، باب : مناقب معاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وأبي عبيدة ﷺ ، وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة (٨٧٥) ، وهو في صحيح الجامع رقم (٦٧٧٠) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٣٨٢) ، وأحمد في المسند رقم (٥٦٢٠) ، وحسنه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (٣٥٢) ، وهو في صحيح الجامع رقم (١٢٣٤) .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٨٠٤) في : المناقب ، باب : مناقب أبي ذر ﷺ ، وهو في صحيح الجامع .

رجل يخاف منه الشيطان ويهرب

إن الفاروق عمر ﷺ كان له من الهيبة والجلال في قلوب الناس ما كان معروفًا مشهورًا .. لا عجب في ذلك ، لكن العجب والأعجب أن يهابه الشيطان بل ويهرب منه .

عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال : استأذن عمرُ على النبي ﷺ وعنده نسوة من قريش يُكلّمنه ـ وفي رواية : يسألنه ويستكثرنه ـ عالية أصواتُهنَّ على صوته ، فلما استأذن عمر قمن يَبْتَدِرْنَ الحجاب ، فأذن له النبي ﷺ ، فدخل عمر ، والنبي ﷺ يضحك ، فقال عمر : أضحك الله سِنَّك(١)، بأبي وأمي ما أضحكك؟

قال : ((عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي ، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الحِجَابَ)) قال عمر : فأنت يا رسول لأحق أن يَهَبْنَ ، ثم قال : أي عدوات أنفسهنَّ ! أتهبنني ولا تهبن النبي ﷺ؟ قلن : نعم ، أنت أفظ وأغلظ(٢) من النبي

---

(١) قال الحافظ في الفتح : لم يرد به الدعاء بكثرة الضحك ، بل لازمه ، وهو السرور ، أو نفي ضد لازمه ، وهو الحزن . الفتح (٧/ ٥٨) .

(٢) قال الحافظ في الفتح : أفعل تفضيل من الفظاظة والغلظة ، وهو يقتضي الشركة في أصل الفعل ، ويعارض قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ فإنه يقتضي أنه لم يكن فظًّا ولا غليظًا . انظر : الفتح (٧/ ٥٨) .

، فقال رسول الله ﷺ : ((**إِيه**(١) **يَا ابْنَ الخَطَّابِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**))(٢).. الله أكبر .

الفج : المسلك والطريق .

قال النووي في شرح مسلم : هذا الحديث محمول على ظاهره ، أن الشيطان متى رأى عمر سالكًا فجًّا هرب هيبة من عمر ، وفارق ذلك الفج ، وذهب من فج آخر لشدة خوفه من بأس عمر أن يفعل فيه شيئًا . اهـ(٣).

وذكر الحافظ ابن حجر أقوالًا ، ثم قال : ولا يلزم من ذلك ثبوت العصمة له ؛ لأنها في حق النبي ﷺ واجبة ، وفي حق غيره ممكنة . اهـ(٤).

وعن بريدة ﷺ قال : خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه ، فلما انصرف جاءت جُويْرية سوداءُ ، فقالت : إني كنت نذرت إن ردّك الله سالمًا أن أضرب بين يديك بالدّف ، وأتغنّى ، فقال لها : ((**إِنْ كُنْتِ نَذَرْتِ فَاضْرِبِي ، وَإِلَّا فَلَا**)) فقالت : نذرتُ ، وجَعَلَتْ تضربُ فدخل أبو بكر وهي تضرب ، ثم دخل

---

(١) بالكسر ، والتنوين معناها : حدثنا ما شئت ، وبغير تنوين : زدنا مما حدثتنا .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٦٨٣) في : فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : مناقب عمر بن الخطاب ﷺ ، ومسلم رقم (٢٣٩٦) في : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عمر بن الخطاب ﷺ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٨/ ١٦٧) ط : دار ابن رجب .

(٤) فتح الباري (٧/ ٥٨) .

علي وهي تضرب ، ثم دخل عثمان وهي تضرب ، ثم دخل عمر ، فألقت الدف تحت إستها وقعدت عليه ، فقال رسول الله ﷺ : ((**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَخَافُ مِنْكَ يَا عُمَرُ ، إِنِّي كُنْتَ جَالِسًا وَهِيَ تَضْرِبُ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ وَهِيَ تَضْرِبُ ، فَلَمَّا دَخَلْتَ أَنْتَ يَا عُمَرُ أَلْقَتِ الدُّفَّ وَجَلَسَتْ عَلَيْهِ**))[1].

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : كان رسول الله ﷺ جالسًا ، فسمعنا لغطًا ، وصوت صبيان ، فقام النبي ﷺ ، فإذا حبشية تزفِن[2] والصبيان حولها .

فقال : يا عائشة تعالي فانظري ، فجئت فوضعت لَحْيَيَّ على منكب رسول الله ﷺ ، فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه ، فقال لي : ((**أَمَا شَبِعْتِ ؟ أَمَا شَبِعْتِ ؟**)).

قالت : فجعلت أقول : لا ، لأنظر منزلتي عنده ، إذ طلع عمر ، قالت : فارفَضَّ[3] الناس عنها . قالت : فقال رسول الله ﷺ : ((**إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الجِنِّ وَالإِنْسِ قَدْ فَرُّوا مِنْ عُمَرَ**)) قالت : فرجعت[4].

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٦٩١) في : المناقب ، باب : مناقب عمر بن الخطاب ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) تزفن : الزفن : الرقص ، ورجل زفَّاف : رجلٌ رقاص .

(٣) ارفَضَّ القوم : أي : تفرقوا .

(٤) رواه الترمذي رقم (٣٦٩١) في : المناقب ، باب : مناقب عمر بن الخطاب ، وصححه شخنا الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم (٢٩١٤) .

موافقات عمر لربه عز وجل

لم تقف عبقرية هذا الرجل عند أعماله الجليلة التي تنطق بها كتب السير والتاريخ ، لكنها تعدت حدودًا لم تعرفها البشرية من قبل إذ وافقه ربه جل وعلا ، فأنزل القرآن على وفق ما رأى بشكل غير مسبوق حتى أن ابن عمر قال : ما نزل بالناس أمرٌ قط فقالوا فيه وقال فيه عمر إلا نزل القرآن فيه على نحو ما قال عمر .

وعدّ ابن حجر ما وافق فيه رب العزة رأي عمر فوجدها خمسة عشر ، وإليك بعض موافقاته ﷺ .

عن أنس ﷺ قال عمر : وافقت ربي في ثلاث(١) : فقلت : يا رسول الله ! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصَلًّى ، فنزلت : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾

---

(١) قال الحافظ في الفتح : قوله (وافقت ربي في ثلاث) أي : وقائع ، والمعنى : وافقني ربي فأنزل القرآن على وفق ما رأيت ، لكن لرعاية الأدب أسند الموافقة إلى نفسه ، أو أشار به إلى حدوث رأيه ، وقدم الحكم ، وليس في تخصيصه العدد الثلاث ما ينفي الزيادة عليها؛ لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غير هذه من مشهورها قصة أسارى بدر ، وقصة الصلاة على المنافقين .

ثم قال رحمه الله : وأكثر ما وقفنا منها بالتعيين على خمسة عشر ، لكن ذلك بحسب المنقول. اهـ. فتح الباري (١/ ٦٦٥) .

وآية الحجاب ، قلت : يا رسول الله! لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يُكلِّمهُنَّ البَرُّ والفاجر ، فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه ، فقلت لهنّ : عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ. فنزلت هذه الآية(١).

وفي رواية مسلم قال : وافقت ربي في ثلاث : في مقام إبراهيم ، وفي الحجاب ، وفي أسارى بدر(٢).

وفي صحيح البخاري ومسلم ، عن عائشة : أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرَّزْنَ إلى المناصع ـ وهو : صعيد أفيح ـ فكان عمر يقول للنبي ﷺ : احجب نِساءَك ، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل ، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاءً ، وكانت امرأة طويلة ، فناداها عمر : ألا قد عرفناك يا سودة . حرصًا على أن ينزل الحجاب ، فأنزل الله آية الحجاب(٣).

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال : حدثني عمر بن الخطاب قال : لما

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٠٢) في : الصلاة ، باب : ما جاء في القبلة ، ورواه أحمد في المسند رقم (١٥٧، ١٦٠، ٢٥٠) ، ورواه النسائي في الكبرى (٨/ ١٣)، وابن ماجة في الصلاة ، باب : القبلة .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٣٩٩) في : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عمر ﷺ .

(٣) رواه البخاري رقم (١٤٦) في : الوضوء ، باب : خروج النساء إلى البراز ، ومسلم رقم (٢٣٧٠) في : السلام ، باب : إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان . ورواه أيضًا أحمد في المسند رقم (٢٥٧٤٢، ٢٦٢٠٩) .

كان يوم بدر ، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين ، وهم ألف ، وأصحابه وهم ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا ، فاستقبل النبي ﷺ القبلة ، ثم مدّ يديه فجعل يهتف بربّه : ((**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ ، لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ**)) فما زال يهتف بربه مادًّا يديه ، مستقبل القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه . فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبي الله ! كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله ﷻ : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[الأنفال: ٩] فأمده الله بالملائكة .

قال ابن عباس : بينما رجلٌ من المسلمين يومئذ يشتدّ في أَثَرِ رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضَرْبَةً بالسَّوط فَوْقَهُ ، وصوت الفارس يقول : أَقْدِم حَيْزُوم . فنظر إلى المشرك أمامه فخرَّ مستلقيًا ، فنظر إليه فإذا هو قد خُطِمَ أَنْفُهُ ، وشُقَّ وجْهُه كَضَرْبة السَّوْط ، فاخْضَرَّ ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري ، فحدَّث بذلك رسول الله ﷺ فقال : ((**صَدَقْتَ ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ**)) فقتلوا يومئذ سبعين ، وأسروا أربعين . قال ابن عباس : فلما أسروا الأسارى قال رسول الله لأبي بكر وعمر : ((**مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الأَسَارَى ؟**)) فقال أبو بكر : يا نبي الله ! هم بنـو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قـوة

على الكفار ، فعسى الله أن يهديهم للإسلام .

فقال رسول الله ﷺ : ما ترى يا ابن الخطاب ؟

قلت : لا . والله ! يا رسول الله ، ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكني أرى أن تمكّنا فنضرب أعناقهم ، فتُمكن عليًا من عقيل ، فيضرب عنقه ، وتمكنّي من فلان (نسيبًا لعمر) فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدُها .

فَهَوِيَ رسول الله ما قال أبو بكر ، ولم يَهْوَ ما قلت ، فلما كان من الغد جئتُ فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان .

فقلت : يا رسول الله ! أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاءً بكيت ، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما .

فقال رسول الله ﷺ : أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء . لقد عُرض عليّ عذابُهم أدنى من هذه الشجرة ـ شجرة قريبة من نبي الله ﷺ ـ وأنزل الله ﷻ : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال : ٦١ - ٦٩] فأحل الله الغنيمة لهم[1].

(١) رواه مسلم رقم (١٧٦٣) في: الجهاد والسير، باب: كيفية قسمة الغنيمة بين الحاضرين، ورواه أيضًا أحمد في المسند رقم (٢٠٨، ٢٢١)، والترمذي (٣٠٨١) في: تفسير القرآن، وأبو داود مختصرًا رقم (٢٦٩٠) في: الجهاد.

وفي البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : لما مات عبد الله بن أُبي بن سلول دُعي له رسول الله ﷺ ليصلى عليه ، فلما قام رسول الله ﷺ وَثَبْتُ إليه ، فقلت : يا رسول الله أَتُصلي على ابن أُبي ، وقد قال يوم كذا وكذا : كذا وكذا ! أُعَدِّدُ عليه قوله ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : أَخِّر عني يا عمر .

فلما أكثرت عليه قال : إني خُيِّرتُ فاخترت لو أعلم أني زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها ، قال : فصلى عليه رسول الله ﷺ ، ثم انصرف ، فلم يمكث إلا يسيرًا حتى نزلت الآيتان من براءة : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[التوبة : ٨٤] قال : فعجبت بعدُ من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ ، والله ورسوله أعلم[١].

(١) رواه البخاري رقم (١٣٦٦) في: الجنائز، باب: ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار للمشركين ، ومسلم رقم (٢٤٠٠) في: فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عمر بن الخطاب .

موافقات عمر لرسول الله ﷺ

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال : كنا قعودًا حول رسول الله ﷺ ، ومعنا أبو بكر وعمر في نفر ، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا ، وخشينا أن يقتطع دوننا ، وفزعنا فقمنا فكنت أول من فَزِعَ فخرجت حتى أبتغي رسول الله ﷺ ، حتى أتيت حائطًا للأنصار لبني النجار ، فدُرت به هل أجد له بابًا ، فلم أجد ، فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة (والربيع الجدول) فاحتفزت كما يحتفز الثعلب .

فدخلت على رسول الله ﷺ ، فقال : أبو هريرة ؟ فقلت : نعم يا رسول الله ! قال : ((**مَا شَأْنَكَ ؟**)) قلت : كنت بين أظهرنا فقمت ، فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ، ففزعنا فكنت أوّل من فزع ، فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب ، وهؤلاء الناس ورائي ، فقال : ((**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ !**)) (وأعطاني نعليه) قال : ((**اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ ، فَمَنْ لَقِيتُ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ ، فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**)) فكان أول من لقيت عمر ، فقال : ما هاتان النعلان يا أبا هريرة ؟ فقلتُ : هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما . من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه بشرتُهُ بالجنة. فضرب عمر بيده بين ثَدْيَيّ فَخَرَرْتُ لإسْتِي ..

فقال : ارجع يا أبا هريرة ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ ، فأجهشت بكاءً ، وركبني عمر (أي : تبعني ومشى خلفي في الحال بلا مهلة) فإذا هو على أَثَرِي .

فقال لي رسول الله ﷺ : ((**مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟**)) .

قلت : لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به . فضرب بين ثديي ضربةً ، خررت لإستي . قال : ارجع .

فقال له رسول الله ﷺ : ((**يَا عُمَرُ ! مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ ؟**)).

قال : يا رسول الله ! بأبي أنت وأمي ، أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه بشَّرَهُ بالجنة ؟ قال : ((**نَعَمْ**)).

قال : فلا تفعل ، فإني أخشى أن يتكل الناس عليها ، فَخَلِّهم يعملون . قال رسول الله ﷺ : ((**فَخَلِّهِمْ**))[1].

وفي البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا : يا رسول الله ! لو أذنت لنا ذبحنا نواضحنا ، فأكلنا ، وادّهنا ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ((**افْعَلُوا**)).

قال : فجاء عمر فقال : يا رسول الله ! إنهم إن فعلت قَلَّ الظَّهْر ، ولكن

(١) رواه مسلم رقم (٣١) في : الإيمان ، باب : الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة .

ادعهم فليأتوا بفضل أزوادهم ، ثم ادع لهم عليها بالبركة لعل الله ﷻ أن يجعل في ذلك .

فقال رسول الله ﷺ : « نَعَمْ » فدعا رسول الله ﷺ بنطع فبسطه ، ثم دعا بكسرة حتى اجتمع من ذلك على النطع شيء يسير ، ثم دعا ﷺ بالبركة ، ثم قال : خذوا في أوعيتكم ، فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في المعسكر وعاء إلا ملأوه . فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة .

فقال رسول الله ﷺ : « **أَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ الله ، لَا يَلْقَى الله بِهَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ فَيُحْجَبُ عَنِ الجَنَّةِ** »[1].

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٩٨٢) في : الجهاد ، باب : حمل الزاد في الغزو ، ومسلم رقم (٢٧) في : الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا .

موافقات عمر لأبي بكر

عن عبيدة قال : جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبي بكر رضوان الله عليه فقالا : يا خليفة رسول الله ! إن عندنا أرضًا سبخة فيها كلأ ولا منفعة فإن رأيت أن تقطعنا لعلنا نحرثها أو نزرعها لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم .

فقال أبو بكر لمن حوله : ما تقولون فيما قالا ؟ إن كانت أرضًا سبخة لا ينتفع بها ؟

قالوا : نرى أن تقطعهما إياها ، لعل الله ينفع بها بعد اليوم ، فأقطعهما إياها ، وكتب لهما كتابًا بذلك . قال : وأَشْهدا عمر ، وليس في القوم .

فانطلقا إلى عمر يُشهدانه فوجداه قائمًا يهنأ بعيرًا له .

فقالا : إن أبا بكر قال : اشهد بما في هذا الكتاب ، فليقرأ عليك أو تقرأ ؟

فقال : أنا على الحال الذي ترياني فإن شئتما فاقرأا ، وإن شئتما فانتظرا حتى أفرغ فأقرأ عليكما .

قالا : بل نقرأ ، فلما سمع ما في الكتاب تناوله من أيديهما ، ثم تفل عليه فمحاه ، فقال : إن رسول الله ﷺ كان يتألفكما ، والإسلام يومئذ ذليل ، وإن الله قد أعز الإسلام فاذهبا ، فاجهدا جهدكما لا رعى الله عليكما إن رعيتما .

قال : فأقبلا إلى أبي بكر وهما يتذمران فقالا : والله ما ندري أنت الخليفة أم

عمر ، فقال : لا ، بل هو ، لو كان شاء . قال : فجاء عمر ، وهو مغضب فوقف على أبي بكر ، فقال : أخبرني عن هذه الأرض التي قطعتها هذين ، أرض هي لك أم للمسلمين عامة ؟

فقال : بل للمسلمين عامة .

فقال : ما حملك على أن تخص بها هذين ؟!!

قال : استشرت هؤلاء الذين حولي فأشاروا علي بذلك .

قال : فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك فكل المسلمين أوسعتهم مشورة ، ورضى ، فقال أبو بكر : كنت قلت لك إنك أقوى على هذا مني ، ولكن غلبتني"[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ، والبخاري في تاريخه ، وابن عساكر ، والبيهقي .

مواقف مع رسول الله ﷺ

كان عمر ثاني الصحابة ، وكان شيخ المسلمين بعد أبي بكر ، وكان في صحبته لرسول الله ﷺ مثال التلميذ الجريء القوي المطيع !!

وكان الله قد أمر الرسول أن يشاور أصحابه في الأمر ، فكان عمر يمثل جانب الصرامة في إقامة الحق ، والحزم في تدبير الأمور .

وكان قد أحسَّ من رسول الله ﷺ ارتياحًا إلى سماع رأيه ، فكان يعرضه كلما رأى في عرضه رضا الله ، ومنفعة للمسلمين ، ولطالما اقترح أشياء ، أو رأى آراء فنزل الوحي بها .

وهذه مواقف مع رسول الله ﷺ ، تظهر فيها شخصية هذا الرجل وعبقرية الفاروق .

يوم أحد

ففي البخاري عن البراء بن عازب ﷺ لما كان يوم أحد وخالف الرماة أمر رسول الله ﷺ وأصيب سبعون قتيلًا .

قال : أشرف أبو سفيان ، فقال : أفي القوم محمد ؟

فقال ﷺ : ((**لَا تُجِيبُوهُ**)) .

فقال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟

قال : ((**لَا تُجِيبُوهُ**)) .

فقال : أفي القوم ابن الخطاب ؟ فقال : إن هؤلاء قتلوا ، فلو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمر نفسه ، فقال : كذَبتَ يا عدو الله ، أبقى الله عليك ما يخزيك . قال : اعلُ هُبَل (أي : ظهر دينك) .

فقال النبي ﷺ : ((**أَجِيبُوهُ**)) قالوا : ما نقول ؟

قال : ((**قُولُوا : اللهُ أَعْلَى وَأَجَلّ**)).

قال أبو سفيان : لنا العُزَّى ، ولا عُزّى لكم .

فقال النبي ﷺ : ((**أَجِيبُوهُ**)).

قالوا : ما نقول ؟ قال : ((**قُولُوا : اللهُ مَوْلَانَا ، وَلَا مَوْلَىٰ لَكُمْ**))[1].

عمر وأبو سفيان

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، لما اتجه النبي ﷺ لفتح مكة وأشرف على دخولها، قال : لما نزل رسول الله ﷺ مرَّ الظهران ، قال العباس بن عبد المطلب وقد خرج رسول الله ﷺ من المدينة : يا صباح قريش ! والله لئن بَغَتها رسول الله في بلادها ، فدخل مكة عنوة إنه لهلاك قريش آخر الدهر !

فجلس على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء ، وقال : أخرج إلى الأراك لعلي أرى حطابًا ، أو صاحب لبن ، أو داخلًا يدخل مكة ، فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ، فيأتونه فيستأمنونه ، فخرجت ، فوالله إني لأطوف في الأراك

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٠٤٣) في : المغازي ، باب : غزوة أحد .

ألتمس ما خرجت له ، إذ سمعت صوت أبي سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبُديل بن ورقاء ، وقد خرجوا يتحسسوا الخبر عن رسول الله ﷺ ، فسمعت أبا سفيان وهو يقول : والله ما رأيت كاليوم قط نيرانًا !.

فقال بديل : هذه والله نيران خزاعة ، حَمَشَتْها الحرب !

فقال أبو سفيان : خُزاعة ألأم من ذلك وأذلُّ ! فعرفت صوته ، فقلت : يا أبا حنظلة ! فقال : أبو الفضل ؟! فقلت : نعم ، فقال : لبيك فداك أبي وأمي ! فما وراءك ؟ فقلت : هذا رسول الله ﷺ ورائي قد دلف إليكم بما لا قبل لكم به ، بعشرة آلاف من المسلمين . قال : فما تأمرني ؟ فقلت : تركب عجز هذه البغلة ، فأستأمن لك رسول الله ﷺ ، فوالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فردفني ، فخرجت به أركُض بغلة رسول الله ﷺ نحو رسول الله ﷺ ، فكلما مررت بنار من نيران المسلمين ونظروا إليّ قالوا : عمُّ رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله ﷺ حتى مررت بنار عمر بن الخطاب ، فقال : أبو سفيان ؟! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عَقْدٍ ولا عهد ، ثم اشتدّ نحو النبي ﷺ وركضت البغلة وقد أردفت أبا سفيان ، حتى اقتحمت على النبي ﷺ باب القبّة ، وسبقت عمر بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطيء ، فدخل عمر على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! هذا أبو سفيان عدو الله ، قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد ، فدعني أضرب عنقه .

فقلت : يا رسول الله ! إني قد أجرته ! ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت

برأسه ، فقلت : والله لا يناجيه اليوم أحدٌ دوني ! فلما أكثر فيه عمر . قلت : مهلًا يا عمر ! فوالله ما تصنع هذا إلا لأنه رجل من بني عبد مناف ، ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا .

فقال : مهلًا يا عباس! فوالله لإسلامُك يوم أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم ! وذلك لأني أعلم أن إسلامك كان أحبّ إلى رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم .

فقال رسول الله ﷺ : ((**اذْهَبْ فَقَدْ آمَنَّاهُ حَتَّى تَغْدُوا بِهِ عَلَيَّ بِالغَدَاةِ**)) .

فرجع به إلى منزله ، فلما أصبح غدا به على رسول الله ﷺ ، فلما رآه قال : ((**وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؟!**)) .

فقال : بأبي أنت وأمي ، ما أوصلك ، وأحلمك ، وأكرمك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئًا .

فقال : ((**وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟!**)) .

فقال : بأبي أنت وأمي ، ما أوصلك ، وأحلمك ، وأكرمك ؟! أما هذه ففي النفس منها شيء !

فقال العباس : فقلت له : ويلك ! تَشَهَّد شهادة الحق قبل والله أن تضرب عنقك . قال : فتشهد[1].

---

(١) أخرجه ابن جرير في تاريخه بسند فيه ضعف ، تاريخ الطبري (٢/ ١٥٧) دار الكتب العلمية ، ط: الثالثة .

أو تفعل حفصة ذلك ؟

في البخاري من حديث عبد الله بن عباس قال : لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى لهما : ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾ حتى حج فحججت معه فقلت له : يا أمير المؤمنين ! من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى لهما : ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾ .

فقال : واعجبا لك يا ابن عباس هما عائشة ، وحفصة ، ثم استقبل عمر الحديث يسوقه فقال : إني كنت أنا وجار لي من الأنصار من بني أمية بن زيد ، وهم من عوالي المدينة ، وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ فينزل يومًا ، وأنزل يومًا ، فإذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك ، وكنا معشر قريش نغلب النساء ، فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار ، فصخبت عليّ امرأتي فراجعتني ، فأنكرت أن تراجعني ! فقالت : ولم تنكر أن أراجعك ؟

فوالله ! إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه ، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل ، فأفزعني ذلك ، فقلت لها : قد خاب من فعل ذلك منهن .

ثم جمعت عليّ ثيابي ، فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها : أي حفصة !

أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل ؟ قالت : نعم ، فقلت : قد خبت وخسرت ، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسول الله ﷺ فتهلكي ؟ لا تستكثري النبي ﷺ (أي : لا تطلبي منه الكثير) ولا تراجعيه في شيء ، ولا تهجريه ، وسليني ما بدا لك ، ولا يغرنَّك أن كانت جارتُك أوضأ منك (من الوضاءة والمراد أجمل) وأحَبَّ إلى النبي ﷺ - يريد عائشة - قال عمر : وكنا قد تحدّثنا أن غسان تُنْعل الخيل لتغزونا ، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته ، فرجع إلينا عشاءً ، فضرب بابي ضربًا شديدًا ، وقال : أثم هو ؟ (أي : في البيت) ففزعت فخرجت إليه ، فقال : قد حدثِ اليوم أمر عظيم ، قلت : ما هو ؟ أجاء غسان ؟ قال : لا ، بل أعظم من ذلك وأهول ، طلق النبي ﷺ نساءه - أو قال : اعتزل النبي ﷺ أزواجه - فقلت : خابت حفصة ، وخسرت ، وقد كنت أظنّ هذا يوشك أن يكون ، فجمعت عليّ ثيابي ، فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ ، فدخل النبي ﷺ مشربةً له فاعتزل فيها ، ودخلْت على حفصة فإذا هي تبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟!! ألم أكن حذرتك هذا ؟!! أطلقكن النبي ﷺ ؟ قالت : لا أدري ، ها هو ذا معتزل في المشربة ، فخرجت فجئت المنبر فإذا حوله رهطٌ يبكي بعضهم ، فجلست معهم قليلًا ، ثم غلبني ما أجد ، فجئت المشربة التي فيها النبي ﷺ ، فقلت لغلام له أسود (اسمه رباح) : استأذن لعمر ، فدخل الغلام ، فكلم النبي ﷺ ، ثم رجع فقال :

كلمت النبي ﷺ وذكرتك له فصمت ، فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر .

ثم غلبني ما أجد ، فجئت فقلت للغلام : يا رباح ! استأذن لعمر ، فدخل ، ثم رجع فقال : قد ذكرتك له فصمت ، فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر ، ثم غلبني ما أجد فجئت الغلام فقلت : استأذن لعمر ، وفي رواية : ثم رفعت صوتي فقلت : يا رباح ! استأذن لي ، فإني أظن أن رسول الله ﷺ ظن أني جئت من أجل حفصة ، والله لئن أمرني بضرب عنقها لأضربن عنقها، فدخل الغلام ، ثم رجع إليّ فقال : قد ذكرتك له فصمت .

فلما وليت منصرفًا ـ قال : إذا الغلام يدعوني ـ فقال : قد أذن لك رسول الله ﷺ ، فدخلت على رسول الله ﷺ ، فإذا هو مضطجع على رمال حصير (حصير منسوج) ليس بينه وبينه فراش ، قد أثر الرِّمال بجنبه متكئًا على وسادة من أدَمٍ حَشْوُها ليف ، فسلمت عليه ، ثم قلت وأنا قائم : يا رسول الله ! أطلقت نساءك ؟ فرفع إليّ بصره فقال : ((لَا)) ، فقلت : الله أكبر . (وفي رواية أم سلمة عند ابن سعد : فكبر عمر تكبيرة سمعناها ونحن في بيوتنا ، فعلمنا أن عمر سأله أطلقت نساءك ؟ فقال : ((لَا)) فكبر ، حتى جاءنا الخبر بعد) .

قال عمر : ثم قلت ، وأنا قائم أستأنس : يا رسول الله لو رأيتني ، وكنا معشر قريش نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة إذا قومٌ تغلبهم نساؤهم ، فتبسم النبي ﷺ .

ثم قلت : يا رسول الله ! لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها : لا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك ، وأحبّ إلى النبي ﷺ ـ يريد عائشة ـ فتبسم النبي ﷺ تبسُّمةٌ أخرى ، فجلست حين رأيته تبسم ، فرفعت بصري في بيته ، فوالله ما رأيت في بيته شيئًا يردّ البصر غير أهبةٍ ثلاثةٍ (جمع إهاب ، وهو الجلد قبل الدباغ).

فقلت : يا رسول الله ! ادعُ الله فَلْيُوسع على أمَّتك ، فإن فارس والروم قد وُسِّعَ عليهم وأُعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله ، فجلس النبي ﷺ وكان متكئًا فقال : ((**أَوَفِي هَذَا أَنْتَ يَا ابْن الخَطَّابِ** ؟ (وعند مسلم قال : أوفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟) **إِنَّ أُولَئِكَ قَوْمٌ قَدْ عُجِّلُوا طَيِّبَاتُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا**)) فقلت : يا رسول الله ! استغفر لي[1].

(١) رواه البخاري رقم (٥١٩١) في : النكاح ، باب : موعظة الرجل ابنته لحال زوجها ، ومسلم رقم (١٤٧٨) في : الطلاق، باب : بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا . راجع : شرح الحديث في فتح الباري ، ففيه فوائد وجمل كثيرة من العلم .

هيبته رضي الله عنه

إن عمر ﷺ كان رجلًا مهيبًا ، له هيبته في القلوب ، وقد تقدم أن الشيطان يهابه ﷺ بشهادة معلمه ﷺ ، وإليك صورًا أخرى تظهر فيها شخصية هذا الرجل وهيبته في القلوب .

ففي مسند أبي يعلى الموصلي رحمه الله (٧/ ٤٤٩) بإسناد حسن : عن عائشة رضي الله عنها قالت : أتيت النبي ﷺ بخزيرةٍ قد طبختها له ، فقلت لسودة ، والنبي ﷺ بيني وبينها : كُلي . فأبت ، فقلت : لتأكلنَ أو لألَطّخَنَّ وجهك ، فَأَبَتْ ، فوضعت يدي في الخزِيرة فطليتُ وجهها ، فضحك النبي ﷺ فوضع بيده لها ، وقال لها : ((**الطَخِي وَجْهَهَا**)) فضحك النبي ﷺ لها ، فمر عمر ، فقال : يا عبد الله ، يا عبد الله ، فظن أنه سيدخل ، فقال : ((**قُومَا فَاغْسِلَا وُجُوهكُمَا**)) فقالت عائشة : فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول ﷺ .

وفي البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : مكثت سنةً أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية ، فما أستطيع أن أسأله هيبةً له ، حتى خرج حاجًّا فخرجت معه ، فلما رجعت ، وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له ، قال : فوقفت له حتى فَرَغَ ، ثم سرت معه فقلت له : يا أمير المؤمنين ! من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه ، فقال : تلك حفصةُ وعائشةُ ، قال : فقلت : والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنةٍ فما

أستطيع هيبةً لك ، قال : فلا تفعلْ ، ما ظننت أن عندي من علم فاسألني ، فإن كان لي علم خبَّرتك به ..»[1].

قال الذهبي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : لما ولي عمر قيل له : لقد كاد بعض الناس أن يحيد هذا الأمر عنك . قال : وما ذاك ؟ قال : يزعمون أنك فظٌّ غليظ .

قال : الحمد لله الذي ملأ قلبي لهم رُحْمًا ، وملأ قلوبهم لي رعبًا[2].

وفي الطبقات لابن سعد عن محمد بن زيد : اجتمع عليّ ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد ، وكان أجرأهم على عمر عبد الرحمن ابن عوف ، فقالوا : يا عبد الرحمن ! لو كلمت أمير المؤمنين للناس فإنه يأتي الرجل طالب الحاجة فتمنعه هَيْبَتُك أن يكلمك في حاجة حتى يرجع ، ولم يقض حاجته .

فدخل عليه فكلمه فقال : يا أمير المؤمنين ! لِنْ للناس ، فإنه يَقْدم القادم فتمنعه هيبتك أن يكلمك في حاجته حتى يرجع ولم يُكلمك .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٩١٣) في : التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ ، ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .

(٢) سيرة الخلفاء للذهبي (ص ٨٠) .

قال : يا عبد الرحمن أنشُدك الله ! أعليٌّ ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد أمروك بهذا ؟ قال : اللهم نعم . قال : يا عبد الرحمن ! والله لقد لِنْت للناس حتى خشيت في اللين ، ثم اشتددت عليهم حتى خشيت الله في الشدة ، فأين الخروج ؟ فقام عبد الرحمن يبكي يجرّ رداءه يقول بيده : أُفٍّ لهم بعدك ، أُفٍّ لهم بعدك ![1].

وفي الطبقات أيضًا عن عكرمة : أن حجّامًا كان يقُصّ عمر بن الخطاب ، وكان رجلًا مهيبًا ، فتَنَحنحَ عمر ، فأحدث الحجام ، فأمر له عمر بأربعين درهمًا[2].

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٢١٨) بسند رجاله ثقات .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ٢١٧) بسند حسن .

موقفه رضي الله عنه
عند وفاة النبي ﷺ

لما مات رسول الله ﷺ أظلمت المدينة .

يقول أنس : ما رأيت يومًا قط كان أحسن ولا أوضأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ ، وما رأيت يومًا كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ (١).

وكان وقع الخبر أليمًا على نفوس الصحابة طاشت فيه عقولهم ، فكان من موقف عمر ﷺ أن وقف صارخًا يقول : إن رجالًا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ توفي ، وإن رسول الله ﷺ ما مات ، لكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فغاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات ، والله ليرجعن رسول الله ﷺ فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ، يزعمون أنه مات .

وأقبل أبو بكر ﷺ على فرس من مسكنه بالسُّنح حتى نزل ، فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس ، حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ ، وهو مُغَشى بثوب حِبَرة ، فكشف عن وجهه ، ثم أكب عليه فقبله ، وبكى ، ثم قال : بأبي

---

(١) أخرجه أحمد في المسند رقم (١٣٣٣٦) ، والترمذي رقم (٣٦٢٢) ، وابن ماجة رقم (١٦٣١) ، وصححه ابن حبان (١٤/ ٦٦٣٤) .

أنت وأمي ، والله لا يجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة الأولى التي كُتبت عليك فقد مُتَّها .

ثم خرج أبو بكر وعمر يكلّم الناس، فقال : اجلس يا عمر ، فأبى عمر أن يجلس ، فأقبل الناس إليه ، وتركوا عمر ، فقال أبو بكر : أما بعد : من كان منكم يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت .

قال الله : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤]

قال ابن عباس : والله لكأن الناس لما يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها .

قال ابن المسيب : قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعُقِرت حتى ما تُقِلُّني رجلاي ، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها ، علمت أن النبي ﷺ قد مات(١).

تقول عائشة البليغة الفقيهة الرشيدة ، كلامًا نفيسًا يدل على بعد نظرها -

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٤٥٢ ، ٤٤٥٣، ٤٤٥٤) من حديث عائشة وابن عباس في المغازي ، باب : مرض النبي ﷺ ووفاته .

رضي الله عنها -: فما كان من خطبتهما (أبو بكر وعمر) من خطبة إلا نفع الله بها ، لقد خوَّف عمرُ الناس ، وإن فيهم لنفاقًا فردهم الله بذلك .

ثم لقد بَصَّر أبو بكر الهُدى ، وعَرَّفهُمُ الحق الذي عليهم ، وخرجوا به يتلون ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ - إلى - ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[1].

ثم لما كان من الغد خطب عمر الناس .

ففي البخاري عن أنس بن مالك أنه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر ، وذلك الغد من يوم توفي النبي ﷺ فتشهد ، وأبو بكر صامت لا يتكلم قال : كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا ، يريد بذلك أن يكون آخرهم ، فإن يك محمد ﷺ قد مات فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نورًا تهتدون به بما هدى الله محمدًا ﷺ ، وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين ، فإنه أولى الناس بأموركم ، فقوموا فبايعوه ، وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة ، وكانت بيعة الناس العامة على المنبر .

قال الزهري عن أنس بن مالك : سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ : اصعد المنبر ، فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة[2].

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٦٦٩ ، ٣٦٧٠) في: فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : قول النبي ﷺ : ((**لو كنت متخذًا خليلًا**)) .

(٢) أخرجه البخاري رقم (٧٢١٩) في : الأحكام ، باب : الاستخلاف .

تواضع الفاروق

لقد ضرب الفاروق عمر أروع الأمثال في تواضعه الذي كان فريدًا في دنيا الناس بعد وفاة صاحبيه .

فها هو عمر في مشهد يتلألأ سموا وروعة وجلالًا .

يرقى الفاروق عمر المنبر يومًا ... جمع الناس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! لقد رأيتني ومالي من أكال يأكُلُه الناس إلا أن لي خالات من بني مخزوم ، فكنت أستعذب لهن الماء فَيُقَبِّضْنَ لي القبضات من الزبيب .

قال : ثم نزل عن المنبر .

فقال عبد الرحمن بن عوف : ما أردت إلى هذا يا أمير المؤمنين ؟!

فقال : ويحك يا ابن عوف ! إني خلوت ، فحدثتني نفسي ، قالت : أنت أمير المؤمنين ، فمن ذا أفضل منك ؟! فأردت أن أعرفها نفسها[1].

وعن أنس بن مالك قال : سمعت عمر بن الخطاب يومًا ، وخرجت معه حتى دخل حائطًا ، فسمعته يقول : (وبيني وبينه جدار وهو في جوف الحائط) :

عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ ، والله ، بُنيّ الخطاب ، لتتقين الله أو

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٢٢) وإسناده صحيح ، وأخرجه مالك في « الموطأ » ، وأبو داود في « الزهد ».

ليعذّبنّك !!»[1].

الله أكبر .. يا خالق عمر سبحانك ..

وعن سعيد بن المسيب قال : حج عمر ، فلما كان بضجان قال : لا إله إلا الله العظيم العليّ ، المعطي ما شاء من شاء ! كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادي في مِدْرعة صوف ، وكان فظًّا يتعبني إذا عملت ، ويضربني إذا قصرت ، وقد أمسيت ، وليس بيني وبين الله أحد ، ثم تمثل :

لاَ شَيءَ مِمَّـا تَـرَى تَبْقَى بَشَـاشَتُهُ ... يَبْقَى الإلَـهُ وَيُودى المَـالُ وَالْوَلَـدُ

لَا تُغْـنِ عَنْ هُـرْمُزٍ يَوْمًـا خَـزَائِنُهُ ... وَالخُلْد قَدْ حَاوَلَتْ عَادٌ فَما خلِدُوا

وَسُلَيْمَانُ إِذْ تَجْـــرِي الرِّيَـاحُ لَــهُ ... وِالإِنْسُ وَالجِـنُّ فَـيَما بَيْنَهَـا تَـرِدُ

أَيْنَ المُلُـوكُ الَّتِي كَـانَتْ نَوَافِلُهَـا ... مِنْ كُـلِّ أَوْب إِلَيْهَـا رَاكِبٌ يَفِـدُ

حَوْضًا هُنَالِكَ مَوْرُودًا بِلَا كَـذِبٍ ... لاَ بُـدَّ مِنْ وِرْدِهِ يَوْمًـا كَـمَا وَردُوا

وقال قتادة : خرج عمر بن الخطاب ﷺ من المسجد ومعه الجارود ، فإذا امرأة برزَة على الطريق ، فسلّم عليها ، فردّت عليه ، أو سلّمت عليه فردّ عليها .

فقالت : هيه يا عمر ، عهدتك ، وأنت تسمى عميرًا في سوق عكاظ ، تصارع الصبيان ، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ، ثم لم تذهب الأيام

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٩٢) في : الكلام ، باب : ما جاء في التقى . وقال محقق جامع الأصول : إسناده صحيح .

حتى سميت أمير المؤمنين ، فاتق الله في الرعية ، واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت . فبكى عمر ﷺ .

فقال الجارود : هيه ! لقد تجرأت على أمير المؤمنين وأبكيتيه .

فقال عمر : دعها ، أما تعرف هذه ؟ هي خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات ، فَعُمَر والله أحرى أن يسمع كلامها[1].

* وها هو الفاروق يدخل بيت المقدس فاتحًا ، راكبًا برذونًا ، فجعل يتبختر به ، فجعل يضربه بردائه ، ثم قال : قبح الله من علمك هذا ! هذا من الخيلاء ، ونزل عنه ، وقال : ما حملتموني إلا على شيطان ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي[2].

* قدم على عمر بن الخطاب وفد من العراق فيهم الأحنف بن قيس وفي يوم صائف شديد الحر ، وعمر معتجر (متعمِّم) بعباءة يهنأ بعيرًا من إبل الصدقة (أي : يطليه بالقطران) فقال : يا أحنف ، ضع ثيابك وهلمَّ ، فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فإنه من إبل الصدقة ، فيه حق اليتيم ، والأرملة ، والمسكين ، فقال رجل من القوم : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ، فهلا تأمر

---

(١) المصباح (٢/ ٣٧) ، وانظر « العقد الفريد » (٢/ ٣٥٨) نقلًا عن مختصر منهاج القاصدين ، بتحقيق على حسن عبد الحميد (ص ١٧٠ - ١٧١) .

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٤٥٠) ، وابن شبة في « تاريخ المدينة » (٣/ ٨٢٢ ، ٨٢٣) .

عبدًا من عبيد الصدقة فيكفيك ؟

فقال عمر : وأي عبد هو أعبد مني ، ومن الأحنف ؟ إنه من ولي أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيّده في النصيحة وأداء الأمانة"[1].

خرج عمر في سواد الليل ، فرآه طلحة ، فذهب عمر فدخل بيتًا ، ثم دخل بيتًا آخر ، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت ، فإذا بعجوز عمياء مقعدة ، فقال : ما بال هذا الرجل يأتيك ؟

قالت : إنه يتعاهدني من كذا وكذا ، يأتيني بما يصلحني ، ويخرج عني الأذى . فقال طلحة : ثكلتك أمك يا طلحة ! أعثرات عمر تتبع ؟!!"[2].

---

(١) أخبار عمر (٣٤٣) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٤٨) ، وإسناده صحيح .

زهد الفاروق

إننا إذا تكلمنا عن الزهد في حياة الفاروق فقد يطول بنا المقام ، فهو الزاهد الورع ، الذي علم الزهد للزاهدين .

قال طلحة بن عبيد الله : ما كان عمر بن الخطاب بأوّلنا إسلامًا ، ولا أقدمنا هجرة ، ولكنه كان أزهدنا في الدنيا ، وأرغبنا في الآخرة(١).

يَا رَافِعًا رَايَةَ الشُّورَىٰ وَحَارِسَهَا ... جَزَاكَ رَبُّكَ خَيْرًا عَنْ مُحِبِّيهَا
رَأْيُ الجَمَاعَةِ لَا تَشْقَى البِلَادُ بِهِ ... رَغْمَ الخِلَافِ وَرَأْيُ الفَرْدِ يُشْقِيهَا
إِنْ جَاعَ الخَلِيفَةُ فِي شِدَّةٍ قَوْمٍ شَرِكْتَهُم ... الجُوعَ أَوْ تَنْجَلِي عَنْهُمْ غَوَاشِيهَا
جُوعُ الخَلِيفَةِ وَالدُّنْيَا بِقَبْضَتِهِ ... مُنَزَّلَةً فِي الزُّهْدِ سُبْحَانَ مُولِيهَا
فَمَنْ يُبَارِي أَبَا حَفْصٍ وَسِيرَتَهُ ... أَوْ مَنْ يُحَاوِلُ لِلْفَارُوقِ تَشْبِيهَا
يَومَ اشْتَهَتْ زَوْجُهُ الحَلْوَىٰ فَقَالَ لَهَا ... مِنْ أَيْنَ لِي بِثَمَنِ الحَلْوَى فَأَشْرِيهَا
مَا زَادَ عَنْ قُوتِنَا فَالْمُسْلِمُونَ بِهِ ... أَوْلَى فَقُومِي لِبَيْتِ المَالِ رُدِّيهَا
كَذَاكَ أَخْلَاقُهُ كَانَتْ وَمَا ... عَهِدَتْ بَعْدَ النُّبُوَّةِ أَخْلَاقٌ تُحَاكِيهَا

وعن حميد بن هلال أن حفص بن أبي العاص كان يحضر طعام عمر ، فكان لا يأكل . فقال له عمر : ما يمنعك من طعامنا ؟

قال : إن طعامك جَشِبٌ غليظ ، وإني راجع إلى طعام لينٍ قد صنع لي فأصيب

---

(١) أخرجه ابن عساكر (٥٢/ ٢٢٤) في تاريخه ، وابن الأثير في « أسد الغابة » (٤/ ١٤٧) بسند حسن .

منه . قال : أتراني أعجزُ أن آمُرَ بشاةٍ فيُلْقى عنها شعرها ، وآمر بدقيق فَيُنْخَلَ في خرقة ثم يُصَبّ في خرقة ، ثم آمر به فيُخبز خبزًا رقاقًا ، وآمر بصاع من زبيب فيُقذف في سُعن ، ثم يصبّ عليه من الماء فيصبح كأنه دَمُ غزال ؟ فقال : إني لأراك عالمًا بطيب العيش !.

فقال : أجل ! والذي نفسي بيده لولا أن تنتقص حسناتي لشاركتكم في لين عيشكم[1].

والله الذي لا إله غيره لا نملك أمام هذا الموقف من إمام الزهد إلا أن نقول : يا خالق عمر سبحانك ..

وعن معاوية ﷺ : أما أبو بكر فلم يُرد الدنيا ، ولم تُرده ، وأمّا عمر فأرادته الدنيا ، ولم يردها ، أما نحن فتمرغنا فيها ظهرًا لبطن[2] .

* وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال : قالت حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنها - لعمر : يا أمير المؤمنين لو لبست ثوبًا هو ألين من ثوبك هذا ، وأكلت طعامًا هو ألين وأطيب من طعامك ، فقد وسع الله من الرزق ، وأكثر من الخير فقال : إني سأخاصمك إلى نفسك ، أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقى من العيش ؟ فما زال يذكرها حتى أبكاها فقال لها :

---

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٢١٢) بسند رجاله ثقات .

(٢) سير الخلفاء للذهبي (ص ٨١) .

أما والله لئن قلت ذاك لمكاني ، والله إن استطعت لأشاركنهما في مثل عيشهما الشديد لعلي أدرك معهما عيشهما الرخيّ[١] .

وعن الربيع بن زياد الحارثي : أنه وفد على عمر رضوان الله عليه فأعجبه هيئته ، فشكى عمر وجعًا به من طعام أكله فقال ـ أي : الربيع ـ : يا أمير المؤمنين ! إن أحقّ الناس بطعام طيب ، وملبس لين ، ومركب وطيء لأنت ، وكان عمر متكئًا وبيده جريدة ، فاستوى جالسًا فضرب بها رأس الربيع بن زياد ، وقال : والله ما أردت بهذا إلا مقاربتي ، وإن كنتُ لأحسب فيك خيرًا ! ألا أخبرك بمثلي ومثل هؤلاء ، إنما مثلنا كمثل قوم سافروا فدفعوا بنفقتهم إلى رجل منهم فقالوا له : أنفق علينا ، فهل له أن يستأثر عليهم بشيء ؟ قال : لا[٢].

قال الذهبي وقال المبارك عن الحسن : دخل عمر على ابنه عاصم ، وهو يأكل لحمًا ، فقال : ما هذا ؟ قال : قرمنا إليه . قال : أوكُلَّما قَرِمْت إلى شيء أكلته ! كفى بالمرء سَرفًا أن يأكل كل ما يشتهي[٣].

وعن خلف بن حوشب أن عمر رضوان الله عليه قال : نظرت في هذا الأمر ، فجعلت إن أردت الدنيا أضر بالآخرة ، وإن أردت الآخرة أضر بالدنيا ، فإذا

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٥٧٤) ، وأحمد في الزهد (١٥٥) ، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٤٨) ، والخبر في الطبقات لابن سعد (٣/ ٢١٠) ، ورجاله ثقات .

(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٢١٢) ورجاله ثقات .

(٣) سير الخلفاء للذهبي (ص٨٢) .

كان الأمر هكذا فأخبر بالفانية[١].

وعن أبي سنان الدؤلي : أنه دخل على عمر بن الخطاب ، وعنده نفر من المهاجرين الأولين ، فأرسل عمر إلى سفطٍ أتى به من قلعة من العراق ، فكان فيه خاتم ، فأخذه بعض بنيه فأدخله في فيه ، فانتزعه عمر منه ، ثم بكى عمر ، فقال له من عنده : لم تبكي وقد فتح الله لك وأظهرك على عدوك وأقرّ عينك ؟

فقال عمر : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**لَا تُفْتَحُ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَلْقَىٰ اللهُ ﷻ بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**)) وأنا أشفق من ذلك[٢].

وفي مسند الإمام أحمد عن عاصم الأحول عن أبي عثمان قال : جاءنا كتاب عمر ، ونحن بأذربيجان ، يا عتبة بن فَرْقَد ، إياكم والتنعم وزي أهل الشرك ، ولبوس الحرير ، فإن رسول الله ﷺ نهانا عن لبوس الحرير[٣].

وعن جابر بن عبد الله قال : رأى عمر بن الخطاب ﷺ في يدي لحمًا معلقًا .

قال : ما هذا يا جابر ؟! قلت : اشتهيت لحمًا فاشتريته .

فقال عمر : كلما اشتهيت اشتريت ! أما تخاف هذه الآية : ﴿ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا** ﴾[٤].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٥٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند رقم (٩٤) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند رقم (٩٢) ، وقال الشيخ : أحمد شاكر ، إسناده صحيح .

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ ، والإمام أحمد في الزهد (١٥٣) ، والبيهقي في الشعب (٥٢٨٤).

عن أنس ﷺ : تقرقر بطن عمر عام الرمادة ، فكان يأكل الزيت ، وكان قد حرم على نفسه السمن ، قال : فنقر عمر بطنه بإصبعه ، وقال : تقرقر ، إنه ليس عندنا غيره حتى يحيا الناس[1].

عن زيد بن أسلم عن أبيه ، قال عمر : لقد خطر على قلبي شهوة السّمك الطري.

قال : ورحَّل يرفأ (غلام عمر) راحلته ، وسار أربعًا مقبلًا ومدبرًا ، واشترى مَكْتلًا فجاء به ، وعمد إلى راحلته فغسلها ، فأتى عمر فقال : انطَلِقْ حتى أنظر إلى الراحلة ، فنظر ، وقال : نسيت أن تغسل هذا العَرَق الذي تحت أذنها ، عذبت بهيمةً في شهوةِ عمر ، لا والله لا يَذُوق عمر مِكْتلك[2].

يا خالق عمر سبحانك ...

وقال الذهبي عن أنس : رأيت بين كتفي عمر أربع رقاع في قميصه[3].

قال ابن الجوزي في مناقب عمر : قال عبد العزيز بن أبي جميلة : أبطأ عمر ابن الخطاب رضوان الله عليه جمعة بالصلاة ، فلما خرج صعد المنبر ، واعتذر إلى الناس فقال : إنما حبسني قميصي هذا لم يكن لي قميص غيره كان يخاط ، أبيض ، لا يجاوز كمه رسغ كفيه[4].

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص ١٥٠) .

(٢) سير الخلفاء للذهبي (ص٨٢) ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده .

(٣) سير الخلفاء للذهبي (ص٨٢) .

(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٥١) ، وإسناده صحيح .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : دخل عليه عمر وهو على مائدته ، فأوسع له عن صدر المجلس ، فقال : بسم الله ، ثم ضرب بيده فلقم لقمةً ، ثم ثنى بأخرى . ثم قال : إني لأجد طعم دسم : ما هو بدسم اللحم .

فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين ! إني خرجت إلى السوق أطلب السمين لأشتريه ، فوجدته غاليًا ، فاشتريت بدرهم من المهزول ، وحملت عليه بدرهم سمنًا ، فأردت أن يتردد عيالي عظمًا عظمًا .

فقال عمر : ما اجتمعا عند رسول الله ﷺ قط ، إلا أكل أحدهما ، وتصدق بالآخر.

قال عبد الله : خذ يا أمير المؤمنين ! فلن يجتمعا عندي إلا فعلت ذلك .

قال : ما كنت لأفعل[1].

ورع الفاروق
وخوفه من الله

إن أمثلة الورع في حياة عمر لتمتلأ بها كتب السير .. فهو الناسك الورع .. فأنت إذا أردت أن ترى الفاروق ، كعصفور مبلل بماء المطر ، فما عليك ! إلا أن تقترب منه لتذكره بالله وتقول له : ماذا ستقول لربك غدًا يا عمر ؟!!

فهذا هو المسور بن مخرمة يقول : كنا نلزم عمر بن الخطاب نتعلّم منه الورع[2].

---

(١) رواه ابن ماجة رقم (٣٣٦١) في : الأطعمة ، باب : الجمع بين السمن واللحم . وضعفه شيخنا الألباني في ضعيف سنن ابن ماجة (٧٣٥) .

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (٩٣) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح . والخبر في =

قال الذهبي في السير : وقال إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف : أُتِي عمر بكنوز كِسْرَى فقال عبد الله بن الأرقم : أتجعلها في بيت المال حتى تقسمها ؟ فقال عمر : لا والله لا آويها إلى سقفٍ حتى أُمضيها ، فوضعها في وسط المسجد ، وباتوا يحرسونها ، فلمّا أصبح كشف عنها فرأى من الحمراء والبيضاء ما يكاد يتلألأ ، فبكى ، فقال له أبي : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟! فوالله إن هذا ليوم شُكر ، ويوم سرور ! فقال : ويحك ! إن هذا لم يُعْطَهُ قوم إلا أُلقيت بينهم العداوة والبغضاء[1].

وقال ابن الجوزي في مناقب عمر : عن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال : بعث سعد بن أبي وقاص رحمه الله أيام القادسية إلى عمر رضوان الله عليه بقباء كسرى ، وسيفه ، ومنطقته ، وسراويله ، وقميصه ، وتاجه ، وخفيّه ، قال : فنظر عمر رضوان الله عليه في وجوه القوم ، فكان أجسمهم وأمدهم قامة سراقة بن جعشم المدلجي فقال : يا سراق ، قم فالبس ، قال : فطمعت ، فقمت فلبست ، فقال : أدبر . فأدبرت . ثم قال : أقبل . فأقبلت . ثم قال : بخ بخ ، أعرابي من بني مدلج عليه قباء كسرى ، وسراويله ، وتاجه ، وخُفَّاه ، رُبَّ يوم يا سراق بن مالك ولو كان عليك فيه من متاع كسرى وآل كسرى كان شرفًا لك ، ولقومك ، انزع . فنزعت ، فقال : اللهم إنك منعت هذا

= الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٢٠) .

(١) سير الخلفاء للذهبي (ص٨٥) .

رسولك ونبيك ، وكان أحب إليك مني ، وأكرم عليك مني ، ثم أعطيتنيه ، فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بي ، ثم بكى حتى رحمه من كان عنده ، ثم قال لعبد الرحمن : أقسمت عليك لما بعته ، ثم قسمته قبل أن يمسي .

* **ويقول ابن عباس رضي الله عنهما** : دعاني عمر بن الخطاب فأتيته ، فإذا بين يديه نطع عليه الذهب منثور حثًّا ، قال : هلم فاقسم هذا بين قومك ، فالله أعلم حيث زوى هذا عن نبيه عليه السلام وعن أبي بكر وأعطيته لخير أعطيته أو لشرّ ؟

قال ابن عباس : فأكببت عليه أقسم ، وأزيّل (أي أفرّق) فسمعت البكاء ، فإذا صوت عمر يبكي ويقول في بكائه : والذي نفسي بيده ! ما حبسه عن نبيه ﷺ وعن أبي بكر إرادة الشر لهما ، وأعطاه عمر إرادة الخير له[1].

الله أكبر .. أي طراز من البشر كان هذا الرجل ؟!!

* **قال ابن الأثير** : بينا عثمان بن عفان في مال له بالعالية في يوم صائف إذا رأى رجلًا يسوق بَكْرَين ، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر ، فقال : ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ، ثم يروح .

ثم دنا الرجل ، فقال لمولاه : انظر من هذا ؟

فنظر ، فقال : أرى رجلًا مُعْتَمًّا بردائه يسوق بكرين .

ثم دنا الرجل ، فقال : انظر . فنظر ، فإذا عمر بن الخطاب !!

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٣٠) ، وإسناده صحيح .

فقال : هذا أمير المؤمنين .

فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب فإذا نَفْح السموم ، فأعاد رأسه حتى حاذاه ، فقال : ما أخرجك هذه الساعة ؟!!

فقال عمر : بكران من إبل الصدقة تخلّفا ، وقد مُضِي بإبل الصدقة ، فأردت أن ألحقهما بالحِمى وخشيت أن يضيعا، فيسألني الله عنهما .

فقال عثمان : يا أمير المؤمنين ، هَلُمّ إلى الماء والظل ، ونكفيك .

فقال : عد إلى ظلك يا عثمان !

فقال عثمان : من أحب أن ينظر إلى القوي الأمين فلينظر إلى هذا ، فعاد إلينا فألقى نفسه[1].

يا خالق عمر .. سبحانك

※ قال ابن الجوزي في مناقب عمر : وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ قال : رأيت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه على قتب يعدو ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! أين تذهب ؟

فقال : بعير نَدَّ (أي : فرّ وهرب) من إبل الصدق أطلبه .

فقلت : لقد أذللت الخلفاء من بعدك .

فقال : يا أبا الحسن لا تلمني ، فوالذي بعث محمدًا بالنبوة لو أن عناقًا ذهبت بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة .

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير (٤/ ١٦٠) بسند صحيح ، والكامل لابن الأثير (٢/ ٤٥١) .

* وعن الحسن قال عمر بن الخطاب : لو مات جمل من عملي ضياعًا ، خشيت أن يسألني الله عنه(١).

وهذا مثل آخر نقدمه للعالمين قاطبة ، وإلى الحكام خاصة .

قدم معاوية بن خُديج على عمر ﷺ من مصر ، وبشَّره بفتح الاسكندرية ، فقال له عمر : ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد ؟

قال : قلت أمير المؤمنين قائل (من القيلولة ، أي : نائم نومة الظهر) .

فقال : بئس ما ظننت . لئن نمت النهار لأضيعن الرعية ، ولئن نمت بالليل لأضيعن نفسي ، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية ؟!.

قالوا : وكان نومه خفقات في ساعات متفرقة من ليل أو نهار(٢).

* عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال : كان عمر إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء تقدَّم إلى أهله فقال : لا أعْلَمَنَّ أحدًا ، وقع في شيء مما نهيتُ الناس عنه إلا أضعفت له العقوبة .

بل انظر إلى هذا الخبر العجيب ... وقل لي بربك هل في لغة البشر ، وقواميس الدنيا .. بل هل في حياة وسيرة أحد من هذه الأمة ـ بعد نبيها وصديقها ـ نظيرًا لهذا الموقف ؟!!

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : اشتريت إبلًا وسقتها إلى الحمى ،

---

(١) المطالب العالية (٤٣٠٨) ، وإسناده صحيح .

(٢) أخبار عمر (ص٢٩٠) .

فلما سمنت قدمت بها ، فدخل عمر السوق ، فرأى إبلًا سمانًا ، فقال : لمن هذه ؟

فقيل : لعبد الله بن عمر ، فجعل يقول : يا عبد الله ! بخ ، بخ .. ابن أمير المؤمنين ! فجئته أسعى ، فقلت : ما لك يا أمير المؤمنين ؟

قال : ما هذه الإبل ؟

قلت : إبل أنضاء (هزيلة) اشتريتها ، وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون .

فقال : ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين ! اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين !

يا عبد الله بن عمر ! خذ رأس مالك ، واجعل الربح في بيت مال المسلمين[1].

ويقول عاصم بن عمر : لما زوجني عمر ـ رضي الله عنه ـ أنفق عليّ من مال الله شهرًا ، ثم أرسل إليّ يرفأ (مولاه) فأتيته وهو في مُصَلاه عند الفجر ، أو عند الظهر ، فقال : يا يرفأ ! احبس عنه ، ثم دعاني ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد : يا بني ! فوالله ما كنت أرى هذا المال يحلّ لي قبل أن أليه إلا بحقه ، وما كان أحرم عليّ منذ إذ وليته فعد أمانتي ، وقد أنفقت عليك شهرًا من مال الله ، ولست بزائدك ولكني معينك بثمن مالي بالعالية فأجذذه فبعه ، ثم قُم إلى جانب رجل من تجار قومك ، فإذا ابتاع فاستشركه ، ثم استنفق ، وأنفق على أهلك . قال عاصم : فذهبت ففعلت[2].

---

(١) أخبار عمر (ص٢٩٢) .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢١٠) بسند صحيح ، وأحمد في الزهد (١٤٤، ١٤٥) .

* **عن قتادة قال** : كان معيقيب على بيت مال عمر ، فكسح بيت المال يومًا فوجد فيه درهمًا ، فدفعه إلى ابن عمر ، قال معيقيب : ثم انصرفت إلى بيتي ، فإذا رسول عمر قد جاء يدعوني ، فجئت ، فإذا بالدرهم في يده ، فقال : ويحك يا معيقيب ! أوجدت عليّ في نفسك سببًا ؟ أو مالي ومالك ؟ فقلت : وما ذاك ؟

قال : أردت أن تخاصمني أمة محمد ﷺ في هذا الدرهم يوم القيامة(١).

الله أكبر .. والله لا أجد ما أعقب به على هذا إلا أن أقول : يا خالق عمر .. سبحانك ..

* **وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عبد الله بن أرقم قال لعمر** : إن عندنا جلبة من جلبة جلولاء ، وآنية من فضة ، فانظر ماذا تأمرنا فيها ، فقال : إذا رأيتني فارغًا فأذني ، فجاءه يومًا فقال : يا أمير المؤمنين ! إني أراك اليوم فارغًا .

قال : ابسط لي نطعًا . فبسط . ثم أتى بذاك المال فصب عليه ، فأتى فوقف ، فقال : اللهم إنك ذكرت هذا المال ، فقلت : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾ [آل عمران : ١٤]

وقلت : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد : ٢٣]

اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا ، اللهم إني أسألك أن تضعه

---

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي .

في حقه ، وأعوذ بك من شره ، قال : فأتى بابن له يقال له عبد الرحمن ، فقال : يا أبتاه ! هب لي خاتمًا فقال : اذهب إلى أمك تسقيك سويقًا . فما أعطاه شيئًا[1].

وفي صحيح البخاري : عن ثعلبة بن أبي مالك : قسم عمر مروطًا بين نساء أهل المدينة ، فبقي منها مرط جيد ، فقال له بعض من حضر : يا أمير المؤمنين ! أعط هذا ابنة رسول الله ﷺ التي عندك ، يريدون أم كلثوم بنت علي ابن أبي طالب ﷺ فقال عمر : أم سَليطٍ أحق به ، فإنها ممن بايع رسول الله ﷺ ، وكانت تزفر للناس القرب يوم أحد[2]. قال أبو عبد الله : تزفر تخيط .

وفي الطبقات لابن سعد : نظر عمر بن الخطاب عام الرمادة إلى بطيخة في يد بعض ولده فقال : بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين ، تأكل الفاكهة ، وأمة محمد هَزْلى ؟ فخرج الصبي هاربًا ، وبكى ، فأسكت عمر بعدما سأل عن ذلك فقالوا : اشتراها بكفٍّ من نوى[3].

وعن محمد بن سيرين عن الأحنف قال : كنا جلوسًا بباب عمر ، فمرت جاريةٌ فقالوا : سرية أمير المؤمنين . فقالت : ما هي لأمير المؤمنين بسرية ، وما تحل له ، إنها من مال الله ، فقلت : فماذا يحل له من مال الله ؟ فما هو إلا قَدْرُ أن بلغت وجاء الرسول فدعانا فأتيناه ، فقال : ماذا قلتم ؟ قلنا : لم نقل

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (١٤٣، ١٤٤) ، والبيهقي في سننه (٦/ ٣٥٢) .

(٢) رواه البخاري رقم (٢٨٨١) في : الجهاد والسير ، باب : حمل النساء القرب إلى الناس في الغزو .

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٤٠) بسند فيه الواقدي وابن الجوزي في المنتظم (٤/ ١٤٠).

بأسًا ، مرّت جارية فقلنا هذه سرية أمير المؤمنين ، فقالت : ما هي لأمير المؤمنين بسرية ، وما تحل له إنها من مال الله . فقلنا : فماذا يحل له من مال الله ؟

فقال : أنا أخبركم بما اسْتَحِلّ منه ، يحلّ لي حُلتان ، حلّة في الشتاء ، وحلّة في القيظ ، وما أُحُجّ عليه وأعتمرُ من الظَّهر ، وقوتي وقوتُ أهلي كقوت رجل من قريش ليس بأغناهم ، ولا بأفقرهم ، ثم أنا بعد رجلٌ من المسلمين يصيبني ما أصابهم[١].

* وعن البراء بن معرور أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج يومًا حتى أتى المنبر ـ وقد كان اشتكى شكوى له ـ فَنُعِتَ له العسل ، وفي بيت المال عُكة ، فقال : إن أذنتم لي فيها أخذتها ، وإلا فهي عليّ حرام[٢]. ومع عمله هذا ﷺ كان كثيرًا ما يقول : وددت أني خرجت من هذه الدنيا كفافًا لا لي ولا عليّ[٣].

ففي البخاري عن أبي بُرْدَةَ بن أبي موسى الأشعري قال : قال لي عبد الله ابن عمر : هل تدري ما قال أبي لأبيك ؟ قال : قلت : لا ، قال : فإن أبي قال لأبيك : يا أبا موسى هل يَسُرُّك إسلامُنا مع رسول الله ﷺ وهجرتُنا معه ، وجهادُنا معه ، وعملنا كلُّه معه ، بَرَدَ لنا ، وأن كل عمل عملناه بعده نجونا منه كفافًا رأسًا برأسٍ ؟

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٠٨، ٢٠٩) بسند صحيح.

(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٠٩) ، وتاريخ الطبري (٢/ ٥٦٩) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢١٨) ، ورجاله ثقات .

فقال أبي (أبو موسى) : لا والله ، قد جاهدنا بعد رسول الله ﷺ ، وصلينا ، وصُمْنا ، وعملنا خيرًا كثيرًا ، وأسلم على أيدينا بشرٌ كثير ، وإنا لنرجو ذلك .

فقال أبي (أي عمر) : لكنِّي أنا والذي نفس عمر بيده لوددت أن ذلك بَرَدَ لنا ، وأن كل شيء عملناه بعدُ نجونا منه كفافًا رأسًا برأسٍ . فقلت : إن أباك والله خيرٌ من أبي[1].

* قال عبد الله بن عامر بن ربيعة : رأيت عمر أخذ تبنةً من الأرض فقال : يا ليتني هذه التِّبْنَةُ ، ليتني لم أكُ شيئًا ، ليت أمي لم تلدني[2].

* وعن ابن عمر قال : شهدت جلولاء فابتعت من المغنم بأربعين ألفًا ، فلمّا قدمت على عمر قال : أرأيت لو عُرِضْتُ على النار فقيل لك : افتده ، أَكُنْتُ مُفْتَدِيَّ به ؟

قلت : والله ما من شيء يؤذيك إلا كنت مُفتديك منه .

قال : كأني شاهد الناس حين تبايعوا فقالوا : عبد الله بن عمر صاحب رسول الله ﷺ ، وابن أمير المؤمنين ، وأحب الناس إليه ، وأنت كذلك ، فكان أن يرخصوا عليك أحبَّ إليهم من أن يَغلوا عليك ، وإني قاسمٌ ، مسؤول ، وأنا معطيك أكثر ما ربح تاجر من قريش ، لك ربح الدرهم درهم ، قال : ثم

(١) رواه البخاري رقم (٣٩١٥) في : مناقب الأنصار ، باب : هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

(٢) سير الخلفاء للذهبي (ص٨٣) ، وابن الجوزي في المنتظم (٤/ ١٤١) . بسند رجاله رجال الصحيح إلا عاصم بن عبد الله بن عاصم ضعفوه .

دعا التجار فابتاعوه منه بأربعمائة ألف درهم ، فدفع إلي ثمانين ألف ، وبعث بالباقي إلى سعد بن أبي وقاص ليقسمه(١).

* وكان عمر ربما يدني يده من النار . وقال : ابن الخطاب ، هل لك على هذا صبر(٢).

وكان يقول : لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من كرب الموت ، فكيف بي ولم أر النار(٣).

* وعن سالم بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه كان يدخل يده في دبر البعير ، ويقول : إني خائف أن أُسأل عما بك(٤).

وعن أبي سلمة قال : انتهيت إلى عمر وهو يضرب رجالًا ونساءً في الحرم على حوض يتوضؤون منه حتّى فرَّق بينهم ، ثم قال : يا فلان . قلت : لبيك .

قال : لا لبيك ، ولا سعديك ، ألم آمرك أن تتخذ حياضًا للرجال وحياضًا للنساء .

قال : ثم اندفع فلقيه عليّ ﷺ فقال : أخاف أن أكون قد هلكت ، قال : ما أهلكك ؟

قال : ضربت رجالًا ونساءً في حرم الله ﷻ.

---

(١) سير الخلفاء للذهبي (ص ٨٣- ٨٤) ، وإسناده صحيح .

(٢) أخبار عمر (ص ٣٠٧) نقلًا عن ابن الجوزي .

(٣) أخرجه أبو داود في الزهد (٧٩) ، بسند صحيح .

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢١٧) ، ورجاله ثقات ، وابن الجوزي في المنتظم .

قال : يا أمير المؤمنين ! أنت راع من الرعاة ، فإن كنت ضربتهم على غشّ فأنت الظالم المجرم[١].

وصحح الألباني : أن عمر زار أبا الدرداء رضي الله عنهما ، فقال له أبو الدرداء : أتذكر حديثًا حدثناه رسول الله ؟ قال : أي حديث ؟

قال : ((لِيَكُنْ بَلَاغُ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّاكِبِ)) قال : نعم .

قال : فماذا فعلنا بعده يا عمر ؟

قال : فما زالا يتجاوبان بالبكاء حتى أصبحا .

وعن قتادة : لما ورد عمر الشام ، صنع له طعام لم ير قبله مثله ، فلما أوتي به قال : هذا لنا ، فما لفقراء المسلمين الذين باتوا لا يشبعون من خبز الشعير ؟!

فقال خالد بن الوليد ﷺ : لهم الجنة . فاغرورقت عيناه . فقال : إن كان حظنا في هذا ويذهب أولئك بالجنة لقد بانوا بونًا بعيدًا[٢].

وعن مجاهد : أنفق عمر بن الخطاب في حجة حجها ثمانين درهمًا من المدينة إلى مكة ، ومن مكة إلى المدينة ، قال : ثم جعل يتأسف ، ويضرب بيده على الأخرى ، ويقول : ما أخلقنا أن نكون قد أسرفنا في مال الله تعالى[٣].

يا خالق عمر .. سبحانك .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٤٦) ، وذكره ابن الجوزي في مناقب أمير المؤمنين .

(٢) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي .

(٣) أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ١٦١) ، بسند صحيح .

علمه وفقهه رضي الله عنه

إن الفاروق عمر كان عالمًا فقيهًا .. بل كان من أعلم الصحابة في دين الله .. بل كان أعلم الأمة قاطبة ـ بعد نبيها وصاحبه ـ ولقد شهد النبي ﷺ لعمر بهذا .

فقد أخرج البخاري عن النبي ﷺ قال : ((بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ شَرِبْتُ - يَعْنِي اللَّبَنَ - وفي رواية : أَتَيْتُ بِقَدْحِ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ - حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الرِّيِّ يَجْرِي فِي ظُفُرِي - أَوْ فِي أَظْفَارِي - ثُمَّ نَاوَلْتُ عُمَرَ)) قَالُوا : فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : ((العِلْمَ))[1].

قال الحافظ في الفتح : ووجه التعبير بذلك من جهة اشتراك اللبن والعلم في كثرة النفع وكونهما سببًا للصلاح ، فاللبن للغذاء البدني ، والعلم للغذاء المعنوي . وفي الحديث فضيلة عمر .

قال : والمراد بالعلم هنا : العلم بسياسة الناس بكتاب الله ، وسنة رسول الله ﷺ ، واختص عمر بذلك لطول مدته ، بالنسبة إلى أبي بكر ، واتفاق الناس على طاعته بالنسبة إلى عثمان ، فإن مدة أبي بكر كانت قصيرة .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٨١) في : فضائل الصحابة ، باب : مناقب عمر بن الخطاب ، ومسلم رقم (٢٣٩٠) في : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عمر بن الخطاب ﷺ ، والترمذي رقم (٢٢٨٥) في : الرؤيا ، باب : رؤيا النبي ﷺ اللبن والقمص .

فلم يكثر فيها الفتوح التي هي أعظم الأسباب في الاختلاف ، ومع ذلك فساس عمر فيها ـ مع طول مدته ـ الناس بحيث لم يخالفه أحد ، ثم ازدادت اتساعًا في خلافة عثمان فانتشرت الأقوال ، واختلفت الآراء ، ولم يتفق له ما اتفق لعمر من طواعية الخلق له ، فنشأت من ثم الفتن ، إلى أن أفضى إلى قتله ، واستخلف عليّ فما ازداد الأمر إلا اختلافًا ، والفتن إلا انتشارًا . اهـ[1].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ : ما أظن أهل بيت من المسلمين لم يدخل عليهم حزن يوم أُصيب عمر إلا أهل بيت سوء، إن عمر كان أعلمنا بالله ، وأقرأنا لكتاب الله وأفقهنا في دين الله[2].

وقال أيضًا ﷺ : إذا ذكر الصالحون فَحَيّهلا بعمر ، إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله وأفقهنا في دين الله[3].

ويقول أيضًا ﷺ : لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان ، ووضع علم أحياء الأرض في كفةٍ لرجح علم عمر بعلمهم .

قال الأعمش : فأنكرت ذلك فأتيت إبراهيم النخعي فذكرته له ، فقال : وما أنكـرت من ذلك فوالله لقـد قال عبد الله أفضل من ذلك قال : إني لأحسب

(١) فتح الباري (٧/ ٥٦) العلمية .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٨٠) ، وابن عساكر ، والحاكم مختصرًا .

(٣) سير الخلفاء للذهبي (ص ٨١) .

تسعة أعشار العلم ذهب يوم مات عمر ﷺ"[1].

وعن قبيصة بن جابر قال : والله ما رأيت أحدًا أرأف برعيته ولا خيرًا من أبي بكر الصديق ، ولم أر أحدًا أقرأ لكتاب الله ولا أفقه في دين الله ، ولا أقوم بحدود الله ، ولا أهيب في صدور الرجال من عمر بن الخطاب ، ولا رأيت أحدًا أشد حياءً من عثمان بن عفان[2].

وقال حذيفة ﷺ : كأن علم الناس كلهم قد درس في علم عمر[3].

ولم لا وقد كان حريصًا - ﷺ - على طلب العلم ، وضرب المثل في الهمة العالية في ذلك ، فقد مرّ علينا ما جاء في البخاري قوله ﷺ : كنت أنا وجار لي من الأنصار من بني أمية بن زيد ، وهم من عوالي المدينة ، وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ فينزل يومًا ، وأنزل يومًا فإذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك[4].

وقال الذهبي : قال عبد الله بن عمر : تعلم عمر البقرة في اثني عشر سنة ،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٤٨٣) ، والحاكم (٣/ ٨٤) ، وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبي ، وهو كما قالا .

(٢) أسد الغابة (٤/ ١٤٧) ، بسند صحيح .

(٣) الاستيعاب (٣/ ٢٣٩) ، إسناده صحيح .

(٤) رواه البخاري رقم (٥١٩١) في : النكاح ، باب : موعظة الرجل ابنته حال زوجها ، ومسلم رقم (١٤٧٨) في : الطلاق ، باب : بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا .

فلما تعلمها نحر جزورًا[1].

وإليك شيء يسير من علمه وفقهه في الدين ﷺ.

جاء في البخاري من حديث طارق بن شهاب قال : جاء يهوديّ إلى عمر ابن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين ! آيةٌ تقرؤونها في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت ، ونعلم ذلك اليوم الذي نزلت فيه لاتخذناه عيدًا .

قال : أي آية ؟ قال : ، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣] ، فقال عمر بن الخطاب : إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه ، والمكان الذي نزلت فيه ، نزلت على رسول الله ﷺ بعرفة يوم جمعةٍ ، ونحن واقفون معه بعرفة[2].

* وفي مسند الإمام أحمد عن الحارث بن معاوية الكندي رحمه الله أنه ركب إلى عمر بن الخطاب يسأله عن ثلاث خلال ، قال : فقدم المدينة ، فسأله : ما أقدمك ؟

قال : لأسألك عن ثلاث . قال : وما هن ؟

قال : ربما كنت أنا والمرأة في بناء ضيق ، فتحضر الصلاة ، فإن صليت أنا ،

---

(١) السير للذهبي (ص ٨١) .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٤) في : الإيمان ، باب : زيادة الإيمان ونقصانه ، ومسلم رقم (٣٠١٧) في : التفسير .

وهي كانت بحذائي ، وإن صلّتْ خلفي خرجت من البناء ؟!

فقال عمر : تستر بينك وبينها بثوب ، ثم تصلي بحذائك إن شئت .

وعن الركعتين بعد العصر ؟ فقال : نهاني عنهما رسول الله ﷺ .

قال : وعن القصص ؟ فإنهم أرادوني على القصص ؟!

قال : ما شئت ، كأنه كره أن يمنعه .

قال : إنما أردت أن أنتهي إلى قولك ؟!

قال : أخشى عليك أن تقصّ فترتفع عليهم نفسك ، ثم تقصّ فترتفع حتى يخيّل إليك أنك فوقهم بمنزلة الثُّريَّا ، فيضعك الله ﷻ تحت أقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك[١].

وفي المسند أيضًا عن جابر بن عبد الله قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لطلحة بن عبيد الله : مالي أراك قد شعثت ، واغبَررتَ منذ توفي رسول الله ﷺ ، لعلك ساءك يا طلحة إمارة ابن عمك ؟

قال : معاذ الله ، إني لأحذرُكم أن لا أفعل ذلك ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا أَحَدٌ عِنْدَ حَضْرَةِ المَوْتِ إِلَّا وَجَدَ رُوحَهُ لَهَا رَوْحًا حِينَ تَخْرُجُ مِنْ جَسَدِهِ ، وَكَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ القِيَامَةِ**)) فلم أسأل رسول الله ﷺ عنها ، ولم يخبرني بها ، فذلك الذي دخلني ، قال عمر : فأنا أعلمها . قال :

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (١١١) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

فلله الحمد . فما هي ؟ قال : هي الكلمة التي قالها لعمه : لا إله إلا الله ، قال طلحة : صدقت[١].

وعن الحكم بن عتيبة قال : اختصم علي والزبير إلى عمر في موالي صفية فقال علي : عمتي ، وأنا أعقل عنها ، وأرثها .

وقال الزبير : أمي وأنا أرثها .

فقال عمر لعلي : ألم تعلم أن رسول الله ﷺ جعل الولاء (الولاية) تبعًا للميراث[٢].

* وفي البخاري عن حديث عبد الرحمن بن عبد القارئ أنه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب ﷺ ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاعٌ[٣] متفرقون يصلّي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجلُ ، فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى ، والناس يصلّون بصلاة قارئهم . قال عمر : نعم البدعة هذه . والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون - يريد آخر الليل - وكان الناس يقومون أوّله[٤].

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (١١٨) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٢) المطالب العالية للحافظ ابن حجر (١٦٤٩) ، إسناده صحيح .

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (١١٨) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٤) أخرجه البخاري رقم (٢٠١٠) في : صلاة التراويح ، باب : فضل من قام رمضان .

وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف : أن رجلًا رمى رجلًا بسهم فقتله ، وليس له وارث إلا خال ، فكتب في ذلك أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر ، فكتب أن النبي ﷺ قال : « **اللهُ وَرَسُولُهُ مَوْلَى مَنْ لَا مَوْلَى لَهُ ، وَالخَالُ وَارِثُ مَنْ لَا وَارِثَ لَهُ** »[1].

وقد رأى عمر بن الخطاب ﷺ جماعة يتبادرون مكانًا يصلون فيه ، فقال : ما هذا ؟

قالوا : مكانٌ صلى فيه رسول الله ﷺ .

فقال : أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد ؟! إنما هَلَكَ مَنْ كان قبلكم بهذا ، فمن أدركته فيه الصلاة فليصلِّ ، وإلا فليمض[2].

وعن ابن عباس قال : خطب عمر بن الخطاب ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، فذكر الرجم فقال : لا تُخْدعُنَّ عنه ، فإنه حدٌّ من حدود الله تعالى ، ألا إن رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا بعده ، ولولا أن يقول قائلون زاد عمر في كتاب الله ﷻ ما ليس منه لكتبته في ناحية من المصحف[3].

وقبل أن نختم حديثنا عن علم الفاروق وفقهه ، إليك هذه الوصية الغالية

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند رقم (٨٩) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : صحيح الإسناد .

(٢) قال الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد (١/ ٥٩) : أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ١٨٤) وسنده صحيح .

(٣) المسند رقم (١٥٦ ، ١٩٧ ، ٢٧٦) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

من هذا الرجل العبقري الفذ .

ففي صحيح البخاري[1] : قال عمر : تفقهوا قبل أن تسودوا[2].

وهذه وصية عظيمة جليلة تدل على عبقرية وفراسة قائلها .

يقول الحافظ في الفتح : أراد عمر ﷺ أن السيادة قد تكون سببًا للمنع من التفقه في الدين ؛ لأن الرئيس قد يمنعه الكبر والاحتشام أن يجلس مجلس المتعلمين ، ولهذا قال مالك عن عيب القضاء : أن القاضي إذا عزل لا يرجع إلى مجلسه الذي كان يتعلم فيه .

وقال الشافعي : إذا تصدر الحدث فاته علم كثير .

وقد فسره أبو عبيدة في كتابه « غريب الحديث » فقال : معناه : تفقهوا وأنتم صغار قبل أن تصيروا سادة فتمنعكم الأنفة عن الأخذ عمن هو دونكم فتبقوا جهالًا .

وقال ابن المنير : إن عمر جعل السيادة من ثمرات العلم ، وأوصى الطالب باغتنام الزيادة قبل بلوغ درجة السيادة ، وذلك يحقق استحقاق العلم بأن يغبط

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا في كتاب العلم ، باب : الاغتباط في العلم والحكمة ، وقال الحافظ : أخرجه ابن أبي شيبة ، وإسناده صحيح . الفتح (١/ ٢١٩) .

(٢) عقب البخاري على هذا الأثر فقال : وبعد أن تسودوا ، وقد تعلم أصحاب النبي ﷺ في كبر سنهم . قال الحافظ : وإنما عقب البخاري ليبين أن لا مفهوم له خشية أن يفهم أحد من ذلك أن السيادة مانعة من التفقه .

صاحبه ، فإنه سبب لسيادته[1].اهـ

* وعن حميد بن هلال قال : قال عمر بن الخطاب : لَموت ألف عابد قائم الليل ، وصائم بالنهار أهون من موت عاقل عقل عن الله أمره ، علم ما أحل الله له ، وما حرم عليه، فانتفع بعلمه وانتفع الناس به ، وإن كان لا يزيد على الفرائض التي فرض الله عليه كثير زيادة[2].

فراسته رضي الله عنه

إن الفاروق كان مشهورًا بفراسته ـ ﷺ ـ وها هي بعض النماذج التي تبين بجلاء هذه الفراسة الفذّة :

* عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب قال لرجل : ما اسمك ؟ قال : جمرة . قال : ابن مَنْ ؟ قال : ابن شهاب . قال : ممن ؟ قال : من الحرقة . قال : ثم ممن ؟ قال : من بني ضرام . قال : أين مسكنك ؟ قال : الحَرَّة . قال : بأيّتها ؟ قال : بذات لظى . قال عمر : أدرك أهلك فقد احترقوا ، فكان كما قال عمر[3].

قال الذهبي في السير : حدثنا شرَحْبيل : أن الأسود العنسي تنبأ باليمن ،

(١) فتح الباري (١/ ٢٢٠) .

(٢) المطالب العالية رقم (٣٦٢٨) .

(٣) تاريخ الخلفاء (٩) . والإصابة (١/ ٢٦٢) . والطرق الحكمية (٢٩) نقلًا عن أخبار عمر (ص ٣٥٩) ، وقال ابن الأثير في جامع الأصول : أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٧٣) في : الاستئذان .

فبعث إلى أبي مسلم الخولاني ، فأتاه بنار عظيمة ، ثم إنه ألقى أبا مسلم فيها ، فلم تضره فقيل للأسود : إن لم تَنْفِ هذا عنك أفسد عليك من اتَّبَعَكَ ، فأمره بالرحيل ، فقدم المدينة ، فأناخ راحلته ، ودخل المسجد يصلي ، فبصر به عمر ﷺ (وكأنه وقع في قلبه أنه أبو مسلم) فقام إليه ، فقال : ممَّن الرجل ؟ قال: من اليمن ، قال : ما فعل الذي حَرقهُ الكذاب بالنار ؟ قال : ذاك عبد الله بن ثوب . قال : نشَدْتُكَ بالله ! أنت هو ؟ قال : اللهم نعم . فاعتنقه عمر . وبكى . ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين الصديق ، فقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ من صنع به كما صنع بإبراهيم الخليل[1].

كان عمر يحمل في العام الواحد على أربعين ألف بعير ، يحمل الرجل إلى الشام على بعير ، ويحمل الرجلين إلى العراق على بعير ، فجاءه رجل من أهل العراق ، قال : احملني وسُحَيمًا .

فقال عمر : أنشدك الله أسحيم زِقّ ؟ قال : نعم[2].

عن سعيد بن جبير : بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بعد ما ولاه المدائن ، وكَثُرَ المسلمات : إنه بلغني أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٧) ، تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٣٦) .

(٢) قال صاحب أخبار عمر (٣٥٨) : ابن سعد (١/ ٢١٨)، وقد أراد الرجل أن يوهمه أن معه رفيقًا ليأخذ الحمل وحده ، فتنبه بهذه الفراسة النادرة التي أوتيها ، والتي لا يبلغ العلم القدرة على تعليل أمثالها .

الكتاب ، فطلقها ، فكتب إليه : لا أفعل حتى تخبرني : أحلال أم حرام ، وما أردت بذلك ؟ فكتب إليه : لا ، بل حلال ، ولكن في نساء الأعاجم خلابة ، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم .

فقال : الآن ، فطلقها .

وعن عدي بن حاتم قال : أتيت عمر بن الخطاب في أناس من قومي . فجعل يفرض للرجل من طيئ في ألفين ، ويعرض عني ، قال : فاستقبلته ، فأعرض عني ، ثم أتيته من حيال وجهه فأعرض عني ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! أتعرفني ؟ قال : فضحك حتى استلقى لقفاه ، ثم قال : نعم ، والله إني لأعرفك ، آمنت إذ كفروا ، أقبلت إذ أدبروا ، ووفيت إذ غدروا ، وإن أول صدقة بيضت وجه رسول الله ﷺ ووجه أصحابه طيء جئت بها إلى رسول الله ﷺ ، ثم أخذ يعتذر ، ثم قال : إنما فرضت لقوم أجحفت بهم الفاقة ، وهم سادة عشائرهم لما ينوبهم من الحقوق[1].

قال خالد بن معدان : استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر الجمحي ، فلما قدم عمر حمص قال : يا أهل حمص ! كيف وجدتم عاملكم ؟ فشكوه إليه ، وكان يقال لأهل حمص الكوفية الصغرى لشكايتهم العمال . قالوا : نشكو أربعًا ، لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار ، قال : أعظم بها ، وماذا ؟

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٣١٦) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

قالوا : لا يجيب أحد بليل . قال : وعظيمة ، وماذا ؟

قالوا : وله يوم في الشهر ، لا يخرج فيه إلينا ، قال : عظيمة ، وماذا ؟

قالوا : يَغْنَط الغنطة بين الأيام (أي يغمى عليه ويغيب عن حسه).

فجمع عمر بينهم وبينه ، وقال : ((اللهم لا يفيّل رأيي فيه اليوم)) وافتتح المحاكمة ، فقال لهم أمامه : ما تشكون منه ؟

قالوا : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار .

قال : ما تقول ؟ قال : والله إن كنت لأكره ذكره : ليس لأهلي خادم فأعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ، ثم أخبز خبزي ، ثم أتوضأ ، ثم أخرج إليهم .

فقال : ما تشكون منه ؟

قالوا : لا يجيب أحد بليل .

قال : ما تقول ؟

قال : إن كنت لأكره ذكره ، إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله ﷻ

قال : ما تشكون ؟

قالوا : إن له يومًا في الشهر لا يخرج إلينا فيه .

قال : ما تقول ؟

قال : ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها ، فأحبس حتى تجفّ ثم أدلكها ، ثم أخرج إليهم من آخر النهار .

قال : ما تشكون منه ؟ قالوا : يغنط الغنطة بين الأيام .

قال : ما تقول ؟!!

قال : شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة ، وقد بضعت قريش لحمه ، ثم حملوه على جذعة ، فقالوا : أتحب أن محمدًا مكانك ؟

فقال : والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمدًا شيك بشوكة ؟.

فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم إلا ظننت أن الله ﷻ لا يغفر لي بذلك الذنب أبدًا فتصيبني تلك الغنطة .

فقال عمر : الحمد لله الذي لم يفيّل فراستي .

فبعث إليه عمر بألف دينار ، وقال : استعن بها على أمرك . ففرقها[1].

كراماته رضي الله عنه

إن كرامات الأولياء ـ وهم المؤمنون المتقون ـ أمر معروف مشاهد ، وهو ثابت بالكتاب والسنة ، ومن هؤلاء الأولياء ـ بل هو من أفضلهم ـ عمر بن الخطاب ، ومن هذه الكرامات ما رواه البيهقي وابن عساكر :

خرج عمر بن الخطاب يوم الجمعة فصعد المنبر فجعل ينادي : يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل ، ثلاثًا ، ثم قدم رسول الجيش ، فسأله عمر فقال : يا أمير المؤمنين ! هُزمنا ، فبينما نحن كذلك إذا سمعنا مناديًا : يا سارية الجبل ،

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٢٤٥) بسند حسن ، وابن عساكر (٦/ ١٤٧) .

ثلاثًا ، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله ، قال : فقيل لعمر : إنك كنت تصيح بذلك[1].

قال الألباني في الصحيحة : ومما لا شك فيه أن النداء المذكور ، إنما كان إلهامًا من الله تعالى لعمر ، وليس ذلك بغريب عنه ، إنه محدَّث كما ثبت عن النبي ﷺ ، ولكن ليس فيه أن عمر كشف له حال الجيش ، وإنه رآهم رأي العين ، فاستدلال بعض المتصوفة بذلك على ما يزعمونه من الكشف للأولياء وعلى إمكان اطلاعهم على ما في القلوب من أبطل الباطل .

ثم قال رحمه الله تعالى : فالقصة صحيحة ثابتة ، وهي كرامة أكرم الله بها عمر ، حيث أنقذ به جيش المسلمين من الأسر أو الفتك به ، ولكن ليس فيها ما زعمه المتصوفة من الاطلاع على الغيب ، وإنما هو من باب الإلهام (في عرف الشرع) أو (التخاطر) في عرف العصر الحاضر الذي ليس معصومًا ، فقد يصيب كما في هذه الحادثة ، وقد يخطئ كما هو الغالب على البشر .

ولقد أحسن من قال :

إذا رأيت شخصًا قد يطير وفوق ماء البحر هو يسير
ولم يقف على حدود الشرع فإنّه مستدرج وبدعي

---

(١) رواه البيهقي في : الدلائل ، وابن عساكر ، وذكره ابن كثير في البداية (٧/ ١٣١) ، وقال : وهذا إسناد جيد حسن ، ووافقه الألباني ، وقال : وهو كما قال . انظر : الصحيحة رقم (١١١٠) .

اتباعه للسنة رضي الله عنه

لقد كان الفاروق مثالًا فريدًا في اتباع السنة ، واقتفاء أثر حبيبه ومعلمه ﷺ ، وإن أروع الأمثلة لذلك ما جاء في البخاري :

* عن عابس بن ربيعة ، عن عمر رضي الله عنه : أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبَّله فقال : إني أعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبِّلُكَ ما قَبَّلْتُكَ[1].

إنه الاتباع في أجَلِّ صورِهِ ، وأسمى معانيه .

قال الحافظ في الفتح : قال الطبري : إنما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام ، فخشي أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار ، كما كانت العرب تفعل في الجاهلية فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل النبي ﷺ .

ثم قال الحافظ رحمه الله : وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين ، وحسن الاتباع ، فيما لم يكشف عن معانيها ، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه . اهـ[2].

وفي البخاري عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ

---

(١) رواه البخاري رقم (١٥٩٧) في : الحج ، باب : ما ذكر في الحجر الأسود .

(٢) فتح الباري (٣/ ٥٩٠، ٥٩١) .

أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ)) .

قال عمر : فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي ﷺ ذاكرًا ولا آثرًا[1].

قال الحافظ : لا عامدًا ولا مختارًا .

وعن عاتكة بنت زيد بن عمرو ، وهي زوجة عمر بن الخطاب ﷺ أجمعين أنها كانت تستأذن عمر بن الخطاب إلى المسجد فيسكت !! وكان عمر يقول لها : والله إنك لتعلمين أني ما أحب هذا ، وكان عمر رجلًا غيورًا .

فتقول : والله لأخرجن إلا أن تمنعني ، فلا يمنعها[2].

ولقد طعن عمر وإنها لفي المسجد .

وفي رواية : كانت تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد فقيل لها : لم تخرجين ، وقد تعلمين أنه يكره ذلك ويغار ؟ قالت : فما يمنعه أن ينهاني ؟!

قالوا : يمنعه قول رسول الله ﷺ : ((لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ))[3].

انظر .. على الرغم من أن غيرة عمر على أهله شديدة .. هذه الغيرة التي كانت لا تخفى على رسول الله ﷺ إذ يقول : ((بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ ، فَإِذَا

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٦٤٧) في : الأيمان والنذور ، باب : لا تحلفوا بآبائكم ، ومسلم رقم (١٦٤٦) في : الأيمان ، باب : النهي عن الحلف بغير الله ، والموطأ (٢/ ٤٨٠) في : الأيمان ، باب : جامع الأيمان ، وأبو داود رقم (٣٢٤٩) ، والترمذي (١٥٣٤) ، والنسائي (٧/ ٥) .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٩٨) في : القبلة ، باب : ما جاء في خروج النساء إلى المساجد .

(٣) رواه البخاري رقم (٩٠٠) في : الجمعة .

امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ ؟ قَالُوا : لِعُمَرَ ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتَ مُدْبِرًا))[1].

فعلى الرغم من هذه الغيرة الشديدة إلا أنه أبى أن يخالف أمر رسول الله ﷺ ، ولم لا ؟! فما كان لفاروق الأمة الأواب الذي تربّى على مائدة القرآن ، وتتلمذ على يد سيد الأنام ، أن يخالف أمر حبيبه وقدوته ، ومثله الأعلى ﷺ .

وعن أبي وائل قال : جلست إلى شيبة في هذا المسجد :

فقال : جلس إليّ عمر في مجلسك هذا ، فقال : هممت أن لا أدع فيها صفراء ، ولا بيضاء ، إلا قسمتُها بين المسلمين .

قلت : ما أنت بفاعل ؟

قال : لم ؟ قلت : لم يفعله صاحباك .

قال : هما المرآن يقتدى بهما[2] !! إنه الاتباع والاقتداء .

وفي مسند الإمام أحمد : عن حارثة بن مضرّب : أنه حجّ مع عمر بن الخطاب ، فأتاه أشراف أهل الشام ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ! إنا أصبنا من أموالنا رقيقًا ودوابًا ، فخذ من أموالنا صدقة تطهرنا بها ، وتكون لنا زكاة ،

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٨٠) في : فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : مناقب عمر بن الخطاب ﷺ .

(٢) الرياض النضرة (٢/ ٣٠) .

فقال : هذا شيء لم يفعله صاحباي قبلي ، ولكن انتظروا حتى أسأل المسلمين(١).

وفي البخاري عن السائب بن يزيد قال : كنت قائمًا في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال : اذهب فأتني بهذين ، فجئته بهما . قال : من أنتما ؟ أو من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف .

قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ ؟!

وهذه نصيحته ﷺ لعموم الأمة يقول : إياكم ، وأصحاب الرأي ، فإنهم أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي ، فضلوا وأضلوا(٢).

وعن سعيد بن المسيَّب : كسر بعير من المال (أي : من مال الصدقة) فنحره عمر ، فدعا عليه ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ .

فقال له العباس : لو صنعت هذا كل يوم ، تحدثنا عنك .

قال : لا أعود بمثلها ، إنه مضى لي صاحبان سلكا طريقًا ، فإني إن عملت بغير عملهما سلك بي غير طريقهما(٣).

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر يقول : لئن عشت إلى هـذا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند رقم (٨٢ ، ٢١٨) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٢) إعلام الموقعين (١/ ١٥٥) ، وقال ابن القيم معلقًا : وأسانيد هذا الأثر عن عمر في غاية الصحة .

(٣) المطالب العالية رقم (٤٣٠١) ، بسند حسن .

العام المقبل، لا يفتح للناس قرية إلا قسمتها بينهم كما قسم رسول الله ﷺ خيبر"(١).

وعن زيد بن أسلم عن أبيه أيضًا قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: فيما الرملان، والكشف عن المناكب، وقد أطأ الله الإسلام، ونفى الكفر وأهله؟ ومع ذلك لا ندع شيئًا كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ"(٢).

وانظر إلى هذا الخبر العجيب: عن زيد بن أسلم عن أبيه: أن عمر فرض لأسامة بن زيد في ثلاثة آلاف وخمسمائة، وفرض لعبد الله بن عمر في ثلاثة آلاف

قال عبد الله بن عمر لأبيه: لم فضلت أسامة عليّ؟ فوالله ما سبقني إلى مشهد.

قال عمر: لأن زيدًا كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وكان أسامة أحبّ إلى رسول الله ﷺ منك، فآثرت حبّ رسول الله ﷺ على حبي"(٣).

* * *

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٢١٣)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. ورواه البخاري أيضًا رقم (٤٢٣٥) في: المغازي، باب: غزوة خيبر.

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (٣١٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. ورواه أبو يعلى في مسنده (١/ ١٦٨).

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٨١٣) في: المناقب، باب: مناقب زيد بن حارثة، وقال: هذا الحديث حسن غريب. وضعفه سيخنا الألباني في المشكاة (٦١٦٤).

عمر وقاف عند كتاب الله ﷻ

إذا كان الفاروق يضرب لنا أروع الأمثلة في اتباع السنة والاقتداء برسول الله ﷺ فهو كذلك وقّافًا عند كتاب الله تعالى .

ففي البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس ، وكان من النَّفر الذين يُدْنيهم عمر ، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولًا كانوا أو شبابًا ، فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخي ! لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه ، قال : سأستأذن لك عليه .

قال ابن عباس : فاستأذن الحرُّ لعيينة فأذن له عمر ، فلما دخل عليه قال : هيه يا ابن الخطاب ، فوالله ما تُعطِينا الجزل ، ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتّى همّ به ، فقال له الحرّ : يا أمير المؤمنين ! إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ وإن هذا من الجاهلين ، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقّافًا عند كتاب الله[1].

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٦٤٢) في : التفسير ، باب : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ .

هَذِهِ هِيَ أُمْنِيَّتُه

أخرج الحاكم في المستدرك : عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال لأصحابه : تمنوا .

فقال بعضهم : أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبًا أنفقه في سبيل الله وأتصدق .

وقال رجل : أتمنى لو أنها مملوءة زبرجدًا وجوهرًا فأنفقه في سبيل الله ، وأتصدق .

ثم قال عمر : تمنوا .

فقالوا : ما ندري يا أمير المؤمنين .

فقال عمر : أتمنى لو أنها مملوءة رجالًا مثل أبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ ابن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وحذيفة بن اليمان(١).

عبادته وجوده رضي الله عنه

عن أسلم أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يصلي ما شاء الله حتى إذا كان من آخر الليل يعظ أهله يقول : الصلاة الصلاة ، ويتلو هذه الآية : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ الآية(٢).

---

(١) الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢٦) ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) رواه مالك (١/ ١١٩) في : الموطأ ، وعبد الرزاق (٣/ ٤٩) ، وأبو داود في الزهد، وإسناده صحيح ، وكذا رواه البيهقي في الشعب (٢٨٢٢) .

وعن أبي قتادة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر : ((**مَتَىٰ تُوتِرُ ؟**)) قال : أُوتر من أول الليل ، وقال لعمر : ((**مَتَىٰ تُوتِرُ ؟**)) قال : آخر الليل .

فقال لأبي بكر : ((**أَخَذَ هَذَا بِالحَذَرِ** ـ وفي رواية ـ **بِالحَزْمِ**)) ، وقال لعمر : ((**أَخَذَ هَذَا بِالقُوَّةِ**))[1] .

قال في عون المعبود : الحزم ضبط الرجل أمره ، والحذر من فواته و ((**بالقوة**)) أي : بالعمل القوي وبثبت العزيمة على قيام الليل .

وقد عرف واشتهر عن الفاروق الأواب اجتهاده في صيام التطوع .

قال زياد بن حُدير رحمه الله : رأيت عمر بن الخطاب أكثر الناس صيامًا ، وأكثرهم سواكًا[2] .

أما جوده ﷺ يقول أسلم مولى عمر : سألني ابن عمر عن بعض شأنه ؟ يعني عمر ، فأخبرته ، فقال : ما رأيت أحدًا قط بعد رسول الله ﷺ من حين قبض كان أجدَّ وأجود[3] حتى انتهى من عمر[4] .

---

(١) رواه مالك (١/ ١٢٤) في : الموطأ ، في : صلاة الليل ، باب : الأمر بالوتر ، وأبو داود رقم (١٤٣٤) في : الصلاة ، باب : في الوتر قبل النوم ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (١٢٧١) .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٢٠) ، بسند صحيح .

(٣) قال الحافظ في الفتح : أي : لم يكن أحد أجد منه في الأمور ، ولا أجود بالأموال ، وهو محمول على وقت مخصوص ، وهي مدة خلافته ليخرج النبي ﷺ وأبو بكر من ذلك .

(٤) رواه البخاري رقم (٣٦٨٧) في : فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : مناقب عمر بن الخطاب .

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ، ووافق ذلك عندي مالًا ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا ، قال : فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله ﷺ : ((**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟**)) قلت : مثله .

وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال : ((**يَا أَبَا بَكْرٍ ! مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟**)) فقال : أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت : لا أسبقه إلى شيء أبدًا[1].

وقول عمر : ((**لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ**)) أي : من الفضائل لأنه إذا لم يقدر على مغالبته حين كثرة ماله ، وقلة مال أبي بكر ، ففي غير هذا الحال أولى أن لا يسبقه . اهـ[2].

وفي البخاري عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى السوق ، فلحقت عمر امرأة شابة فقالت : يا أمير المؤمنين ! هلك زوجي ، وترك صبية صغارًا ، والله ما ينضجون كُراعًا[3] ، ولا لهم زرع ،

---

(١) رواه أبو داود رقم (١٦٧٨) في : الزكاة ، باب : في الرخصة في الرجل يخرج من ماله ، والترمذي رقم (٣٦٧٥) في : المناقب ، باب : مناقب أبي بكر الصديق ، وقال : هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٤١٤) وقال : على شرط مسلم ، وأقره الذهبي ، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٤٧٢) .

(٢) تحفة الأحوذي (١٠/ ١١١) ط : الكتب العلمية ، عون المعبود (٥/ ٧٢) ط : دار الفكر .

(٣) هو ما دون كعب الشاة ، قال الخطابي : معناه أنهم لا يكفون أنفسهم معالجة ما يأكلونه .

ولا ضرع ، وخشيت أن تأكلهم الضَّبُع[1] ، وأنا بنت خُفاف بن إيماء الغفاري ، وقد شهد أبي الحديبية مع رسول الله ﷺ ، فوقف معها عمر ، ولم يمض ، ثم قال : مرحبًا بنسب قريب ، ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطًا في الدار فحمل عليه غرارتين ، ملأهما طعامًا ، وحمل بينهما نفقة وثيابًا ، ثم ناولها بخطامه ، ثم قال : اقتاديه ، فلن يفني حتى يأتيكم الله بخير .

فقال رجل : يا أمير المؤمنين ! أكثرت لها .

قال عمر : ثكلتك أمك ، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنًا زمانًا فافتتحاه ، ثم أصبحنا نستفيء سهمانا فيه[2] .

* * *

(١) أي : السنة المجدبة ، ومعنى : تأكلهم : أن تهلكهم . فتح الباري (٧/ ٥٦٦) .

(٢) رواه البخاري رقم (٤١٦٠، ٤١٦١) في : المغازي ، باب : غزوة الحديبية .

استخلاف أبو بكر الصديق لعمر

عن إبراهيم النخعي قال : أول من ولى أبو بكر شيئًا من أمور المسلمين عمر بن الخطاب ، ولاه القضاء ، وكان أول قاض في الإسلام[١].

إن أبا بكر الصديق ﷺ عقد الخلافة من بعده لعمر بن الخطاب ﷺ .

قال ابن الجوزي في المنتظم نقلًا عن أبي سعد والطبري : لما أراد ذلك ـ أي : عقد الخلافة من بعده لعمر ـ دعا عبد الرحمن بن عوف ، فقال : أخبرني عن عمر بن الخطاب .

فقال : هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ، ولكن فيه غلظة .

فقال أبو بكر : ذاك لأنه يراني رفيقًا ، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرًا مما هو عليه .

ثم دعا عثمان بن عفان فقال : أخبرني عن عمر .

فقال : أنت أخبرنا به .

فقال : عليَّ ذلك يا أبا عبد الله ؟ .

فقال عثمان : اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته ، وأنه ليس فينا مثله .

فقال أبو بكر : يرحمك الله ، والله لو تركته ما عَدَوْتُك .

---

(١) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي (٥٢).

ثم قال له : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجًا منها ، وأول عهده بالآخرة داخلًا فيها حين يؤمن الكافر ، ويوقن الفاجر ، ويصدق الكاذب ، إني استخلفت عليكم ، ثم أغشي عليه ، فكتب عثمان : إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، فلما أفاق أبو بكر قال : اقرأ عليّ ، فقرأ عليه ، فكبّر ، وقال : أراك خفت أن يختلف الناس إن أفتلتت نفسي في غشيتي ؟

قال : نعم .

قال : جزاك الله خيرًا عن الإسلام وأهله ، وأقرها أبو بكر ﷺ وأمره فخرج على الناس بالكتاب ، فبايعوه لمن فيه ، قد علموا أنه عمر ، ودخل عليه قوم ، فقالوا : ما تقول لربك إذا سألك عن استخلافك عمر وأنت ترى غلظته ؟

فقال : أجلسوني ، أبالله تخوفوني ؟ خاب من تزود من أمركم بظلم ، أقول : استخلفت عليهم خير أهلك ، ثم دعا عمر وأوصاه . اهـ[1].

---

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٤/ ١٢٥، ١١٢٦) ، وأخرجه ابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ١٥٧) . انظر : المطالب العالية (٤٣١٣) ، وقال ابن حجر : إسناده صحيح .

خلافته رضي الله عنه

بلغ من لين أبي بكر أن الصبيان كانوا إذا رأوه يسعون إليه ، ويقولون : يا أبت ! فيمسح رؤوسهم ، وبلغ من هيبة عمر أن الرجال تفرّقوا ، وتركوا مجالسهم بالأفنية هيبةً . حتى ينظروا ما يكون من أمره ، فلما بلغ ذلك عمر صاح في الناس : الصلاة جامعة ! فحضروا ، فجلس على المنبر حيث كان أبو بكر يضع قدميه ، فلما اجتمعوا ، قام قائمًا ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي ﷺ ، ثم قال : بلغني أن الناس هابوا شدتي ، وخافوا غلظتي ، وقالوا قد كان عمر يشتد علينا ، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ، ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه ، فكيف وقد صارت الأمور إليه ؟

ومن قال ذلك صدق ، فقد كنت مع رسول الله ﷺ ، فكنت خادمه ، وكان مَن لا يبلغ أحدٌ صفته من اللين والرحمة ، وكان كما قال الله : ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فكنت بين يديه سيفًا مسلولًا حتى يُغمدني أو يدعني فأمضي ، فلم أزل مع رسول الله ﷺ على ذلك حتى توفاه الله ، وهو عني راض ، والحمد لله على ذلك كثيرًا ، وأنا به أسعد .

ثم ولي أمر المسلمين أبو بكر ، فكان من لا ينكرون دعته وكرمه ولينه ، فكنت خادمه وعونه ، أخلط شدتي بلينه ، فأكون سيفًا مسلولًا حتى يُغمدني أو يدعني فأمضي ، فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله ﷻ وهو عني راض ،

والحمد لله على ذلك كثيرًا ، وأنا به أسعد .

ثم إني قد وليت أموركم أيها الناس ، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضْعِفَت ، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدّي على المسلمين ، فأما أهل السلامة والدين والقصد ، فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض ، ولست أدع أحدًا يظلم أحدًا أو يتعدّى عليه حتى أضع خده على الأرض ، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن بالحق ، وإني بعد شدتي تلك أضع خدي على الأرض لأهل العفاف ، وأهل الكفاف .

ولكم عليّ أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها :

لكم عليّ أن لا أجتبي شيئًا من خراجكم ، ولا مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه ، ولكم عليّ إذا وقع في يدي أن لا يخرج مني إلا في حقه ، ولكم عليّ أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى ، وأسدّ ثغوركم ، ولكم عليّ ألا ألقيكم في المهالك ، ولا أجمركم في ثغوركم ، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم .

فاتقوا الله عباد الله ! وأعينوني على أنفسكم بكفها عني ، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم[1].

---

(١) الخراج لأبي يوسف (١٤٠) نقلًا عن أخبار عمر (ص ٥٦) .

* وعن جامع بن شداد عن أبيه قال : كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال : اللهم إني شديد فليّني ، وإني ضعيف فقوّني ، وإني بخيل فسَخّني(١).

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي فراس قال : خطب عمر بن الخطاب فقال : أيها الناس ! ألا إنا إنما كنا نعرفكم إذ بين ظهرينا النبي ﷺ ، وإذ ينزل الوحي ، وإذ ينبئنا الله من أخباركم ، ألا وإنَّ النبي ﷺ قد انطلق ، وقد انقطع الوحي ، وإنما نعرفكم بما نقول لكم : من أظهر منكم خيرًا ظننا به خيرًا . وأحببناه عليه ، ومن أظهر منكم لنا شرًّا ظننا به شرًّا وأبغضناه عليه ، سرائركم بينكم وبين ربكم ، ألا إنه قد أتى علي حين ، وأنا أحسب أن من قرأ القرآن يريد الله وما عنده ، فقد خيل إلي بآخره ، ألا إن رجالًا قد قرؤوه يريدون به ما عند الناس ، فأريدوا الله بقراءتكم ، وأريدوه بأعمالكم ، ألا إني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إليّ ، فوالذي نفسي بيده إذن لأقصنه منه .

فوثب عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين ! أرأيت إن كان رجل من المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته أئنك لمقتصه منه ؟

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٠٨) ، ورجاله ثقات .

قال : إي والذي نفس عمر بيده ، إذن لأقصنه منه ، وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه ، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجمروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوا الغياض فتضيعوهم"[1].

قال عليّ بن أبي طالب ﷺ : لما حضرت أبا بكر الوفاة رأى أن عمر أقوى عليها ، ولو كانت محاباة لآثر بها ولده ، واستشار المسلمين في ذلك ، فمنهم من رضي ومنهم من كره ، وقالوا : أتؤمر علينا من كان عنَّانًا ، وأنت حيّ ؟ فماذا تقول لربك إذا قدمت عليه ؟ قال : « أقول لربي إذا قدمت عليه : إلهي أمَّرتُ عليهم خير أهلك » فأمَّر علينا عمر ، فقام فينا بأمر صاحبيه ، لا ننكر منه شيئًا ، نعرف الزيادة كل يوم في الدين والدنيا ، فتح الله به الأرضين ، ومَصَّرَ به الأمصار ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، البعيد والقريب سواء في العدل والحق ، وضرب الله بالحق على لسانه وقلبه ، حتى أنَّا كنا نظن أن السكينة تنطق على لسانه ، وأن ملكًا بين عينيه يُسَدِّده ويوفقه[2].

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٢٨٦) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده حسن . والحاكم بنحوه (٤/ ٤٣٩) وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي ، وهو في كنز العمال (٤٤٢١٢) .

(٢) أسد الغابة (٤/ ١٥٦، ١٥٧) ، بسند رجاله ثقات .

صور من خلافته الرشيدة

بينما عمر بن الخطاب يتصفح الناس يسألهم عن أخبار أمرائهم ، إذ مرَّ بأهل حمص ، فقال : كيف أنتم ؟ وكيف أميركم ؟ قالوا : خير أمير يا أمير المؤمنين إلا أنه قد بنى عُلِّيَّة يكون فيها .

فكتب كتابًا وأرسل بريدًا ، وأمره إذا جئت باب عُلِّيَّته فاجمع حطبًا وأحرق الباب .

فلما قدم جمع حطبًا وأحرق باب العُلِّيَّة ، فدخل عليه الناس ، وذكروا أن هاهنا رجلًا يحرق باب عُلِّيَّتك !

فقال : دعوه فإنه رسول أمير المؤمنين ، ثم دخل عليه فناوله الكتاب ، فلم يضع الكتاب من يده حتى ركب ، فلما رآه عمر قال : احبسوه عني في الشمس ثلاثة أيام ، فحبس عنه ثلاثًا ، حتى إذا كان بعد ثلاث قال : يا ابن قرط! الحقني إلى الحرَّة (وفيها إبل الصدقة ، وغنمها) حتى إذا جاء الحرَّة ألقى عليه جبة ، وقال : انزع ثيابك واتزر بهذه ، ثم ناوله الدلو فقال : اسقِ هذه الإبل ، فلم يفرغ حتى لَغَب (أي تعب) .

فقال : يا ابن قرط ! متى كان عهدك بهذا ؟

قال : مليًّا (أي: زمانًا) يا أمير المؤمنين .

قال : فلهذا بنيت العُلِّيَّة وأشرفت بها على المسلمين والأرملة واليتيم ؟

ارجع إلى عملك ولا تعد[1].

* قال ابن الأثير : قال الأحنف : كنت مع عمر بن الخطاب ، فلقيه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ! انطلق معي فأَعْدِني على فلان فإنه قد ظلمني[2].

قال : فرفع الدرة فخفق بها رأسه فقال : تَدَعُون أمير المؤمنين وهو مُعْرِض لكم (أي ظاهر لكم) حتى إذا شُغل في أمر من أمور المسلمين أتيتموه : أعْدِنِي أَعْدِني !

قال : فانصرف الرجل ، وهو يتذَمَّر ، قال : عَلَيَّ الرجل ، فألقى إليه المخْفَقَة وقال : امتثل ، فقال : لا والله ، ولكن أَدَعُها لله ولك .

قال : ليس هكذا ، إما أن تدعها لله إرادة ما عنده ، أو تدعها لي ، فأعلم ذلك .

قال : أدعها لله . قال : فانصرف ثم جاء يمشي حتى دخل منزله ، ونحن معه ، فصلّى ركعتين ، وجلس فقال : يا ابن الخطاب ! كنت وضيعًا فرفعك الله ، وكنت ضالًّا فهداك الله ، وكنت ذليلًا فأعزك الله ، ثم حملك على رقاب الناس فجاءك رجل يَسْتَعدِيك فضربته ، ما تقول لربّك غدًا إذا أتيته ؟

---

(١) الرياض النضرة (٢/ ٥٥).

(٢) قال ابن سيدة : الْعَدْوى : النّصرَة ، والمعونة . وأعداه عليه : نصره وأعانه . استعداه : استنصره وأعانه . انظر : لسان العرب (٤/ ٢٨٥٠) .

قال : فجعل يعاتب نفسه في ذلك معاتبة حتى ظننا أنه خير أهل الأرض(١).

* عن مالك بن أوس بن الحدثان قال : كان عمر يحلف على أيمان ثلاث : يقول : والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد ، وما أنا بأحق به من أحد ، والله ما من المسلمين أحد إلا وله في هذا المال نصيب إلا عبدًا مملوكًا ، ولكنا على منازلنا من كتاب الله تعالى ، وقسمنا من رسول الله ﷺ ، فالرجل وبلاؤه في الإسلام ، والرجل وقدمه في الإسلام ، والرجل وغناؤه في الإسلام ، والرجل وحاجته ، ووالله لئن بقيت لهم ليأتينّ الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال ، وهو يرعى مكانه(٢).

* عن الأسود بن يزيد قال : كان الوفد إذا قدموا على عمر ﷺ سألهم عن أميرهم فيقولون خيرًا ، فيقول : هل يعود مرضاكم ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : هل يعود العبد ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : كيف صنيعه بالضعيف ؟ هل يجلس على بابه ؟ فإن قالوا لخصلة منها : لا . عزله .

* عن ابن خزيمة بن ثابت الأنصاري قال : كان عمر إذا استعمل عاملًا كتب له عهدًا ، وأشهد عليه رهطًا من المهاجرين والأنصار ، واشترط عليه

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير (٤/ ١٤٨) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند رقم (٢٩٢) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح . وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٢٧) ، والطبري في تاريخه (٢/ ٥٧١) .

ألا يركب برذونًا ، ولا يأكل نقيًّا ، ولا يلبس رقيقًا ، ولا يتخذ بابًا دون حاجات الناس"[١].

عن عبد الله بن عتبة : سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول : إن أناسًا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ ، وإن الوحي قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيرًا أمنَّاه ، وقربناه ، وليس إلينا من سريرته شيء ، الله يحاسب سريرته ، ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه ، ولم نُصدِّقه ، وإن قال : سريرته حسنة"[٢].

قال الحافظ في الفتح : قال المهلب : هذا إخبار من عمر عمّا كان الناس عليه في عهد رسول الله ﷺ وعما صار بعده ، ويؤخذ منه أن العدل من لم توجد منه الريبة ، وهو قول أحمد ، وإسحاق كذا قال ، وهذا إنما هو في حق المعروفين لا من لا يعرف حاله أصلًا. اهـ[٣].

عن زيد بن وهب قال : خرج عمر ﷺ ويداه في أذنيه وهو يقول : يا لبيكاه ! يا لبيكاه !

قال الناس : ماله ؟!!

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٥٦٩) بسند صحيح .

(٢) رواه البخاري رقم (٢٦٤١) في : الشهادات ، باب : الشهداء العدول .

(٣) فتح الباري (٥/ ٣١٦) الكتب العلمية ، ط : الثانية .

قال : جاءه بريدٌ من بعض أمرائه أن نهرًا حال بينهم وبين العبور ، ولم يجدوا سُفنًا ، فقال أميرهم : اطلبوا لنا رجلًا ، يعلم غور الماء فأتى بشيخ ، فقال : إني أخاف البرد ، وذلك في البرد ، فأكرهه ، فأدخله ، فلم يلبثه البرد ، فجعل ينادي : يا عمراه .. يا عمراه .. فغرق .

فكتب إليه ، فأقبل فمكث أيامًا معرضًا عنه ، وكان إذا وَجَد على أحدٍ منهم فعل به ذلك، ثم قال : ما فعل الرجل الذي قتلته ؟!

قال : يا أمير المؤمنين ! ما تعمدت قتله ، لم نجد شيئًا نعبر فيه ، وأردنا أن نعلم غور الماء ، ففتحنا كذا ، وكذا ، وأصبنا كذا وكذا! (أي من الغنيمة).

فقال عمر : لرجل مسلم أحبّ إلي من كل شيء جئت به ، لولا أن تكون سُنّة !! لضربت عنقك ، اذهب فأعط أهله ديته ، واخرج فلا أراك[1].

(١) أخرجه البيهقي (٨/ ٣٢٢- ٣٢٣) وإسناده صحيح .

مرحبًا بالناصح غدوًّا وعشيًّا

وعند الطبري[١] بسند رجاله ثقات عن عمران بن سوادة قال : صليت الصبح مع عمر فقرأ : ((سبحان)) وسورة معها ، ثم انصرف ، وقمت معه ، فقال : أحاجة ؟ قلت : حاجة ، قال : فالحق ، قال : فلحقت ، فلما دخل أذن لي ، فإذا هو على سرير ليس فوقه شيء . فقلت : نصيحة ، فقال : مرحبًا بالناصح غدوًّا وعشيًّا .

قلت : عابت أمتك منك أربعًا ، قال : فوضع رأس دِرَّته في ذقنه ، ووضع أسفلها على فخذه ، ثم قال : هات .

قلت : ذكروا أنك حَرَّمت العمرة في أشهر الحج ، ولم يفعل ذلك رسول الله ﷺ ، ولا أبو بكر ﷺ وهي حلال .

قال : هي حلال لو أنهم اعتمروا في أشهر الحج ، رأوها مجزيةً من حجّهم ، فكانت قائبة قرب عامها ، فقَرِع حجُّهم ، وهو بهاء من بهاء الله ، وقد أصبت .

قلت : وذكروا أنك حرمت متعة النساء وقد كانت رخصة من الله نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث :

قال : إن رسول الله ﷺ أحلها في زمان ضرورة ، ثم رجع الناس إلى السَّعة ، ثم لم أعلم أحدًا من المسلمين عمل بها ، ولا عاد إليها ، فالآن من شاء نكح

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٥٧٩) بسند رجاله ثقات .

بقُبضة وفارق عن ثلاث بطلاق ، وقد أصبت .

قلت : وأعتقت الأمة إن وضعت ذا بطنها بغير عتاقة سيدها .

قال : ألحقت حرمة بحرمة ، وما أردت إلا الخير ، وأستغفر الله .

قلت : وتشكو منك نهر الرعية ، وعُنف السياق .

قال : فشرع الدرة ، ثم مسحها حتى أتى على آخرها ، ثم قال : أنا زميل محمد ـ وكان زامله في غزوة قرقرة الكُدْر ـ فوالله إني لأرتع فأشبع ، وأسقي فأروي ، وأنهز اللفوت ، وأزجر العَروض ، وأذب قدْري ، وأسوق خَطْوي ، وأضم العَنود ، وألحق القطوف ، وأكثر الزجر ، وأقِلّ الضرب ، وأشهر العصا ، وأدفع باليد ، لولا ذلك لاغتررت .

قال : فبلغ ذلك معاوية ، فقال : كان والله عالمًا برعيتهم .

* وذكر ابن الجوزي في مناقب عمر قال : وعن الشعبي قال : بينما عمر يعس ذات ليلة إذ مر بامرأة جالسة على سرير ، وقد أجافت الباب وهي تقول :

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَاخْضَلَّ جَانِبُهُ ... وَأَرَّقَنِي أَنْ لَا خَلِيلَ أُلاعِبُه

فَوَاللهِ لَوْلَا اللهُ لا رَبَّ غَيْرَهُ ... لَحَرَّكَ مِنْ هَذَا السَّرِيرِ جَوَانِبُه

فقال عمر : أوه .. ثم خرج حتى دخل على حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها .

فقالت : يا أمير المؤمنين ! ما جاء بك في هذا الوقت ؟!!

قال : أي بنية ! كم تحتاج المرأة إلى زوجها ؟

فقالت : في ستة أشهر ، فكان لا يغزى جيشًا له أكثر من ستة أشهر .

* وعن أسلم قال : بينما أنا مع عمر بن الخطاب ، وهو يعس بالمدينة إذ عيي فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل ، وإذا امرأة تقول لابنتها : يا بنتاه ! قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء .

قالت لها : يا أمتاه ! أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين ؟

قال : وما كان من عزمته يا بنية ؟!

قالت : إنه أمر مناديه فنادى لا يشاب اللبن بالماء .

فقالت لها : يا بنية ! قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء ، فإننا بموضع لا يراك عمر ، ولا منادي عمر .

فقالت الصبية لأمها : يا أمتاه ! والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء . وعمر يسمع ذلك كله ، فقال : يا أسلم ! علّم الباب ، واعرف الموضع ، ثم مضى في عسسه ، فلما أصبح قال : يا أسلم ! امض إلى الموضع ، فانظر من القائلة ، ومن المقول لها ، وهل لهما من بعل ؟

فأتيت الموضع فنظرت ، فإذا الجارية أيِّم لا بعل لها ، وإذا تيك أمها ليس لها بعل ، فأتيت عمر فأخبرته ، فدعا عمر ولده ، فجمعهم ، فقال : هل فيكم من يحتاج امرأة فأزوجه ؟ لو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية ، فقال عبد الله : لي زوجة . وقال عبد الرحمن : لي زوجة . وقال عاصم : يا أبتاه ! لا زوجة لي ، فزوّجني . فبعث إلى الجارية فزوجها من

عاصم ، فولدت له بنت ، فولدت البنت عمر بن عبد العزيز رحمه الله(١).

وعند الطبري أيضًا : كان عمر بن الخطاب يقول : أربع من أمر الإسلام لست مضيّعهن ، ولا تاركهن لشيء أبدًا : القوة في مال الله ، وجمعه حتى إذا جمعناه وضعناه حيث أمر الله ، وقعدنا آل عمر ليس في أيدينا ولا عندنا منه شيء .

والمهاجرون الذين تحت ظلال السيوف ، ألا يحبسوا ولا يجمَّروا ، وأن يوفر فيء الله عليهم ، وعلى عيالاتهم ، وأكون أنا للعيال حتى يقدموا .

والأنصار الذين أعطوا الله ﷻ نصيبًا ، وقاتلوا الناس كافة ، أن يقبل من محسنهم ، ويُتجاوز عن مسيئهم ، وأن يشاوروا في الأمر .

والأعراب الذين هم أصل العرب ، ومادة الإسلام ، وأن تؤخذ منهم صدقتهم على وجهها ، ولا يؤخذ منهم دينار ولا درهم ، وأن يرد على فقرائهم ومساكينهم .

قال ابن الجوزي : كان عمر بن الخطاب إذا بعث عماله يشترط عليهم : أن لا تتخذوا على المجالس التي تجلسون فيها للناس بابًا ، ولا تركبوا البراذين ، ولا تلبسوا الثياب الرقاق ، ولا تأكلوا النقي ، ولا تغيبوا عن صلاة الجماعة ، ولا تطمعوا فيكم السعاة .

---

(١) أخرجه ابن حبان في العقلاء (ص٥٤) ، بسند حسن .

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٥٧٩ ، ٥٨٠) بسند رجاله ثقات .

فمر يومًا في طريق من طرق المدينة ، وفي ناحية منها رجل يسأل ، فقال : يا عمر ! تستعمل العمال وتعهد إليهم عهدك ، ثم ترى أن ذلك قد أجزأك ، كلا والله : إنك لمأخوذ إذا لم تعاهدهم ، قال : وما ذاك ؟

قال : عياض بن غنم يلبس اللين ، ويفعل ويفعل ، فقال : أساعٍ ؟ قال : بل مؤدي الذي عليه . فبعث إلى محمد بن مسلمة أن الْحَقْ بعياض بن غنم فآتني به كما تجده ، فانتهى إلى بابه ، وإذا عليه بواب ، فقال له : قل لعياض : على الباب رجل يريد أن يلقاك ، قال : ما تقول ؟ قال: قل له ما أقول لك .

فذهب كالمتعجب فأخبره ، فعرف عياض أنه أمر حدث ، فخرج فإذا محمد بن مسلمة، فرحب به ، وقال : ادخل . وإذا عليه قميص رقيق لين ، فقال : أمير المؤمنين أمرني أن لا يفارق سوادي سوادك حتى أذهب بك كما أجدك ، ونظر في أمره ، فوجد الأمر كما حدثه السائل .

فلما قدم به على عمر ، وأخبره ، ودعا بدراعة وكساء وحذاء وعصا ، وقال : أخرجوه من ثيابه ، فأخرج منها ، وألبسه ذلك ، ثم قال : انطلق بهذه الغنم فأحسن رعايتها وسقيها والقيام عليها ، واشرب من ألبانها ، واجتز من أصوافها ، وارفق بها ، فإن فضل شيء فاردده علينا . فلما مضى ردّه ، وقال : أفهمت ؟ قال : نعم ، والموت أهون من هذا . قال : كذبت ، ولكن ترك الفجور أهون من هذا . ثم قال له : أرأيت لو رددتك أتراه يكون فيك خير ؟ قال : نعم ، والله يا أمير المؤمنين ، لا يبلغنك عني شيء بعد هذا ، فردّه ، ولم

يبلغه عنه شيء إلا ما أحب حتى مات . اهـ[١].

بالله عليك هل في لغة البشر وقواميس الدنيا ما نعبر به عن عدل الفاروق عمر ؟!!

* وقال ابن الجوزي أيضًا : قال ابن سعد : كان عدي بن فضلة قديم الإسلام بمكة ، وهاجر إلى الحبشة ، ومات هناك أول من مات ممن هاجر ، وأول من ورث في الإسلام ، ورثه ابنه النعمان ، وكان عمر قد استعمل النعمان على ميسان ، وكان يقول الشعر ، فقال :

أَلَا هَلْ أَتَى الحَسْنَاءَ أَنَّ حَلِيلَهَا ... بِمِيسانَ يُسْقَى مِنْ زجاجٍ وَحَنْتَم
إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي دَهَاقِينُ قريةٍ ... وَرَقاصةٌ تَجْثُو عَلَى كُلِّ مَيْسَمِ
فَإِنْ كُنْتُ نَدمًا فِي فَبِالْأَكْبَرِ اسْقِنِي ... وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصَغْرِ المُتَثَلِّم
لَعَلَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ يَسُوؤُهُ ... تَنَادُمَنَا فِي الجَوْسَقِ المُتَهَدِّمِ

فلما بلغ عمر قوله قال : نعم ، والله إنه ليسوؤني ، من لقيه فليخبره أني قد عزلته . فقدم عليه رجل من قومه فأخبره بعزله ، فقدم على عمر ، فقال : والله ما صنعت شيئًا مما قلت ، ولكن كنت امرءًا شاعرًا ، وجدت فضلًا من قول فقلت فيه الشعر ، فقال عمر : والله لا تعمل على عمل ما بقيت ، وقد قلت ما قلت . اهـ[٢].

---

(١) المنتظم لابن الجوزي (٤/ ١٣٧) .

(٢) المنتظم لابن الجوزي (٤/ ١٣٨) ، وقال محققه : الخبر والشعر في الإصابة (٦/ ٢٤٣) مع بعض الاختلاف في العبارة .

* وفي البخاري عن المغيرة بن حكيم الصنعاني عن أبيه قال : أن امرأة بصنعاء غاب عنها زوجها ، وترك في حجرها ابنًا له من غيرها غلامًا يقال له : أصيل ، فاتخذت المرأة بعد زوجها خليلًا فقالت له : إن هذا الغلام يفضحنا فاقتله ، فأبى ، فامتنعت منه ، فطاوعها ، فاجتمع على قتل الغلام الرجل ، ورجل آخر ، والمرأة ، وخادمتها ، فقتلوه ، ثم قطعوه أعضاء ، وجعلوه في عيبة (هي وعاء من أدم) فطرحوه في ركية (هي البئر التي لم تطو) في ناحية القرية ليس فيها ماء ، فَأُخِذ خليلها ، فاعترف ، ثم اعترف الباقون ، فكتب يعلى ـ وهو يومئذ أمير ـ بشأنهم إلى عمر ، فكتب إليه عمر بقتلهم جميعًا ، وقال : والله لو أن أهل صنعاء اشتركوا في قتله لقتلتهم أجمعين[1].

وفي مسند الإمام أحمد : جاء رجل إلى عمر ، وهو بعرفة ، فقال : جئت يا أمير المؤمنين من الكوفة ، وتركت بها رجلًا يملي المصاحف عن ظهر قلبه ، فغضب ، وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شُعبتي الرَّحْل ، فقال : ومن هو ويحك ؟ قال : عبد الله بن مسعود ، فما زال يُطفأ ويسرَّى عنه الغضب حتى عاد إلى حالته التي كان عليها ، ثم قال : ويحك ، والله ما أعلمه بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه ، وسأحدثك عن ذلك ، كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبي بكر الليلة ، كذاك في الأمر من أمر المسلمين ، وإنه سمر

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٨٩٦) في : الديات مختصرًا ، وانظر : الفتح (١٢/ ٢٨١) .

عنده ذات ليلة ، وأنا معه ، فخرج رسول الله ﷺ فخرجنا معه ، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد ، فقام رسول الله ﷺ يستمع قراءته ، فلما كدنا أن نعرفه قال رسول الله ﷺ : ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ القُرْآنَ رَطْبًا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ)) .

قال : ثم جلس الرجل يدعو ، فجعل رسول الله ﷺ يقول له : ((سَلْ تُعْطَه ، سَلْ تُعْطَه)) قال عمر : قلت : والله لأَغْدُوَنَّ إليه فلأبشرنّه ، قال : فغدوت لأبشّره فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشّره ، ولا والله ما سبقته إلى خير قط إلا وسبقني إليه[1].

وفي مصنف ابن أبي شيبة ، والبيهقي : عن صفية بنت أبي عبيد قالت : تزلزلت الأرض على عهد عمر حتى اصطفقت السُّرر ، فخطب عمر الناس ، فقال : أحدثتم ، لقد عجلتم ، لئن عادت لأخرجنّ من بين ظهرانيكم ، ولا أساكنكم فيها أبدًا[2].

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (١٧٥) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٢) ابن أبي شيبة (٢/ ٤٧٣) ، والبيهقي (٣/ ٣٤٢) ، وإسناده صحيح .

إنه القاضي الفقيه العالم

وأخرج البخاري (٣٠٩٤) عن مالك بن أوس قال : بينما أنا جالس في أهلي حين مَتَع النهار ، إذا رسول عمر بن الخطاب يأتيني فقال : أجب أمير المؤمنين ، فانطلقت معه حتَّى أدخل على عمر ، فإذا هو جالس على رمال سرير ليس بينه وبينه فراش ، متكئ على وسادة من أدَمٍ . فَسَلَّمْتُ عليه ، ثم جلست ، فقال : يا مال (أي يا مالك) إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات ، وقد أمرت فيهم برَضْخ[١] فاقبضه ، فاقسمه بينهم . فقلت : يا أمير المؤمنين ! لو أَمَرْتَ له غيري .

قال : فاقبضه أيها المرء ، فَبَيْنَا أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ .

فقال : هل لك في عثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص يستأذنون ؟ ، قال : نعم .

فأذن لهم ، فدخلوا فسلموا ، وجلسوا، ثم جلس يرفأ يسيرًا ، ثم قال : هل لك في عليّ وعبّاس ؟ قال : نعم . فأذن لهما ، فدخلا ، فسلَّما فجلسا . فقال عباس : يا أمير المؤمنين ! اقض بيني ، وبين هذا ـ وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله من مال بني النضير ـ فقال الرهط ـ عثمان وأصحابه ـ : يا أمير المؤمنين ! اقض بينهما ، وأرح أحدهما من الآخر .

---

(١) برضخ : أي : عطية غير كثيرة ولا مقدرة .

فقال عمر : تَئِدَكم (أي : اصبروا ، وأمهلوا ، وعلى رسلكم ، والتؤدة : الرفق) أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : ((**لَا نُورَثُ . مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ** ؟)) يريد رسول الله ﷺ نفسه .

قال الرهط : قد قال ذلك .

فأقبل عمر على عليّ وعباس فقال : أنشدكما الله، أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك ؟ قالا : قد قال ذلك .

قال عمر : فإني أحدثكم عن هذا الأمر : إن الله قد خص رسوله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحدًا غيره ، ثم قرأ : ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ ، ووالله ما احتازها دونكم ، ولا استأثر بها عليكم ، قد أعطاكموه ، وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال ، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله ، فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته ، أنشدكم الله هل تعلمون ذلك ؟ قالوا : نعم .

قال عمر : ثم توفى الله نبيه ﷺ فقال أبو بكر : أنا ولي رسول الله ﷺ ، فقبضها أبو بكر ، فعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ ، والله يعلم إنه فيها لصادق بارٌّ راشد تابع للحق ، ثم توفّى الله أبا بكر ، فكنت أنا وليّ أبي بكر ، فقبضتها سنتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ ، وما عمل فيها

أبو بكر ، والله يعلم إني فيها لصادق بارٌّ راشد تابع للحق .

ثم جئتماني تُكلماني ، وكلمتكما واحدة ، وأمركما واحد ، جئتني يا عباس تسألني نصيبك من ابن أخيك ، وجاءني هذا - يريد عليًّا - يريد نصيب امرأته من أبيها فقلت لكما : إن رسول الله ﷺ قال : ((**لَا نُورَثُ ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**)) فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت : إن شئتما دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ ، وبما عمل فيها أبو بكر ، وبما عملت فيها منذ وليتها ، فقلتما : ادفعها إلينا ، فبذلك دفعتها إليكما ، فأنشدكم بالله ، هل دفعتها إليهما بذلك ؟

قال الرهط : نعم . ثم أقبل على عليّ وعباس .

فقال : أنشدكما بالله هل دفعتها إليكما بذلك .

قالا : نعم .

قال : فتلتمسان مني قضاءً غير ذلك ؟ فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيها قضاء غير ذلك ، فإذا عجزتما عنها فادفعاها إليّ ، فإني أكفيكُماها[1].

انظر إلى حكمة هذا الرجل ودقة اتباعه لصاحبيه محمد ﷺ ، وأبي بكر ﷺ ، إنه الخليفة الراشد والحاكم العادل .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٠٩٤) في : الخمس ، باب : فرض الخمس ، ومسلم رقم (١٧٥٧) في : الجهاد والسير ، باب : حكم الفيء ، وأبو داود رقم (٢٩٦٣) في : الخراج والإمارة ، والترمذي في : السير ، والنسائي في : كتاب الفيء .

صور من شفقته على الرعية

قال ابن الجوزي : عن أبي عثمان قال : استعمل عمر ﷺ رجلًا من بني أسد على عمل ، فدخل ليسلم عليه ، فأُتي عمر ببعض ولده فقبله ، فقال الأسدي : أتقبل هذا يا أمير المؤمنين ؟! فوالله ما قبلت ولدًا لي قط !!

فقال عمر : فأنت والله بأولاد الناس أقل رحمة ، لا تعمل لي عملًا أبدًا ، فرد عهده ، أو قال : فما ذنبي إن كان الله ﷻ نزع الرحمة من قلبك ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ، ثم قال : مزّق الكتاب ، فإنه إذا لم يرحم أولاده ، فكيف يرحم الرعية ؟"(1).

* وفي مسند الإمام أحمد : عن فرّوخ مولى عثمان : أن عمر ، وهو يومئذ أمير المؤمنين خرج إلى المسجد فرأى طعامًا منثورًا ، فقال : ما هذا الطعام ؟

فقالوا : طعام جلب إلينا . قال : بارك الله فيه ، وفيمن جلبه .

قيل : يا أمير المؤمنين فإنه قد احتكر ، قال : ومن احتكره ؟ . قالوا : فرّوخ مولى عثمان ، وفلان مولى عمر ، فأرسل إليهما فدعاهما ، فقال : ما حملكما على احتكار طعام المسلمين ؟ قالا : يا أمير المؤمنين نشتري بأموالنا ونبيع ، فقال

(1) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٥٩٠) ، والبخاري في الأدب (٩٩) ، وحسن إسناده شيخنا الألباني في صحيح الأدب المفرد (٧٢) .

عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنِ احْتَكَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَعَامَهُمْ ضَرَبَهُ اللهُ بِالإِفْلَاسِ أَوْ بِجُذَامٍ)) .

فقال فروخ عند ذلك : يا أمير المؤمنين ! أعاهد الله وأعاهدك أن لا أعود في طعام أبدًا ، وأما مولى عمر فقال : إنما نشتري بأموالنا ونبيع ، قال أبو يحيى (راوي الحديث عن فروخ) : فلقد رأيت مولى عمر مجذومًا[1].

وفي صحيح البخاري : قال أسلم مولى عمر : استعمل عمر مولى له يُدْعَى هُنَيًّا على الحمى ، فقال: يا هُنَيُّ اضمُمْ جناحك عن المسلمين ، واتق المسلمين ، فإنها دعوة المظلوم مستجابة ، وأدخل ربَّ الصُّريمةَ والغُنَيمة (أي صاحب القطعة القليلة من الإبل والغنم) ، وإيَّاي ، ونَعَم ابن عوف ، ونَعَم ابن عفّان[2] فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعان إلى نخل وزرع ، وإن ربّ الصُّريمة والغُنَيْمة إن تهلك ماشيتهما ، يأتيني ببيته فيقول : يا أمير المؤمنين ! أفتاركهم أنا لا أبا لك ؟! فالماء والكلأ أيسرُ علي من الذهب والفضة ، وايم الله إنهم لَيَرَوْن أني قد ظلمتهم ، إنها لبلادهم قاتلوا عليها في الجاهلية ، وأسلموا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند رقم (١٣٥) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح . والحديث رواه ابن ماجة مختصرًا ، وأشار إليه البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٢/ ٢١٦- ٢١٧) .

(٢) قال الحافظ في الفتح (٦/ ٢١٧) : خصهما بالذكر على طريق المثال لكثرة نعمهما لأنهما كانا من مياسير الصحابة ، ولم يرد بذلك منعهما البتة ، وإنما أراد أنه إذا لم يسع المرعى إلا نعم أحد الفريقين ، فنعم المقلين أولى ، فنهاه عن إيثارهما على غيرهما ، أو تقديمهما قبل غيرهما .

عليها في الإسلام ، والذي نفسي بيده ! لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حَمَيْتُ عليهم من بلادهم شبرًا»[1].

وعن ابن عمر قال : قَدِمَتْ رفْقة من التجار فنزلوا المُصَلّى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف : هل لك أن نَحْرسَهم الليلة من السّرق ؟ فباتا يحرسانهم ، ويصليان ما كتب الله لهما ، فسمع عمر بكاء صبيّ فتوجه نحوه ، فقال لأمه : اتقي الله ، وأحسني إلى صبيك ، ثم عاد إلى مكانه ، فسمع بكاءه ، فعاد إلى أمه ، فقال لها مثل ذلك ، ثم عاد إلى مكانه ، فلما كان آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه فقال : ويحك ! إني لأراك أمّ سَوْءٍ ، مالي أرى ابنك لا يَقرّ منذ الليلة ؟

قالت : يا عبد الله ! قد أبْرَمْتَني منذ الليلة ، إني أُريغُه عن الفطام فأبى ؟

قال : ولم ؟

قالت : لأن عمر لا يفرض إلا للفُطم ، قال : وكم له ؟ قالت : كذا وكذا شهرًا ، قال : ويحك لا تعجليه !

فصلى الفجر ، وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلّم قال : يا بؤسًا لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين ؟! ثم أمر مناديًا فنادى : ألا لا تعجلوا صبيانكم عن الفطـام ، فإنا نفرض لكل مولـود في الإسلام ، وكتب

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٠٥٩) في الجهاد والسير ، باب : إذا أسلم قومي في دار حرب ولهم مالٌ وأرضون فهي لهم .

بذلك إلى الآفاق أن يفرض لكل مولود في الإسلام"[1].

وفي البخاري عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب ﷺ إلى السوق ، فلحقت عمر امرأة شابة فقالت : يا أمير المؤمنين ! هلك زوجي ، وترك صبية صغارًا ، والله ما ينضجون كراعًا (أي لا كراع لهم ينضجونه ، والكراع هو ما دون الكعب من الشاة) ، ولا زرع لهم ، ولا ضرع (ليس لهم نبات وليس لهم ما يحلبونه) ، وخشيت أن تأكلهم الضَّبُع (أي خشيت أن تهلكهم السنة المجدبة) وأنا بنت خُفاف ابن إيماء الغفاري ، وقد شهد أبي الحديبية مع النبي ﷺ ، فوقف معها عمر ، ولم يمض ، ثم قال : مرحبًا بنسب قريب ، ثم انصرف إلى بعير ظهير (أي قوي الظهر معد للحاجة) كان مربوطًا في الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعامًا ، وحمل بينهما نفقة وثيابًا ، ثم ناولها بخطامه ، ثم قال : اقتاديه ، فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير .

فقال رجل : يا أمير المؤمنين ! أكثرت لها .

قال عمر : ثكلتك أمّك ، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنًا زمانًا فافتتحناه ، ثم أصبحنا نستفيء سهمانا فيه[2].

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٢٨ ، ٢٢٩) ، ورجاله ثقات .

(٢) رواه البخاري رقم (٤١٦٠ ، ٤١٦١) في : المغازي ، باب : غزوة الحديبية .

وعند ابن الأثير في أسد الغابة بسنده عن قسامة بن زهير قال : وقف أعرابي على عمر بن الخطاب فقال :

يَا عُمَرَ الخَيْرِ جُزِيتَ الجَنَّة جَهِّـزْ بُنَيَّـاتِي وَاكْسُهُنَّـه

أُقْسِـــمُ بِالله لَتَفْعَلَنَّـــهْ

قال : فإن لم أفعل يكون ماذا يا أعرابي ؟

قال : أُقْسِمُ بِالله لأَمْضِيَنَّه .

قال : فإن مضيت يكون ماذا يا أعرابي ؟

وَالله عَـنْ حَـالِي لَتُسْأَلَنَّـهْ ثُمَّ تكونُ المَسْأَلات عَنَّهْ

وَالْوَاقِفُ المَسْؤُولُ بَينَهُنَّهْ إِمَّـا إِلى نَـار وَإِمَّـا جَـنَّهْ

قال : فبكى عمر حتى اخضلت لحيته بدموعه ، ثم قال : يا غلام ! أعطه قميصي هذا ، لذلك اليوم لا لشعره ، والله ما أملك قميصًا غيره !"[1].

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب - رحمه الله - إلى حَرّة واقم حتى إذا كنا بصرار ، إذا نار تؤرث ، فقال : يا أسلم ! إني أرى هـؤلاء ركبًا قصـر بهم الليل والبرد ، انطلـق بنا ، فخرجنـا نهرول حتى دنونا منهم ، فإذا امرأة معها صبيان لها ، وقِدْر منصوبة على النار ، وصبيانها

(١) أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ١٥٥) بسند صحيح ، والخبر في مناقب عمر لابن الجوزي وغيره .

يتضاغوْن ، فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضَّوء ـ وكره أن يقول : يا أصحاب النار ـ قالت : وعليك السلام .

قال : أأدنو ؟ قالت : أدن بخير أو دَعْ ، فدنا فقال : ما بالُكم ؟ قالت : قصّر بنا الليل والبرد ، قال : فما بال هؤلاء الصبية يتضاغَوْن ؟ قالت : الجوع .

قال : وأي شيء في هذه القِدْر ؟ قالت : ماء أسكنهم به حتى يناموا ، الله بيننا وبين عمر ! قال : أي رحمك الله ، ما يُدري عمر بكم ؟! قالت : يتولى أمرنا ، ويغفل عنّا ! فأقبل عليّ ، فقال : انطلق بنا ، فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق ، فأخرج عِدْلًا فيه كُبّة شحم ، فقال : احمله عليّ ! فقلت : أنا أحمله عنك ، قال : احمله علي مرتين أو ثلاثًا ، كل ذلك أقول : أنا أحمله عنك ، فقال لي في آخر ذلك : أنت تحمل عني وزري يوم القيامة ؟! لا أمّ لك ، فحمّلته عليه ، فانطلق ، وانطلقت معه نهرول ، حتى انتهينا إليها ، فألقى ذلك عندها ، وأخرج من الدقيق شيئًا ، فجعل يقول لها : ذُرّي عليّ ، وأنا أحرك لك ، وجعل ينفخ تحت القدر ـ وكان ذا لحية عظيمة ـ فجعلتُ أنظر إلى الدخان من خَلَل لحيته حتى أنضج وأدم القِدرُ ، ثم أنزلها ، وقال : ابغني شيئًا فأتته بصحفة فأفرغها فيها ، ثم جعل يقول : أطعميهم ، وأنا أسطِّح لك ، فلم يزل حتى شبعوا ، ثم خلّى عندها فضل ذلك ، وقام وقمت معه ، فجعلت تقول : جزاك الله خيرًا ، أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين ! فيقول : قولي خيرًا ، إنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك إن شاء الله .

ثم تنحى ناحية عنها ، ثم استقبلها وربَض مربض السّبع ، فجعلت أقول له : إن لك شأنًا غير هذا ، وهو لا يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون ، ثم ناموا ، وهدؤوا ، فقام وهو يحمد الله . ثم أقبل عليّ فقال : يا أسلم ! إن الجوع أسهرهم وأبكاهم ، فأحببت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم[1].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قدم علينا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه حاجًّا فصنع له صفوان بن أمية طعامًا قال : فجاؤوا بجفنة يحملها أربعة ، فوضعت بين القوم فأخذ القوم يأكلون ، وقام الخدام ، فقال عمر : مالي أرى خدامكم لا يأكلون معكم ، أترغبون عنهم ؟ فقال سفيان بن عبد الله : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكننا نستأثر عليهم ، فغضب غضبًا شديدًا ، ثم قال : ما لقوم يستأثرون على خدامهم ؟ فعل الله بهم وفعل ، ثم قال للخدام : اجلسوا ، فكلوا ، فقعد الخدام يأكلون ولم يأكل أمير المؤمنين[2].

الله أكبر .. والله ليس لنا من قول أمام هذا الموقف إلا أن نقول : يا خالق عمر .. سبحانك .

---

(١) تاريخ الطبري (٢/٥٦٨) بسند رجاله رجال الصحيح ، وأخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد (٣٨٢) في : الفضائل .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٠١) ، وقال الألباني في صحيح الأدب (١٤٨) : صحيح الإسناد .

* وعن سعيد بن جبير بسند رجاله ثقات : كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا أمسى أخذ دِرّته ، ثم طاف بالمدينة ، فإذا رأى شيئًا ينكره أنكره ، فبينما هو ذات ليلة يَعِسّ إذ مرّ بامرأةٍ على سطح وهي تقول :

تَطَاولَ هَذَا اللَّيْلُ واخْضَلَ جَانِبُه وَأَرَّقَنِـي أَنْ لاَ خَلِيل أُلاَعِبُـه
فَوَالله لَـوْلاَ الله لاَ رَبَّ غَـيْره لَحُـرّكَ مِنْ هَذَا السَّرِير جَوَانِبُـه
مخـافَة رَبّي وَالحيَـاء يصُـدنّي وأُكـرم بَعْلي أَنْ تُنَال مَرَاكِبـه

ثم تنفست الصعداء ، وقالت : لهان على عمر بن الخطاب ما لقيت الليلة ، فضرب باب الدار ، فقالت : من هذا الذي يأتي إلى امرأةٍ مُغِبَّةٍ (غاب زوجها) هذه الساعة ؟!

فقال : افتحي ، فأبت ، فلما أكثر عليها قالت : أما والله لو بلغ أمير المؤمنين لعاقبك ، فلما رأى عفافها قال : افتحي فأنا أمير المؤمنين .

قالت : كذبت ما أنت بأمير المؤمنين ، فرفع بها صوته ، وجهر لها، فعرفت أنه هو ، ففتحت له ، فقال : هيه كيف قلت ؟ فأعادت عليه ما قالت ، فقال : أين زوجك ؟

قالت : في بَعْث كذا وكذا ، فبعث إلى عامل ذلك الجند أن سرح فلان بن فلان ، فلما قدم عليه قال : اذهب إلى أهلك .

ثم دخل على حفصة ابنته ، فقال : أي بُنيّة ! كم تصبر المرأة عن زوجها ؟

قالت : شهرًا واثنين ، وثلاثة ، وفي الرابع ينفذُ الصبر ، فجعل ذلك أجلًا للبعث[1].

(١) أخرجه عبد الرزاق والبيهقي (٢٩١٩) ، والخبر في الطبقات الكبرى لابن سعد ، وروضة المحبين لابن القيم (٢٥٢- ٢٥٣) ط : ابن كثير - سوريا .

طاعون عمواس

عن عبد الله بن عباس : أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج إلى الشام ، حتى إذا كان بسَرْغ(١) لقيه أمراء الأجناد ـ أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ـ فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام .

قال ابن عباس : فقال عمر : ادْعُ لي المهاجرين الأولين ، فدعاهم ، فاستشارهم ، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بأرض الشام ، فاختلفوا ، فقال بعضهم : قد خرجنا لأمر ، ولا نرى أن ترجع عنه ، وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تُقْدِمَهُمْ على هذا الوباء ، فقال : ارتفعوا عني ، ثم قال : ادعوا لي الأنصار ، فدعوتهم ، فاستشارهم ، فسلكوا سبيل المهاجرين ، واختلفوا كاختلافهم ، فقال : ارتفعوا عني ، ثم قال : ادعُ لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدعوتهم ، فلم يختلف منهم عليه رجلان .

فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء . فنادى عمر في الناس : إني مُصَبِّحٌ على ظهر ، فأصبحوا عليه .

فقال أبو عبيدة بن الجراح : أفرارًا من قدر الله ؟

---

(١) سرغ : مدينة افتتحها أبو عبيدة ، وهي اليرموك والجابية متصلات ، وبينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة .

فقال عمر : لو غيرُكَ قالها يا أبا عبيدة ، نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله[١].

أرأيت لو كان لك إبلٌ هبطت واديًا له عُدْوتان[٢] : إحداهما خصيبة ، والأخرى جَدْبَة ! أليس إن رعيت الخصيبة رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟

قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف - وكان متغيِّبًا في بعض حاجته - فقال: إن عندي في هذا علمًا ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**)).

قال : فحمد الله عمرُ ، ثم انصرف[٣].

---

(١) قال الحافظ في الفتح : في رواية هشام بن سعد إن تقدمنا فبقدر الله ، وإن تأخرنا فبقدر الله ، وأطلق عليه فرارًا لشبهه به في الصورة ، وإن كان ليس فرارًا شرعيًا ، والمراد أن هجوم المرء على ما يهلكه منهي عنه ، ولو فعل لكان من قدر الله ، وتجنبه ما يؤذيه مشروع ، وقد يقدر الله وقوعه فيما فرّ منه ، فلو فعله أو تركه لكان من قدر الله ، فهما مقامان : مقام التوكل ، ومقام التمسك بالأسباب . اهـ (١٠/ ٢٢٨) .

(٢) عُدوتان : تثنية عُدوة ، وهو : المكان المرتفع من الوادي ، وهو شاطئه .

(٣) رواه البخاري رقم (٥٧٢٩) في : الطب ، باب : ما يُذكر في الطاعون .

عزل خالد بن الوليد ﷺ

قال الله ﷻ : ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة : ٢٦٩] . والحق أن الله تعالى قد أفاء على عمر بن الخطاب ﷺ من الفهم والحق والحكمة بما لم ينله أحدٌ في الأمة بعد نبيها وصديقها حتى قال النبي ﷺ : « **إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ** » ومن ثم لم تكن قرارات عمر ﷺ موضع ريبة أو شك على الإطلاق ؛ لأن صاحبها قد بلغ من الإيمان والورع والزهد والاستقامة والإخلاص والصدق والأمانة مبلغًا زكاه الله الذي يعلم من خلق ، وزكاه المصطفى الذي لا ينطق عن الهوى . وخالد بن الوليد ﷺ رجل حرب من المهد إلى اللحد ، وسيف من سيوف الله سَلَّهُ الله على الكافرين والمجرمين بحيث لم يهزم بإذن الله في معركة قط .

ومن أسخف الظنون أن يُظنَّ أن فاروق الأمة العادل الأواب قد عزل خالد ابن الوليد ﷺ لضغينة في نفس عمر أو لبغضاء قديمة كانت بينه وبين خالد إلى آخر هذه الدعاوى الباطلة ، والأخبار المكذوبة المبثوثة في كتب التاريخ .

فوالله إني لأُبَرّئُ منها آحاد المؤمنين الصادقين ، فكيف بالفاروق القوي الأمين المُزَكَّى من رب العالمين وسيد المرسلين ﷺ ، والعجيب أن الفاروق نفسه ﷺ قد بين سبب عزله لخالد بجلاء ووضوح ، فقال : « إني لم أعزل

خالدًا عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به فخفت أن يوكلوا إليه ، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع ، وأن لا يكونوا بعرض فتنة))[١].

وما أجمل وأعذب كلماته التي ودَّع بها عُمر بن الخطاب خالد بن الوليد يوم موته ، رحم الله أبا سليمان .. ما عند الله خيرٌ مما كان فيه .. لقد عاش حميدًا .. ومات سعيدًا ..

والعجيب أن عمر لم ينس خالدًا ﷺ حتى وهو على فراش الموت ، لما قيل له : لو عهدت يا أمير المؤمنين فقال : لو أدركت أبا عبيدة ثم وليته ، ثم قدمت على ربي فقال لي : لم استخلفته ؟ لقلت : سمعت عبدك وخليلك يقول : ((لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ)) ولو أدركت خالد بن الوليد ثم وليته ، فقدمت على ربي لقلت : سمعت عبدك وخليلك يقول : ((خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله سلَّهُ اللهُ عَلَى المُشْرِكِينَ)) .

رضي الله عنهما وصلى الله على من رباهما !!

* * *

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٤٩٢) .

تدوين الدواوين

أخرج ابن سعد في الطبقات بإسناد حسن : عن أبي هريرة ﷺ : أنه قدم على عمر من البحرين ، قال أبو هريرة : فلقيته (أي : عمر بن الخطاب) في صلاة العشاء الآخرة ، فسلمت عليه فسألني عن الناس ، قال : هل تدري ما تقول ؟ قلت : جئت بخمسمائة ألف درهم ، قال : ماذا تقول ؟

قال : قلت : مائة ألف ، مائة ألف ، مائة ألف ، مائة ألف ، مائة ألف حتى عددت خمسًا .

قال : إنك ناعس فارجع إلى أهلك ، فَنَمْ ، فإذا أصبحت فأتني .

فقال أبو هريرة : فغدوت إليه ، فقال : ماذا جئت به ؟

قلت : جئتُ بخمسمائة ألف درهم ، قال : أطيّبٌ ؟

قلت : نعم ، لا أعلم إلا ذلك .

فقال للناس : إنه قد قدِم علينا مال كثير ، فإن شئتم أن نعدّ لكم عددًا وإن شئتم أن نكيله لكم كيلًا .

فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ! إني قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديوانًا يعطون الناس عليه .

قال : فدون الديوان ، وفرض للمهاجرين الأولين في خمسة آلاف ، وللأنصار

في أربعة آلاف ، ولأزواج النبي ﷺ في اثني عشر ألفًا . اهـ[١].

قال الطبري[٢] : ولما أراد عمر وضع الديوان ، قال له عليّ ، وعبد الرحمن ابن عوف : ابدأ بنفسك ، قال : لا ، بل أبدأ بعم رسول الله ﷺ ، ثم الأقرب فالأقرب ، ففرض للعباس ، وبدأ به ، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ، ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف ، ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن أقلع أبو بكر عن أهل الردة ثلاثة آلاف في ذلك من شهد الفتح ، وقاتل عن أبي بكر ، ومن ولي الأيام قبل القادسية ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ، ثم فرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين ، وألحق بأهل بدر أربعة من غير أهلها ، الحسن والحسين ، وأبا ذر ، وسلمان ، وكان فرض للعباس خمسة وعشرين ألفًا ، وأعطى نساء النبي ﷺ عشرة آلاف عشرة آلاف ، إلا من أجرى عليها الملك ، فقال نسوة رسول الله ﷺ : ما كان رسول الله ﷺ يفضلنا عليهن في القسمة فسوِّ بيننا ، ففعل ، وفضل عائشة بألفين لمحبة رسول الله ﷺ إياها فلم تأخذ .

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٢٧، ٢٢٨) بإسناد حسن .

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٤٥٢) بتصرف .

كتابة التاريخ

قال الطبري : أول من كتب التاريخ عمر بن الخطاب ، لسنتين ونصف من خلافته ، فكتب لستة عشرة من الهجرة ، بمشورة علي بن أبي طالب .

أما سبب كتابة التاريخ ، يقول ابن الجوزي : ذلك أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر : إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فقال بعضهم : أرخ لمبعث رسول الله ﷺ ، وقال بعضهم أرخ لمهاجر رسول الله ﷺ .

فقال عمر : لا بل نؤرخ لمهاجر رسول الله ﷺ ، فإن مهاجره فرق بين الحق والباطل[1].

وقال ميمون بن مهران : رفع إلى عمر صك محله في شعبان ، فقال عمر : أي شعبان ؟ الذي هو آت ، أو الذي نحن فيه ؟ قال : ثم قال لأصحاب النبي ﷺ : ضعوا للناس شيئًا يعرفونه به ، فاجتمع رأيهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله بالمدينة ، فوجدوا عشر سنين ، فكتب التاريخ من هجرة رسول الله ﷺ

قال ابن الجوزي : قال ابن سيرين : قام رجل إلى عمر فقال : أرخوا ، فقال

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢١٣) ، والطبري في تاريخه (٢/ ٤٧٦) ، والحاكم (٣/ ١٤) ، وقال : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي .

عمر : ما أرخوا ؟ قال : شيء تفعله الأعاجم يكتبون في شهر كذا في سنة كذا ، قال عمر : حسن ، فأرخوا ، فقال : من أي السنين نبدأ ؟ فقالوا : من مبعثه ، وقالوا من وفاته ، ثم أجمعوا على الهجرة ، ثم قال : فبأي الشهور نبدأ ؟ فقالوا : من رمضان ، ثم قالوا : المحرم فإنه منصرف الناس من حجهم ، وهو شهر حرام ، فأجمعوا على المحرم . اهـ[1].

(١) المنتظم لابن الجوزي (٤/ ٢٢٧) .

فتح بيت المقدس

قال ابن كثير : لما فرغ أبو عبيدة من دمشق كتب إلى أهل إيليا يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام أو يبذلون الجزية ، أو يؤذنون بحرب ، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه .

فركب إليهم في جنوده ، واستخلف على دمشق سعيد بن زيد ، ثم حاصر بيت المقدس ، وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فكتب إليه أبو عبيدة بذلك ، فاستشار عمر الناس في ذلك ، فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم ، وأرغم لأنوفهم .

وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم ، فَهَوِى ما قال عليّ ، ولم يهو ما قال عثمان ، وسار بالجيوش نحوهم ، واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب ، وسار العباس بن عبد المطلب على مقدمته ، فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء ، فترجل أبو عبيدة ، وترجل عمر ، فأشار أبو عبيدة ليقبل يد عمر ، فهمّ عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة ، فكف أبو عبيدة ، فكف عمر ، ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس ، واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث ، ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء ، ثم جاء

إلى الصخرة فاستدلّ على مكانها من كعب الأحبار ، وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه فقال : ضاهيت اليهودية ، ثم جعل المسجد في قبلى بيت المقدس ، وهو العمريُّ اليوم ، ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه وقبائه ، ونقل المسلمون معه .اهـ[1].

وأخرج الإمام أحمد : قال عمر بن الخطاب لكعب حين دخل بيت المقدس : أين ترى أن أصلّي ؟

قال : إن أخذت عني صليت خلف الصخرة ، وكانت القدس كلها بين يديك .

فقال عمر : ضاهيت اليهودية ، لا ، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ ، فتقدم إلى القبلة ، فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه ، وكنس الكناسة في ردائه ، وكنس الناس[2].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي العالية الشامي قال : قدم عمر بن الخطاب الجابية على طريق إيلياء على جمل أورق ، تلوح صلعته للشمس ، ليس عليه قلنسوة ، ولا عمامة ، تصطفق رجلاه بين شعبتي الرحل بلا ركاب ، وطاؤه كساء انبجاني ذو صوف ، هو وطاؤه إذا ركب ، وفراشه إذا نزل ، حقيبته

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٩٧ ، ١٩٨) ط . دار ابن رجب .

(٢) رواه الإمام أحمد رقم (٢٦١) ، وقال الحافظ ابن كثير : وهذا إسناد جيد .

نمرة أو شملة محشوة ليفًا ، هي حقيبته إذا ركب ووسادته إذا نزل ، وعليه قميص من كرابيس (ثوب خشن) قد دَسِم ، وتخرق جيبُه .

فقال : ادعوا لي رأس القوم ، فدعوا له الجلومس ، فقال : اغسلوا قميصي وخيطوه ، وأعيروني ثوبًا أو قميصًا .

فأُتي بقميص من كتان ، فقال : ما هذا ؟

قالوا : كتان ، قال : وما الكتان ؟

فأخبروه ، فنزع قميصه ، فغسل ورقع وأتي به ، فنزع قميصهم، ولبس قميصه .

فقال له الجلومس : أنت ملك العرب ، وهذه البلاد لا تصلح لها الإبل ، فلو لبست شيئًا غير هذا ، وركبت برذونًا لكان ذلك أعظم في أعين الروم .

فقال : **نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، فلا نطلب بغير الله بديلًا** . فأُتي ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل ، فركبه ، فقال : احبسوا احبسوا ، ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان قبل هذا ، هاتوا جملي فَأُتي بجمله فركبه . اهـ[1].

* * *

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٠٢) ط . دار ابن رجب .

عام الرمادة

قال ابن الجوزي : وذلك أن الناس أصابهم جدب وقحط وجوع شديد حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس ، وكانت الريح تسفي ترابًا كالرماد ، فسمّي ذلك العام : عام الرمادة . وكان الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها وإنه لمعسر .

فآلى عمر ألا يذوق سمنًا ، ولا لبنًا ، ولا لحمًا حتى يحيى الناس ، وإن غلامًا لعمر اشترى عكة من سمن ورطبًا من لبن بأربعين ، ثم أتى بهما عمر ، فقال عمر ﷺ : تصدق بهما ، فإني أكره أن آكل إسرافًا ، كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسسني ما مسهم . اهـ[1].

فجمع عمر ﷺ الناس للاستسقاء ، وأخذ معه العباس عم رسول الله ﷺ .

ثم قال : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا ، فالآن نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا[2].

ثم طلب من العباس أن يدعو الله ، فقام العباس فقال : اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولم يكشف إلا بتوبة ، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من

---

(١) المنتظم (٤/ ٢٥٠) .

(٢) رواه البخاري رقم (١٠١٠) في : الاستسقاء ، باب : سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا .

نبيك ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ، ونواصينا إليك بالتوبة ، فاسقنا الغيث ، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس .

قال الحافظ في الفتح : وذكر ابن سعد وغيره أن عام الرمادة كان سنة ثمان عشرة، وكان ابتداؤه مصدر الحاج منها ، ودام تسعة أشهر ، والرمادة بفتح الراء وتخفيف الميم ، سُمّي العام بها لما حصل من شدة الجدب، فأغبرت الأرض جدًّا من عدم المطر . اهـ.

والتوسل الذي عناه عمر ﷺ هو الذي وضحه حديث أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ . والحديث في الصحيحين : أَنَّ رجلًا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا ، ثم قال : يا رسول الله ! هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله أن يغيثنا ، قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : ((**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا ، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**)) ثلاثًا .

قال أنس : ولا والله ! ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ، وما بيننا وبين سلع مِنْ بيت ولا دار . قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت .

قال أنس : والله ما رأينا الشمس سبتًا ، (أي أسبوعًا) .

قال أنس : ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله قائم

يخطب ، فاستقبله قائمًا ، فقال : يا رسول الله ! هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها عنا .

قال أنس : فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : ((**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا ، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ**(١) **وَالجِبَالِ وَالظِّرَابِ**(٢) **وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**)) .

فانقلعت وخرجنا نمشي في الشمس(٣).

فالتوسل معناه : طلب الدعاء ، فلما مات النبي ﷺ عدل عمر ﷺ فتوسل بالعباس عم النبي ﷺ أي : طلب منه أن يدعو الله أن يغيثهم ، وهذا هو أحد أنواع التوسل المشروع ، ألا وهو : طلب الدعاء من الحي الصالح .

* * *

---

(١) الآكام : جمع أكمه ، وهي : دون الجبل وأعلى من الرابية .

(٢) الظّراب : واحدها ظرب ، وهي الروابي الصغار .

(٣) رواه البخاري رقم (١٠١٣) في : الاستسقاء ، باب : الاستسقاء في المسجد الجامع ، ومسلم رقم (٨٩٧) في : صلاة الاستسقاء ، باب : الدعاء في الاستسقاء .

قال النووي في شرح مسلم : وفيه أدبه ﷺ في الدعاء ، فإنه لم يسأل رفع المطر من أصله ، بل سأل رفع ضرره وكشفه عن البيوت والمرافق والطرق ، بحيث لا يتضرر به ساكن ولا ابن سبيل ، وسأل بقاءه في مواضع الحاجة بحيث يبقى نفعه وخصبه ، وهي بطون الأودية وغيرها من المذكور . اهـ.

إشارات لقتله شهيدًا
وطلبه الشهادة رضي الله عنه

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ صعد أحدًا ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف ، فضربه برجله وقال: ((**اثْبُتْ أُحُدُ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**))(١).

ورأى رسول الله ﷺ على عمر ثوبًا غسيلًا ، فقال : ((**أَجَدِيدٌ ثَوْبَكَ هَذَا أَمْ غَسِيلٌ ؟**))

قال : غسيل يا رسول الله . قال : ((**الْبِسْ جَدِيدًا ، وَعِشْ حَمِيدًا ، وَتَوَفَّ شَهِيدًا ، وَيُعْطِيكَ اللهُ قُرَّةَ عَيْنٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**))(٢).

وفي صحيح البخاري : أن عمر بن الخطاب ﷺ قال : أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة ؟

قال حذيفة : أنا أحفظ كما قال : قال : هات ، إنك لجريء ، قال رسول الله

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٥) في : الفضائل ، باب : قول النبي : « لو كنت متخذًا خليلًا » ، وأبو داود رقم (٤٦٥١) في : السنة ، باب : ما جاء في الخلفاء ، والترمذي رقم (٣٦٩٧) في : المناقب ، باب : مناقب عثمان بن عفان ﷺ ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٨٨) والنسائي في اليوم والليلة (٣١١) ، وابن ماجة رقم (٣٥٥١) ، والطبراني (٢٧/ ١٣) وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

ﷺ : « فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ » قال : ليست هذه ، ولكن التي تموج كموج البحر .

قال : يا أمير المؤمنين لا بأس عليك منها ، إن بينك وبينها بابًا مغلقًا ، قال : يُفتح الباب أو يُكسر ؟ قال : لا ، بل يكسر ، قال : ذلك أحرى أن لا يغلق[1].

قال النووي : يحتمل أن يكون حذيفة علم أن عمر يقتل ، ولكنه كره أن يخاطبه بالقتل ؛ لأن عمر كان يعلم أنه الباب ، فأتى بعبارة يحصل بها المقصود بغير تصريح بالقتل .اهـ.

وفي البخاري من حديث زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر ﷺ قال : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك[2].

وعن سعيد بن المسيب قال : لما صدر عمر من منى أناخ بالأبطح ، ثم كوم كومة من البطحاء ، ثم ألقى عليها نفسه فلزق بثوبه ، واستلقى ، ومد يده إلى السماء فقال : اللهم ضعفت قوتي ، وكبرت سني ، وانتشرت رعيتي ، فاقبضني إليك غير مضيع ، ولا مفرط ، ثم قدم المدينة ، فخطب فقال : أيها الناس : إني قد سننت لكم السنن ، وفرضت لكم الفرائض ، وتركتكم على واضحة إلا أن تضلوا بالناس يمينًا وشمالًا ...

(١) رواه البخاري رقم (٣٥٨٦) في : المناقب .

(٢) رواه البخاري رقم (١٨٩٠) في : فضائل المدينة .

قال سعيد : فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل عمر[1].

وعن معدان بن أبي طلحة العمري أن عمر بن الخطاب ﷺ قام على المنبر يوم جمعة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر النبي ﷺ وذكر أبا بكر ﷺ ثم قال : رأيت رؤيا لا أراها إلا بحضور أجلي ، ورأيت ديكًا نقرني نقرتين فقصصتها على أسماء بنت عميس فقالت : يقتلك رجل من العجم .

قال : وإن الناس يأمرونني أن أستخلف ، وإن الله ﷻ لم يكن ليضيع دينه ، وخلافته التي بعث بها نبيه ﷺ ، وأن يعجل في أمر ، فإن الشورى في هؤلاء الستة الذي مات نبي الله وهو عنهم راضٍ ، فمن بايعتم منهم فاسمعوا له وأطيعوا ، وإني أعلم أن ناسًا سيطعنون في هذا الأمر ، أنا قاتلتهم بيدي هذه على الإسلام ، أولئك أعداء الله الضلال الكفار ، وإني أشهد الله على أمراء الأمصار إني إنما بايعتهم ليعلموا الناس دينهم، ويبينوا لهم سنة نبيهم ﷺ ، ويرفعوا إليّ ما عمي عليهم .

قال : فخطب الناس ، وأصيب يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة[2].

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٨٢٤/ ١٠) ، وابن أبي الدنيا في : مجابو الدعوة (٩) ، وأبو نعيم (١/ ٥٤) ، والحاكم (٣/ ٩١) ، انظر : المطالب العالية رقم (٤٣١٧) .

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (١٦٨، ٣٦٢) مختصرًا ، ورواه مسلم وأبو يعلى (٢٥١) واللالكائي (٢٥٤٠) ، وابن حبان (٣/ ٤٠٣) ، والحاكم (٣/ ٩٠- ٩١) ، والبيهقي (٨/ ١٥٠) ، وابن سعد (٣/ ٢٥٥) .

الكلب يطعن الأسد في عرينه !!

في البخاري وغيره عن عمرو بن ميمون قال : رأيت عمر بن الخطاب ﷺ قبل أن يصاب بأيام بالمدينة ، ووقف على حذيفة بن اليمان ، وعثمان بن حنيف ، قال : كيف فعلتما ؟

أتخافان أن تكونا حَمَّلتما الأرض ما لا تطيق[١] ؟

قالا : حملناها أمرًا هي له مطيقة، ما فيها كبير فضل .

قال : انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق .

قالا : لا .

فقال عمر : لئن سلمني الله لأدَعَنَّ أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدًا ، قال : فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب . قال : إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس[٢] غداة أصيب ـ وكان إذا مرّ بين الصفين قال : استووا ، حتى إذا لم ير فيهم خللًا تقدَّم فكبّر ، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل

---

(١) الأرض المشار إليها هي أرض السواد ، وكان عمر بعثهما يضربان عليها الخراج ، وعلى أهلها الجزية .

(٢) **قال الحافظ في الفتح** : وفي رواية أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون : شهدت عمر يوم طعن ، فما منعني أن أكون في الصف الأول إلا هيبته ، وكان رجلًا مهيبًا ، وكنت في الصف الذي يليه ، وكان عمر لا يكبر حتى يستقبل الصف المقدم بوجهه ، فإن رأى

أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس ، فما هو إلا أن كبّر فسمعته يقول : قتلني أو أكلني الكلب ، حين طعنه(١)، فطار العِلْج بسكين ذات طرفين ، لا يمر على أحد يمينًا ، ولا شمالًا إلا طعنه ، حتى طعن ثلاثة عشر رجلًا مات منهم سبعة ، فلما رأى ذلك رجلٌ من المسلمين طرح عليه برنسًا ، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه ، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدَّمه(٢) ، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى ، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر ، وهم يقولون : سبحان الله ! فصلّى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة .

رجلًا متقدمًا من الصف أو متأخرًا ضربه بالدرّة ، فذلك الذي منعني منه . اهـ. فتح الباري (٧/ ٧٧).

(١) **قال الحافظ** : روى ابن سعد بإسناد صحيح إلى الزهري قال : كان عمر لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة ، حتى كتب المغيرة بن شعبة ، وهو على الكوفة يذكر له غلامًا عنده صانعًا ، ويستأذنه أن يدخله المدينة ، ويقول : إن عنده أعمالًا تنفع الناس ، إنه حداد نقاش نجار ، فأذن له ، فضرب عليه المغيرة كل شهر مائة ، فشكى إلى عمر شدة الخراج ، فقال له : ما خراجك بكثير في جنب ما تعمل ، فانصرف ساخطًا ، فلبث عمر ليالي ، فمر به العبد ، فقال : ألم أحدث أنك تقول لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح ؟ فالتفت إليه عابسًا فقال : لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها ، فأقبل عمر على من معه ، فقال : توعدني العبد . فتح الباري (٧/ ٧٨) .

(٢) أي : للصلاة بالناس .

وفي رواية : فظنّ عمر أن له ذنبًا إلى الناس لا يعلمه ، فدعا ابن العباس ، وكان يحبه ويدنيه .

فقال : أحب أن تعلم ، عن ملأ من الناس كان هكذا ؟ فخرج لا يمر بملأ من الناس إلا وهم يبكون ، فكأنما فقدوا أبكار أولادهم ، قال ابن عباس: فرأيت البشر في وجهه .

قال : فلما انصرفوا قال : يا ابن عباس ، انظر من قتلني ، فجال ساعة ثم جاء فقال : غلام المغيرة . قال : الصنع ؟ قال : نعم . قال : قاتله الله ، لقد أمرت به معروفًا ، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدَّعي الإسلام ، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة ، وكان العباس أكثرهم رقيقًا ، فقال : إن شئت فعلت ، أي : إن شئت قتلنا .

قال : كذبت ، بعدما تكلموا بلسانكم ، وصلّوا قبلتكم ، وحجوا حجّكم ؟ فاحْتُمِل إلى بيته فانطلقنا معه .

وفي رواية : ثم غلب عمر النزف حتى غشي عليه ، فاحتملته في رهط حتى أدخلته بيته ، فلم يزل في غشيته حتى أسفر فنظر في وجوهنا ، فقال : أصلّى الناس ؟ فقلت : نعم ، قال : لا إسلام لمن ترك الصلاة . ثم توضأ وصلى .

قال : وكأن الناس لم تُصبهم مصيبة قبل يومئذ ، فقائل يقول : لا بأس. وقائل يقول : أخاف عليه . فأُتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه ، ثم أُتي بلبن

فشربه فخرج من جرحه ، فعلموا أنه ميت ، فدخلنا عليه ، وجاء الناس ، فجعلوا يثنون عليه ، وجاء رجل شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ ، وقدم في الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة ، قال : وددت أن ذلك كفافٌ لا عليّ ولا لي .

فلما أدبر إذا إزاره يمسُّ الأرض ، قال : رُدّوا علي الغلام . قال : يا ابن أخي ! ارفع ثوبك ، فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك .

وفي رواية : قال ابن عباس : وإن قلت ذلك فجزاك الله خيرًا ، أليس قد دعا رسول الله ﷺ أن يعز الله بك الدين والمسلمون إذ يخافون بمكة ، فلما أسلمت كان إسلامك عزًّا ، وظهر بك الإسلام ، وهاجرت فكانت هجرتك فتحًا ، ثم لم تغب عن مشهد شهده رسول الله ﷺ من قتال المشركين ، ثم قُبض وهو عنك راض ، ووازرت الخليفة بعده على منهاج رسول الله ﷺ فضربت من أدبر بمن أقبل ، ثم قبض الخليفة وهو عنك راض ، ثم وليت بخير ما ولي الناس ، مصَّرَ الله بك الأمصار ، وجَبَا بك الأموال ، ونفى بك العدو ، وأدخل بك على أهل بيت من سيوسعهم في دينهم وأرزاقهم ، ثم ختم لك بالشهادة ، فهنيئًا لك .

فقال : والله إن المغرور من تغرونه . ثم قال : أتشهد لي يا عبد الله عند الله يوم القيامة ؟

فقال : نعم . قال : اللهم لك الحمد .

قال : قال عمر : يا عبد الله بن عمر ! انظر ما عليّ من الدَّيْن ، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفًا أو نحوه . قال : إن وفى له مال آل عمر فأده من أموالهم ، وإلا فسل في بني عدي بن كعب ، فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ، ولا تَعْدُهم إلى غيرهم ، فأدّ عني هذا المال . انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل : يقرأ عليك عمر السلام ـ ولا تقل : أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا ـ وقل : يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه ، فَسَلَّمَ ، فاستأذن ، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي . فقال : يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فقالت : كنت أريده لنفسي ، ولأوثرنه به اليوم على نفسي .

فلما أقبل قيل : هذا عبد الله بن عمر قد جاء . قال : ارفعوني ، فأسنده رجل إليه ، فقال : ما لديك ؟ قال : الذي تحب يا أمير المؤمنين ، أَذِنَتْ ، قال : الحمد لله ، ما كان من شيء أهمّ إليّ من ذلك ، فإذا أنا قضيت فاحملوني ، ثم سلم فقل : يستأذن عمر بن الخطاب ، فإن أذنت لي فأدخلوني ، وإن ردتني رُدُّوني إلى مقابر المسلمين ، وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها ، فلما رأيناها قمنا ، فولجت(١) عليه ، فبكت عنده ساعة ، واستأذن الرجال

---

(١) أي : دخلت عليه .

فولجت داخلًا لهم ، فسمعنا بكاءها من الداخل ، قالت : يا صاحب رسول الله ﷺ ! يا صهر رسول الله ﷺ ! يا أمير المؤمنين !

فقال عمر : لا صبر لي على ما أسمع ، أُحَرِّج عليك بما لي عليك من الحق أن تندبيني بعد مجلسك هذا ، فأما عينيك فلن أملكهما .

قال : فقالوا : أوص يا أمير المؤمنين ! استخلف .

قال : ما أجدُ أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر ـ أو الرهط ـ الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض : فسمّى عليًّا ، وعثمان ، والزبير ، وطلحة ، وسعدًا ، وعبد الرحمن(١)، وقال : يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء ـ كهيئة التعزية له ـ فإن أصابت الإمرة سعد فهو ذاك ، وإلا فليستعن به أيّكم ما أُمِّر ، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة ، وقال : أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين ، أن يعرف لهم حقهم ، ويحفظ لهم

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٨٤) : واقتصار عمر على الستة من العشرة لا إشكال فيه ؛ لأنه منهم ، وكذلك أبو بكر ، ومنهم أبو عبيدة ، وقد مات قبل ذلك ، وأما سعيد بن زيد فهو ابن عم عمر فلم يسمه عمر فيهم مبالغة في التبرّي من الأمر ، وقد صرح المدايني بأسانيده أن عمر عدّ سعيد بن زيد فيمن توفي النبي ﷺ وهو عنهم راض ؛ إلا أنه استثناه من أهل الشورى لقرابته منه ، وقد صرّح بذلك المدايني بأسانيده ، قال : فقال عمر : لا أرَبَ لي في أموركم فأرغب فيها لأحد من أهلي . اهـ.

حرمتهم ، وأوصيه بالأنصار خيرًا ، الذين تبوؤوا الدار والإيمان[١] من قبلهم ، أن يقبل من محسنهم ، وأن يُعْفَى من مسيئهم ، وأوصيه بأهل الأمصار خيرًا ، فإنهم رِدْء الإسلام (أي : عونِ الإسلام الذي يدفع عنه) ، وغيظ العدو (أي : يغيظون العدو بكثرتهم وقوتهم) وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم (أي إلا ما فضل عنهم) وأوصيه بالأعراب خيرًا ، فإنهم أصل العرب ، ومادة الإسلام ، أن يؤخذ من حواشي أموالهم (أي : التي ليست بخيار) ويرد على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ (أي أهل الذمة) أن يوفي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من وراءهم ، ولا يكلفوا إلا طاقتهم[٢].

فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي ، فسلم عبد الله بن عمر قال : يستأذن عمر بن الخطاب ، قالت : أدخلوه ، فأُدخل ، فوضع هنالك مع صاحبيه .

وفي مسند الإمام أحمد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : أنا أول من أتى عمر حين طعن ، فقال : احفظ عني ثلاثًا ، فإني أخاف أن لا يدركني الناس ، أما أنا فلم أقض في الكلالة قضاء ، ولم أستخلف على الناس خليفة ، وكل مملوك له عتيق .

---

(١) أي : سكنوا المدينة قبل الهجرة .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٧٠٠) في : فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان ﷺ ، وفيه مقتل عمر بن الخطاب ﷺ .

فقال له الناس : استخلف ، فقال : أي ذلك أفعل فقد فعله من هو خير مني : إن أدع الناس أمرهم ، فقد تركه نبي الله ﷺ ، وإن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر .

فقلت له : أبشر بالجنة ، صاحبت رسول الله ﷺ فأطلت صحبته ، ووليت أمر المؤمنين فقويت وأديت الأمانة .

فقال : أما تبشيرك إياي بالجنة فوالله لو أن لي الدنيا بما فيها لافتديت به من هول ما أمامي قبل أن أعلم الخبر ، وأما قولك في أمر المؤمنين ؛ فوالله لودِدْتُ أن ذلك كفافًا لا لي ولا عليّ ، وأما ما ذكرت من صحبة نبي الله ﷺ فذلك[1].

قال الذهبي : **قال ابن عمر** : كان رأس عمر في حجري ، فقال : ضع خدي على الأرض ، فوضعته ، فقال : ويلٌ لي وويل أمي إن لم يرحمني ربي[2].

الله أكبر .. يا خالق عمر سبحانك !!

* * *

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٣٢٢) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٢) سيرة الخلفاء للذهبي (٩٤) ، والخبر في الطبقات (٣/ ٢٧٤) ، وإسناده صحيح .

ثناء الصحابة عليه رضي الله عنه

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : وُضع عمر على سريره ، فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم ، فلم يَرُعني إلا رجلٌ آخذ منكبي ، فإذا علي بن أبي طالب ، فترحم على عمر ، وقال : ما خلَّفت أحدًا أحب إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك ، وايم الله ! إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك ، وحسبت أني كثيرًا أسمع النبي ﷺ يقول : ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر(١).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : لما قبض النبي ﷺ ارتدت العرب قاطبة ، واشرأب القوم ، وعاد أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى طيرت في حش ، فوالله ما اختلفوا في لفظة إلا طار أبي بفنائها ، ثم ذكرت عمر ، فقالت : ومن رأى عمر علم أنه خلق غناء الإسلام ، ثم قالت : كان والله أحوذيًا ، نسيج وحده ، قد أعد للأمور أقرانها ، ما رأيت مثل خلقه ، حتى تعد سبع خصال لا أحفظها(٢).

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٨٥) في : فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : مناقب عمر بن الخطاب ، ومسلم رقم (٢٣٨٩) في : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عمر بن الخطاب .

(٢) المطالب العالية لابن حجر (٤٢٩٧) بسند حسن .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أكثروا ذكر عمر ، فإنكم إذا ذكرتموه ذكرتم العدل ، وإذا ذكرتم العدل ذكرتم الله تبارك وتعالى(١).

وعن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبي (علي بن أبي طالب) : أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال : أبو بكر . قلت : ثم من ؟ قال : عمر ، وخشيت أن يقول عثمان ، قلت : ثم أنت ؟ قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين(٢).

وفي الطبقات : قال أبو وائل رحمه الله : قدم علينا عبد الله بن مسعود فنعى إلينا عمر ، فلم أر يومًا كان أكثر باكيًا ولا حزينًا منه ، ثم قال : والله لو أعلم عمر كان يحب كلبًا لأحببته(٣).

ولما مات عمر بكى سعيد بن زيد فقيل : ما يبكيك ؟ قال : لا يبعد الحق أهله ، اليوم يهي أمر الإسلام ، وقيل له : ما يبكيك ؟ قال : على الإسلام أبكي ، إن موت عمر ثلم الإسلام ثلمة لا ترتق إلى يوم القيامة(٤). وعن حذيفة ﷺ : أنه قال يوم موت عمر : اليوم ترك المسلمون حافة الإسلام(٥).

---

(١) أسد الغابة (٤/ ١٥٣) بسند صحيح .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٦٧١) في : فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذًا خليلًا » ، وأبو داود رقم (٤٦٢٩) في : السنة ، باب في التفضيل .

(٣، ٤، ٥) الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٨٤) .

قال أبو عبيدة يومًا وهو يذكر عمر : إن مات عمر رق الإسلام ، ما أحب لي ما تطلع عليه الشمس أو تغرب ، وأن أبقى بعد عمر ، قال قائل : ولم ؟ قال : سترون ما أقول إن بقيتم ، فإن ولي وال بعد عمر فأخذهم بما كان عمر يأخذهم به لم يُطع له الناس بذلك ، ولم يحملوه ، وإن ضعف عنهم قتلوه"[1].

وعن حذيفة ﷺ قال : كان الإسلام من زمن عمر كالرجل المقبل لا يزداد إلا قربًا ، فلما قتل عمر رحمه الله كان كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعدًا"[2].

وعن أنس بن مالك أن أصحاب الشورى اجتمعوا فلما رآهم أبو طلحة ، وما يصنعون قال : لأنا كنت لأن تدافعوها أخوف مني من أن تنافسوها ، فوالله ما من أهل بيت من المسلمين إلا وقد دخل عليهم من موت عمر نقص في دينهم وفي دنياهم"[3].

قال ابن الجوزي في مناقب عمر (٢١٠) : قال عثمان بن عفان : إن عمر كان يمنع أهله ابتغاء وجه الله ، وإني أعطي أهلي ، وأقربائي ابتغاء وجه الله ، ولن تلقى مثل عمر ، ولن تلقى مثل عمر . ولن نلقى مثل عمر !! وقيل لعثمان : ألا تكون مثل عمر ؟

---

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٨٤) ، بسند فيه الواقدي .

(٢) الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٨٥) ورجاله ثقات .

(٣) المصدر السابق .

قال : لا أستطيع أن أكون مثل لقمان الحكيم .

وقيل لعبد الله بن عباس : فما تقول في عمر ؟

قال : رحمة الله على أبي حفص ، كان والله حليف الإسلام ، ومأوى الأيتام ، ومحل الإيمان ، ومنتهى الإحسان ، ونادي الضعفاء ، ومعقل الخلفاء ، كان للحق حصنًا ، وللناس عونًا ، قام بحق الله صابرًا محتسبًا حتى أظهر الدين ، وفتح الديار ، وذكر الله ﷻ على التلال والبقاع ، وقورًا لله في الرخاء والشدة ، شكورًا له في كل وقت ، فأعقب الله من يبغضه الندامة إلى يوم القيامة[١].

ويقول العباس بن عبد المطلب ﷺ : كنت جارًا لعمر بن الخطاب ، فما رأيت أحدًا من الناس كان أفضل من عمر ، إن ليله صلاة ، وإن نهاره صيام وفي حاجات الناس[٢].

قال السيوطي : وقال معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما -: أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها ، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهرًا لبطن[٣].

قال ابن الجوزي (٢١٦) : وتقول الشفاء بنت عبد الله : كان والله عمر إذا

---

(١) الرياض النضرة (١/ ٣٥).

(٢) أخرجه السيوطي في الحلية (١/ ٥٤) ، ورجاله ثقات .

(٣) تاريخ الخلفاء (ص ٤٦) ، وقال السيوطي : أخرجه الزبير بن بكار في الموفقيات .

تكلم أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع ، وهو الناسك حقًّا .

ويقول الحسن البصري : إذا أردتم أن يطيب المجلس ، فأفيضوا في ذكر عمر .

ويقول ابن الجوزي (٢١٦، ٢١٧) قال ابن سيرين : لم يكن أحد بعد رسول الله ﷺ أهيب لما لا يعلم من أبي بكر ، ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب لما لا يعرف من عمر .

وبعد هذه الرحلة الممتعة في رحاب سيرة الفاروق العذبة .. يبقى السؤال :

من أي طراز من البشر كان عمر ؟

ومن الذي رباه ؟ ومن أي المدارس تخرّج ؟!!

والجواب الذي يزول به العجب هو أن الذي ربَّاه هو المصطفى وكفى !!

لله درُّ ابن الخطاب .. أيُّ امرئ كان ؟!!

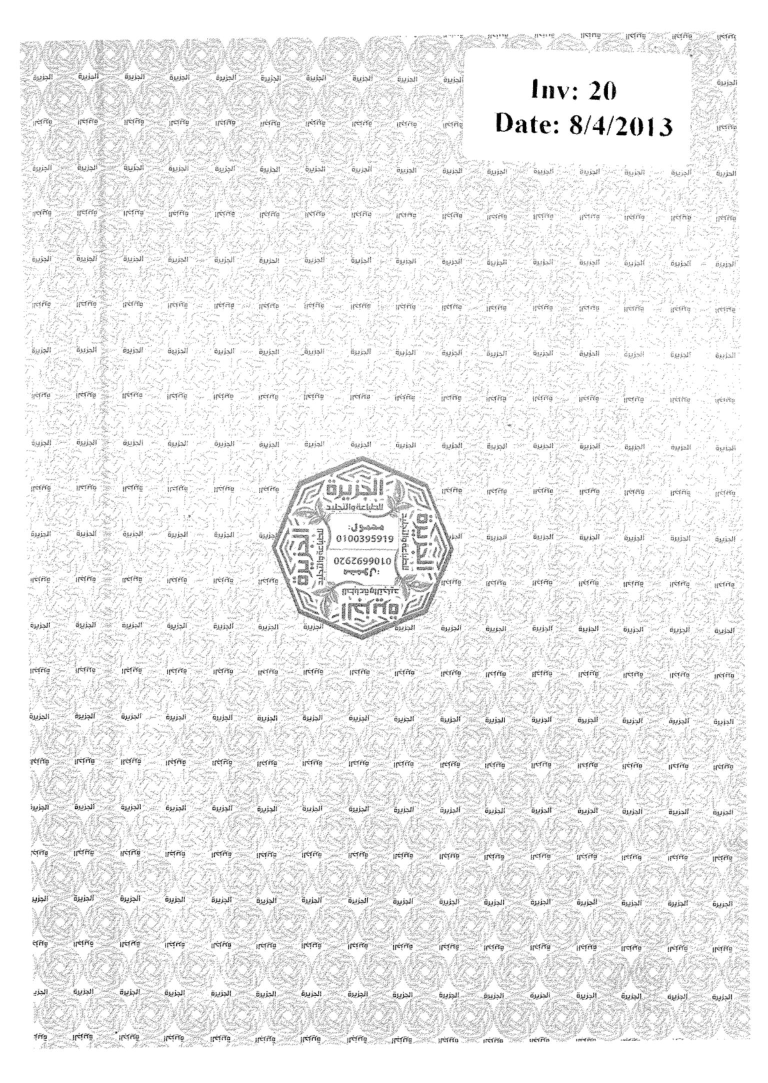
فهرس الموضوعات

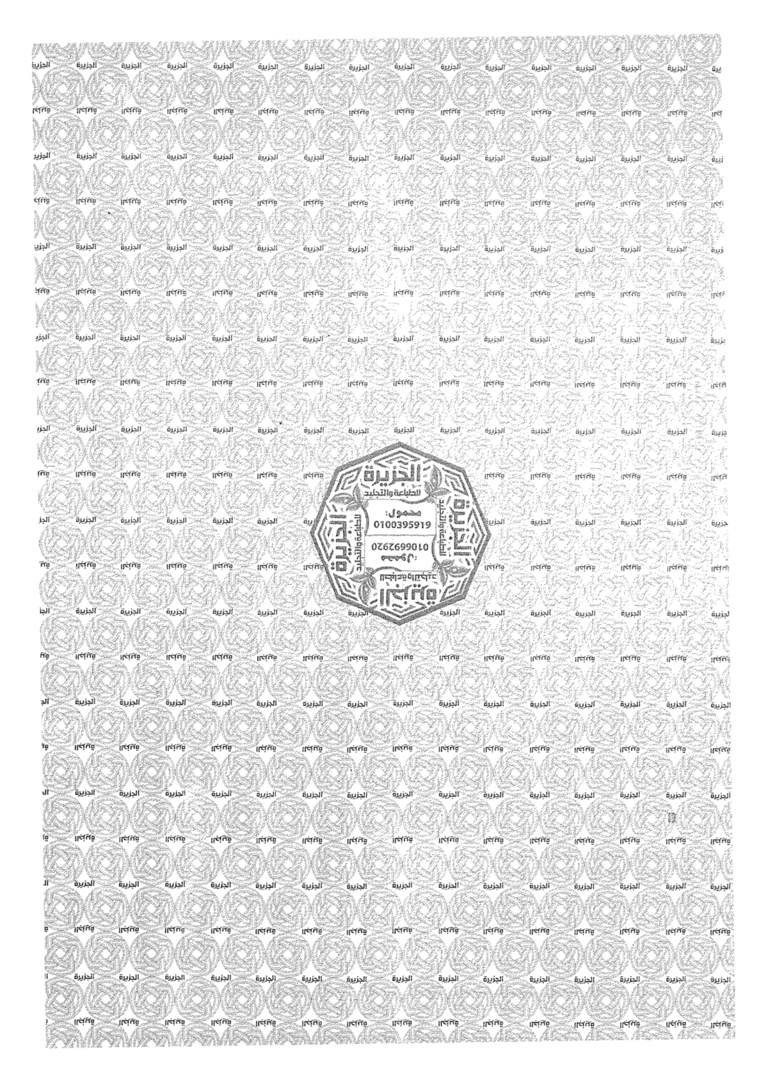
الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

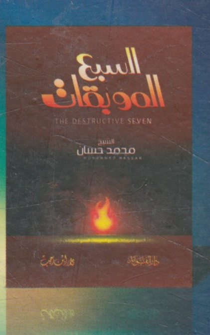
الموضوع	الصفحة

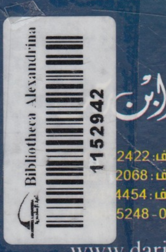
الموضوع	الصفحة


Inv: 20
Date: 8/4/2013
الجزيرة
للطباعة والتجليد
محمول:
0100395919


الجزيرة
للطباعة والتجليد
محمول:
0100395919







دار الفوائد
دار ابن

القاهرة: خلف الجامع الأزهر | هاتف: 2422
المنصورة: ش جمال الدين الأفغاني | هاتف: 2068
فارسكور: خلف المستشفي الأميري | هاتف: 4454
فاكس: 057441550 | جوال: 0122368002 - 5248

موقعنا على الإنترنت : www.daribnragb.com